

سلسلة بناء العبد الرباني

مصحف حسي

HAZEM MASSAOD

HM

E-Books

مصطفى حسني

سلسلة بناء العبد الرباني



مصطفى حسني



قصة حب

تأليف:

مصطفى حسني

إشراف عام:

داليا محمد إبراهيم

جميع الحقوق محفوظة © لدار نهضة مصر للنشر

يحظر طبع أو نشر أو تصوير أو تخزين

أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة إلكترونية أو ميكانيكية
أو بالتصوير أو خلاف ذلك إلا بإذن كتابي صريح من الناشر.

الترقيم الدولي: 978-977-14-4815-0

رقم الإيداع: 2014/8327

طبعة: يناير 2017



للنشر

أسسها أحمد محمد إبراهيم

سنة 1938

شارع أحمد

عراي - 21

المهندسين -

الجيزة

تليفون: 02 33472864 - 33466434

فاكس: 02 33462576

خدمة العملاء: 16766

Website: www.nahdetmisr.com

E-mail: publishing@nahdetmisr.com

الفهرس

مقدمة

حب الله للنبي صلى الله عليه وسلم

حب الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم

الحب لا يدبر بالعقل

إزراع الحب تحصد الحب

حبُّ النبي صلى الله عليه وسلم لأُمَّته

محبة الكون للرسول صلى الله عليه وسلم

رحلة حب ((الإسراء والمعراج))

أنت مع من أحببت

أبغض المعاصي ولا تبغض العاصي

النبيُّ صلى الله عليه وسلم ومُعاجة الأخطاء

النبي صلى الله عليه وسلم وحب الهداية للعالمين

حب الملائكة للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين

حب النبي صلى الله عليه وسلم للسيدة خديجة رضي الله عنها

حبُّ النبي صلى الله عليه وسلم لزوجاته

الحبُّ في مواقف الحرب

النبي صلى الله عليه وسلم وغير المسلمين

حب النبي صلى الله عليه وسلم لفاطمة

حب النبي صلى الله عليه وسلم لبناته

حب النبي صلى الله عليه وسلم للأطفال

حب النبي صلى الله عليه وسلم لأقاربه

الحب النبوي لنساء الأمة

حبُّ الخدم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحبُّه لهم

رسائل حب

كيف قال الله - عزَّ وجلَّ - للنبي صلى الله عليه وسلم أحبك؟

((أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل))

خاتمة

مقدمة

الحب أساس كل شيء؛ فهو أساس قوي للتعامل بين الناس، ومن حب الله - سبحانه وتعالى - نشأ كل حب.

وكان للحب قصة كبيرة، ونظرية خطيرة لها قواعدها، ومنها أنه:

((حيث يوجد الحب توجد السعادة))

فاختفاؤه هو اختفاء لكل المشاعر النبيلة، ويجعلك ترى جمال الأشياء، ويعطيك القدرة لترى في الوردة الذابلة جمالاً لا يخفى على عين تنظر من قلب يحب، والحب يأخذك من الجملة إلى التفاصيل، فإذا أحببت محمداً صلى الله عليه وسلم رسالة ورسولاً فقد أحببت كل تفاصيل الرسالة والرسول.

وحب الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم قصة رائعة، يخرج منها المؤمن بدروس مستفادة، منها:

- 1- أنه لا يتحقق إيمان مؤمن ما لم يسلم له في كل حكم وأمر في تفاصيل حياته كلها.
- 2- ومنها أن طاعته صلى الله عليه وسلم هي مقياس الإيمان بحق لأي مسلم.

يحشر المرء مع من أحب

ولما قلق الصحابة من أنهم لن يكونوا مع النبي صلى الله عليه وسلم - في الجنة - حيث هو في المنزلة العليا بينما هم في منازل أدنى، طمأنهم صلى الله عليه وسلم أن المرء مع من أحب.

نتائج الحب الصادق:

1- والحب الصادق له نتائج كثيرة منها الثقة والاطمئنان إلى من تحبه، ومن ثم فقد وثق المسلمون في رسول الله صلى الله عليه وسلم واطمأنوا إليه فصاروا أمامه كتاباً مفتوحاً بلا خوف أو قلق؛ مما جعل هذه الثقة الناتجة عن الحب قوة دافعة لهم، وحافزاً مشجعاً على سيرهم في طريق الإيمان والتقوى بخطى ثابتة.

2- إن المحبة طاقة كبيرة مذهلة تدفع إلى الحياة والحركة والإيجابية، بينما البغضاء طاقة مدمرة تؤدي إلى الهلاك والخمود! ألم يصفها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنها حالقة الدين؟!!

((في الإنسان طاقات خير خفية لا تظهرها إلا

طاقة الحب بداخله))

ألم ينه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن يبغض المؤمن زوجته، فإن كان فيها عيب لا يرضاه، ففيها مزايا أخرى يرضى عنها، فلو اتسعت مساحة الكراهية على حساب مساحة الحب في البيت لوقع وخرب ودفع الثمن الأطفال؛ مستقبل الأمة.

3- والحب يصنع في الوجه ابتسامة ويزرع في القلب بهجة، ويجعل في الروح إشراقاً!

4 - والحب الصادق يجعل الإنسان ذا وجه واحد في كل الأحوال، ولا تمتد يده إلى من حوله إلا بكل خير، كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن جمال محبة رسول الله صلى

الله عليه وسلم أنه لا يختار إلا أيسر الأمور رحمة بأمته؛ وهي رحمة نابعة من الحب، كما أشرنا.

ورغم حب رسول **الله** للصلاة ذلك الحب العظيم، وأنه كان يفرع إليها إذا اشتد عليه أمر من أمور الدنيا - فإنه عندما كان يصلي بالناس كان أخف الناس صلاة بهم لفرط حبه لهم ورحمته بهم، وكانت شمس محبته تشرق على الجميع حتى ليحسب كل واحد أن محبته خاصة به وحده دون الآخرين.

ومن حبه صلى **الله** عليه وسلم أيضاً لأمته أنه ما خُيّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً؛ وذلك لعلمه أن أمته من بعده سوف تفعل فعله فكان يحب دائماً أن يبسر على أمته ولا يشق عليها.

قصة الحب الأولى:

وقصة الحب الأولى كانت من رب العالمين لسيدنا محمد خاتم المرسلين قبل خلق الدنيا وما فيها، هذا الحب الذي ملأ أيضاً قلب النبي **الله** عزَّ وجلَّ ولكل شيء يذكره به سبحانه وتعالى، حب فاض وطغى على كل إنسان وكل شيء حول النبي صلى **الله** عليه وسلم، وقصة الحب من رب العالمين لخاتم الأنبياء والمرسلين بلغ من عظمتها أنه سبحانه أقسم له صلى **الله** عليه وسلم إنهم لن يكونوا مؤمنين إلا عندما يحكمونه صلى **الله** عليه وسلم في أمورهم ويسلمون لحكمه تسليماً تاماً، كما قال تعالى: **{فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}** [النساء: 65]، أنت يا محمد يا حبيبي مقياس إيمان العالمين كلهم.. صلى **الله** عليك وسلم.

هذا الحب الذي تلقاه النبي صلى **الله** عليه وسلم ونشره في الدنيا كان يظهر في كل تفاصيل حياته في حوارهِ مع أصحابه رضي **الله** عنهم عندما بشرهم بالجنة ووصفها لهم.. كان أكثر ما يخشونه هو ألا يكونوا معه صلى **الله** عليه وسلم، ولم يطمئنون إلا بعد أن بشرهم صلى **الله** عليه وسلم بأن حبه لهم سوف يجمعهم به؛ بحبيبتهم صلى **الله** عليه وسلم.

من علامات حب الحبيب صلى الله عليه وسلم لأمته يا ربي لا أرضى ووحد من أمتي في النار.

ألم يقل **الله** لنبيه: **{وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى}** [الضحى: 5]. ويكون رضا النبي صلى **الله** عليه وسلم في طلبه أن تكون أمته كلها معه في الجنة، كما قال القرطبي في تفسير هذه الآية ذاكراً قوله صلى **الله** عليه وسلم **((ياربي لا أرضى ووحد من أمتي في النار))**(1).

الحب الذي جعل النبي صلى **الله** عليه وسلم يختار أن يعيش عيشة بسيطة مع أنه أوتي مفاتيح خزائن الأرض، وكان يستطيع أن يأكل من الجنة لو أراد، لكنه اختار أن يأكل منها مع أمته في

الأخرة يوم يقوم الناس لرب العالمين.

روشتة حب

ماذا يفعل الحب بك؟

1- الحب يجعلك تكتشف في نفسك طاقات خير كبيرة ويجعلك تنظر بعين مختلفة للأمور، فكل شيء فيه جانب جميل، ولو أنك نظرت بعين الحب لرأيت هذا الجمال واكتشفته ولهانت عليك أمور كثيرة، ومتى وجدت الحب والجمال وجدت معها السعادة.

2 - الحب يجعلك إنسانًا يجاهد نفسه ليثبت على الطاعة، لأنك عندما تحب الله عزَّ وجلَّ تحب كل عمل يقربك منه سبحانه وتكره كل عمل يبعدك عنه، والإنسان حينما يمتلئ قلبه بالحب يظهر ذلك عليه في تفاصيل حياته فتجد ابتسامته لا تفارقه، تجده متسامحًا متصالحًا مع نفسه أولاً ويبدأ بداية جديدة في علاقته بربه.

3- الحب الصادق يجعلك صادقًا في كل الأحوال، فأنت في جميع تصرفاتك تنهل من معين واحد، مظهرك مثل مخبرك، أفعالك مع الناس هي نفس أفعالك داخل بيتك، لا تتجمل أمام الناس وتظهر وجهًا آخر مع أهلك، فالحب الصادق يجعلك إنسانًا يتصرف عن قناعة ورضا في كل الأمور، ولا تمتد يده ولا لسانه بأذى لمن حوله.

مظاهر حب النبي صلى الله عليه وسلم لربه - عزَّ وجلَّ :-

وكان حب النبي صلى الله عليه وسلم لربه يظهر في صلاته في طولها وحسنها عندما كان يصلي وحده، فهو لا يريد للصلاة أن تنتهي لأنه في أقرب مكان من الله عزَّ وجلَّ وهو ساجد، وعندما كان يصلي إمامًا بالناس كان كما يقول أنس بن مالك في الصحيحين: ((ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة ولا أتم من رسول الله صلى الله عليه وسلم)) (1).

فالنبي صلى الله عليه وسلم عندما يصلي وحده كانت صلاته طويلة، وعندما يصلي إمامًا كان يحبب الناس في ربهم فكان يصلي على طاقة أضعف رجل فيهم حتى لا يتأذى الضعيف من إطالة الصلاة ويخرج منها مشتاقًا للرجوع إليها؛ صدق من سماه الرءوف الرحيم.

في الحب تقدير

وهذا سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه يصف لنا في حديث طويل عندما سُئل عن علاقة النبي بالناس وطبيعة وجوده صلى الله عليه وسلم في وسطهم، فعندما سُئل عن مجلسه صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس)) (1). إنه صلى الله عليه وسلم لا يحب أن يفرق بين الجالسين وإنما يجلس في المكان الخالي؛ لأن التفريق يتنافى مع الحب، وكان صلى الله عليه وسلم يأمر بذلك، وكان أيضًا عندما يجلس إلى قوم يشعر كل واحد منهم أنه أحب الناس إليه، وكان لا يرد سائلًا لدرجة أن الصحابة رضي الله عنهم، كانوا يجدون صفات الأبوة مجتمعة فيه صلى الله عليه وسلم حتى كان كل منهم يشعر أنه صلى الله عليه وسلم أبُّ له.

ولا ننسى أن نذكر دائمًا بحب الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ذلك الحب الذي تشبع به النبي صلى الله عليه وسلم وأفاض به على كل من حوله، وظهر في كل تفاصيل حياته فكان

سهل الخلق لا يذم أحدًا ولا يعيره، وكان دائم البشْر فياضًا بالإحسان حتى لمن أسأوا إليه؛ فصلاة
الله وسلامه عليه وعلى آله أجمعين.

(1) رواه مسلم رقم (750).

(1) تفسير القرطبي، 86/20.

(1) المعجم الكبير للطبراني رقم (1827).

الخلاصة

حيث يوجد الحب توجد السعادة..

نتائج الحب الصادق:

- الثقة والاطمئنان إلى من تحبه.
- المحبة طاقة كبيرة مذهلة تدفع إلى الحياة والحركة والإيجابية.
- الحب يصنع في الوجه ابتسامة ويزرع في القلب بهجة، ويجعل في الروح إشراقة.
- الحب الصادق يجعل الإنسان ذا وجه واحد في كل الأحوال، ولا تمتد يده إلى من حوله إلا بكل خير.

ماذا يفعل الحب بك؟

- الحب يجعلك تكتشف في نفسك طاقات خير كبيرة.
- الحب يجعلك إنساناً يجاهد نفسه ليثبت على الطاعة.
- الحب الصادق يجعلك صادقاً في كل الأحوال.

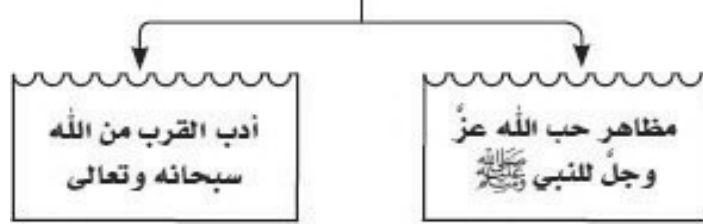
1- حب الله للنبي صلى الله عليه وسلم

يتمنى كثير منا ان يعيش معاني القرب من الله سبحانه وتعالى والقرب من النبي صلى الله عليه وسلم والقرب من الناس ويعيش قصص حب كثيرة من حوله سواء أصحابه أو أقاربه أو زوجته أو أولاده، وقبل كل ذلك حب الله ورسوله، ولكي نصل لهذا القرب لا بد أن نسلط الضوء على معنى وقيمة إذا عشناهما في كل لحظة في حياتنا فسيكونان أساس كل خير في القلب؛ خير بيني وبين ربي، وخير بيني وبين نبيي، وخير بيني وبين نفسي، ثم بيني وبين الكون كله؛ ألا وهو ما الحب.

الحب أصل بداية الخير داخلك

ولا يوجد أحلى من ذكر معاني الحب التي أظهرها الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وكيف أن النبي صلى الله عليه وسلم تشبع قلبه بهذا الحب وأفاض به على كل المخلوقات من حوله لكي نتعلم أن حب النبي صلى الله عليه وسلم بوابة الحب لكل شيء ولكي نتعلم أن نحب كل ما حولنا مثلما كان يحب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعبر عن حبه.

وهنا هدفان كبيران هنيئاً لمن حققهما:



- أولهما أن نتعلم كيف نحب كل ما حولنا بتأمل حب النبي صلى الله عليه وسلم لكل ما حوله.
- ثانيهما أن نتعلم كيف نعبر عن حبنا.

وكثير منا يشعر أنه قريب من الله عز وجل ثم بعد ذلك يفعل شيئاً يبغده عنه سبحانه وتعالى، ولكي نجد علاجاً لهذا الأمر لا بد أن نتأمل أعلى نموذج للقرب من الله عز وجل؛ لأن القرب له قانون لو حافظت عليه لظللت قريباً، أما لو خرقت هذا القانون فوقتها تبعد والعياذ بالله.

أولاً مظاهر حب الله - عز وجل - للنبي صلى الله عليه

وسلم:

الله سبحانه وتعالى يحب النبي صلى الله عليه وسلم وهو سبحانه ليس كمثلته شيء، الحب البشري دائماً ما يشوبه نقص يحول بين المحب وكمال المحبة لكن عندما يكون هذا الحب موجهاً من الله عز وجل فالأمر يختلف، فلو تأملت روعة وجمال حبه تعالى لأغلى مخلوق صلى الله عليه وسلم وخلال السطور التالية فسترى:

الحب الكامل لن يكون إلا في حُب الله

- 1- كيف أظهر الله - عزَّ وجلَّ - حبه للنبي صلى الله عليه وسلم.
2 - كيف كان النبي الكريم صلى الله عليه وسلم يتأدب بأدب القرب من الله عزَّ وجلَّ.

(أقرار الأنبياء بنبوَّة الرسول صلى الله عليه وسلم)

قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ اللهُ النَّاسَ وَيَنْزِلَهُمْ لِلْأَرْضِ جَمَعَ الْأَنْبِيَاءَ وَقَالَ لَهُمْ مَا وَرَدَ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: {وَأِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ} [آل عمران: 81].

فأياها الأنبياء ستأتيتكم الحكمة وسأعلمكم علمًا من عندي ولكن لو جاءكم النبي صلى الله عليه وسلم وأنتم أحياء فآمنوا به وانصروه، قال: {أَفَرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَيَّ دَلِيلًا إِصْرِي قَالُوا أَفَرَرْنَا} [آل عمران: 81]. أتصور الآن الأنبياء كلهم (124 ألف نبي) مجتمعين وربنا يقول لهم: {أَفَرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَيَّ دَلِيلًا إِصْرِي} يعني عهدي {قَالُوا أَفَرَرْنَا}. أحس الآن أني أسمع أصوات الأنبياء الـ 124 ألفاً وهي تدوي: أقررنا {قَالَ فَاشْهَدُوا}. الكل يشهد أن محمدًا رسول الله {وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ}.

وكل الأنبياء تناقلوا هذا العهد الذي أخذه الله تعالى عليهم - كما يقول علماء العقيدة - في عالم الذر قبل أن يخلق الله الناس في الأرض، إذ جمع الأنبياء قبل أن ينزلوا ويخلقهم في الأرض، وأخذ عليهم هذا الميثاق، وأخذ الأنبياء يتناقلونه حتى وصل سيدنا عيسى عليه السلام وقال لقومه كما ورد في القرآن الكريم: {يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ} [الصف: 6] وهذا اسم النبي صلى الله عليه وسلم في الإنجيل.

كيف خاطب الله النبي صلى الله عليه وسلم؟

ومن أجمل ما في الحب الكلمة الطيبة التي دائماً تشرح الصدر وتشعره بالأمان. ودائماً كان الله تبارك وتعالى يكلم النبي بطريقة مختلفة عن كل البشر بل عن كل الأنبياء، ففي الأوقات التي كان يتأذى فيها النبي صلى الله عليه وسلم كان الله تبارك وتعالى يقول له: {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا} [الطور: 48]، وتأمل لو أنك قلت لأحد: أنت في عيني - بما تحمله هذه الكلمة من منزلة عالية لحبيبيك - فهل هناك أجمل من ذلك في التعبير عن الحب؟ وما بالك بقائل ذلك وهو الله عزَّ وجلَّ؟ فأي منزلة تلك التي حظى بها النبي صلى الله عليه وسلم عند الله وهو صلى الله عليه وسلم أهل لها وكيف لا وهو خاطبه المولى عزَّ وجلَّ فقال: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: 4].

فإنك بأعيننا!

وعندما كان الكفار يكذبون النبي صلى الله عليه وسلم بسبب استنقالهم تكاليف الإسلام، واستنقالهم ترك شرب الخمر والربا والسرقه وغير ذلك من عاداتهم الجاهلية كانوا يكذبونه صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون أنه صادق، وقتها كان ينزل كلام الله تبارك وتعالى بردًا وسلامًا على قلب حبيبه ومصطفاه صلى الله عليه وسلم: {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ...} أنت نجحت وبلغت الرسالة: {فَأِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآياتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ} [الأنعام: 33].

في الحب دعم

وعندما يشتد الحزن على النبي صلى الله عليه وسلم كان الله تبارك وتعالى يهون عليه ويأمره أن يتفرق بنفسه {لَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ} [فاطر: 8].

ويوم أن جاء نصر الله والفتح أنزل الله تهنئته للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ* وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا* فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا} [النصر: 1 - 3].

أمر الله المؤمنين أن يتلطفوا في كلامهم مع النبي صلى الله عليه وسلم

ومن حب الله تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أنه أمر المؤمنين أن يتلطفوا في كلامهم معه صلى الله عليه وسلم {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ} [الحجرات: 2]. أمر من الله تعالى مشروط بالإيمان؛ أي أنه من الإيمان ألا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي، لم يقف الأمر عند هذا الحد، لكن أتبع بتحذير لمن يخالف هذا الأمر ولا يراعي أدب التحدث مع النبي صلى الله عليه وسلم، تحذير من أن تحبط أعماله وتذهب سدى {أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ} [الحجرات: 2].

إرسال الله - عز وجل - جبريل عليه السلام تسرية لقلبه الشريف

وكان حب الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم أن بعث له جبريل عليه السلام عندما سألت دموعه حزناً على أمته، بعثه تسرية لقلبه الشريف ويسأله: ما لك؟ هو سبحانه السميع العليم وإنما السؤال بغرض التخفيف عن النبي صلى الله عليه وسلم وإشعاره أن الله معه كي لا يحزن؛ فينزل جبريل عليه السلام ويسأله: ما لك؟ فيقول: يا جبريل، أمتي. رأيت هذا الحب الشديد؟! يخشى النبي صلى الله عليه وسلم على أمته من عنادهم ومن معاصيهم أن توقعهم في عقاب الله، إنه الحب؛ حب النبي لأمته يصل إلى حد البكاء حزناً على احتمال تعرضهم للعقاب، فينزل جبريل عليه السلام مرة أخرى ويخبره بقوله تعالى: ((إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك)). وسوف يظهر حب النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة وتشفيعه في أمته وسيظهر مقامه العالي.

إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك

إنزال الجنة للنبي صلى الله عليه وسلم

ومن حب الله تبارك وتعالى للنبي أنه كان يُنزل إليه الجنة تترأى له في الدنيا، وأنه كان كما ورد في الحديث الصحيح كان يصلي بالصحابة وكان يمد يده أمامه ثم يرجعها فيسأله الصحابة رضوان الله عليهم فيخبرهم أن الجنة نزلت له فرأى قطعاً من عنب فمد يده لكي يأخذه ثم تراجع ولسان حاله يقول: ليس الآن وإنما في الآخرة مع أمتي وأصحابي وأحبائي.

تميز جسد النبي صلى الله عليه وسلم الشريف في

خلقه وبدنه

النبي صلى الله عليه وسلم الذي أحبه الله وميزه في كل شئ حتى في خلقته وفي بدنه الشريف، لدرجة أنه من نظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو مؤمن دخل الجنة وكذلك من نظر إليه النبي صلى الله عليه وسلم كما قالوا في تعريف الصحابة، والصحابة كما ذكر العلماء كلهم في الجنة.

جسده الشريف كان آية من آيات الله عزَّ وجلَّ، ففي سنة ست من الهجرة والنبى والصحابه عائدون من صلح الحديبية أصابهم العطش لطول المسافة بين مكة والمدينة وكانوا يريدون أن يشربوا ويتوضئوا ولا يوجد من الماء سوى القليل، كوب ماء صغير كما في صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله، فيضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الماء القليل فيثور ويفور من بين أصابعه. لم يأمر الله النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو لينهمر المطر ولكن كل ما فعله هو أنه وضع يده الشريفة في الماء ليخرج متدفقاً من بين أصابعه وكان عددهم 1500 صحابي ويسأل واحد من الناس سيدنا جابر بن عبد الله راوي الحديث كما كان عددكم؟ فيقول: لو كنا مائة ألف لكفانا ولكن كنا خمس عشرة مائة.

حتى عرقه الشريف صلى الله عليه وسلم كان آية من آيات الله وعلامة على محبة الله تعالى، كان النبي صلى الله عليه وسلم يمشي على الأرض وفيه صفات أهل الجنة. أليس أهل الجنة رشحهم المسك كما جاء في الحديث الشريف؟ كان النبي صلى الله عليه وسلم رشحه أو عرقه من المسك، جاء في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يذهب عند السيدة أم سليم وكانت من محارمه صلى الله عليه وسلم وهي أم سيدنا أنس خادم النبي، وينام عندها وقت الظهيرة، ويحكي سيدنا أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم عندما نام بدأ العرق يتحدر ويتجمع على الجلد الذي كان صلى الله عليه وسلم نائماً عليه، فإذا بالسيدة أم سليم تأخذ العرق وتضعه في قارورة العطر وعندما يستيقظ النبي صلى الله عليه وسلم يسألها ماذا صنعت يا أم سليم؟ فنقول: يا رسول الله، أطيب به طيبنا؛ فعرقه صلى الله عليه وسلم أطيب من العطور.

يقول القاضي عياض في كتابه ((الشفاء بتعريف حقوق المصطفى)) وهو كتاب رائع جمع فيه منه السنة والأحاديث التي فيها حب الله للنبي صلى الله عليه وسلم إن الصحابة كانوا يمشون وراء النبي صلى الله عليه وسلم في طرقات المدينة المفتوحة - ليست مغلقة أو ضيقة - فيشمون عطر النبي صلى الله عليه وسلم كان الله تبارك وتعالى يحبه فجعل كل شيء فيه آية صلى الله عليه وسلم.

ثانياً: آداب القرب من الله - سبحانه وتعالى:



القرب من الكبار له قانون، وهذا القانون لو راعيته لفتحت لك الأبواب المغلقة ولأصبحت من المقربين، وقبل أن نتكلم عن سيد المعلمين صلى الله عليه وسلم وأدب القرب من الله لا بد أولاً أن نتذكر أنفسنا، عندما يقترب أيُّ منا من الله عزَّ وجلَّ ويشعر أن الله راضٍ عنه ويرى علامات ذلك الرضا من الاهتمام بالطاعات والبكاء في السجود وتيسير أعمال الخير لكي ينفق في سبيل الله قد يطمئن ويرى نفسه آمناً وينسى أنه لابد دائماً أن يرى الله عزَّ وجلَّ وبدلاً من ذلك يبدأ في رؤية نفسه وأعماله، وتظهر عليه علامات سوء الأدب مع الكبار ويبدأ في طلب العوض عما يفعله.

التواضع الدائم - لله عزَّ وجلَّ -:

وفي هذا المعنى يحضرنى مثال - والله المثل الأعلى - لو أن ملكاً من أعظم ملوك العالم، أو رئيس دولة دعا شخصاً ما للغداء، وغمرت هذا الشخص فرحة غامرة ما بعدها فرحة، أنت ذاهب لتأكل مع الملك، وتكرر الأمر في اليوم الثاني، وسمح لك الملك بدخول قصره والجلوس معه والأكل في طبقه، وثالث ورابع يوم كذلك.. وفي اليوم الخامس يقول هذا الشخص للملك: لقد عانيت كثيراً كي آتي إليك؟ فيتعجب الملك ويذكره بأن جائزته التي يتمناها كل الناس أنه سمح له بالجلوس معه وتقريبه منه.

هذا الشخص لم يراعِ أدب القرب من الكبار ووطن أنه مميز عن غيره لدرجة أنه عندما كان يخرج من عند الملك كان ينظر للناس نظرة تعالٍ فيرى تقصيرهم خطيئة كبيرة ويرى تقصيره متجاوزاً عنه لأنه من المقربين، يحقر من أعمال الناس ويرى عمله كبيراً.

ولكن، لننظر إلى أدب النبي الذي ليس أحد أقرب إلى الله منه، انظر إلى أدبه صلى الله عليه وسلم وهو الذي يرى مقامه العالي عند الله تعالى؛ ففي الصلاة في التشهد يقول: السلام عليك أيها النبي. ويقول ذلك كل المسلمين وراءه وبعدها بقليل يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد. كل هذا القدر العظيم وهذه المنزلة العالية عند الله تعالى، ولننظر كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم مع هذا يدخل إلى الصلاة كما ورد في الحديث

الذي في صحيح مسلم، كان صلى الله عليه وسلم يبدأ الصلاة ويقول: **((وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيئاً وما أنا من المشركين. إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين))**.

اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت ربي، خلقتني وأنا عبدك ظلمت نفسي - النبي صلى الله عليه وسلم يقول ظلمت نفسي واعترفت بذنبي - فاغفر لي ذنوبي جميعاً فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، اللهم اهْدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت، وعندما يركع يقول: خشع سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي وقلبي. وكل شعرة في جسmy وكل نقطة دم مليئة بحبك يا من رفعت مقامي وأنا لست ناسياً أي عبدك.

دوام الافتقار إلى الله:

تخيل النبي وهو يقول: اغفر لي خطيئتي، وهو صلى الله عليه وسلم المعصوم ولكنه لا يتعدى حدوده: العبد عبد والرب رب، وكان صلى الله عليه وسلم عندما ينزل المطر عليه وهو بين الصحابة يجدونه يفتح أزرار قميصه لكي ينزل المطر على جسمه فيسألونه فيخبرهم أن المطر حديث عهد بربه، وهكذا كان يُعلم أصحابه دوام الافتقار إلى الله والتماس الرحمة والبركة أينما وُجدت.

هذا الحديث الذي يذكرنا بفطرة الأطفال الصغار الذين يجرون في الشوارع يحبون أن ينزل المطر على أجسادهم، هذه فطرتهم، المطر أت من عند الله وهم يحبون أن ينزل على أجسادهم. أدب قرب النبي صلى الله عليه وسلم الذي وصل إلى منزلة لم يصل إليها أحد من خلق الله تعالى، منزلة توقف عنها جبريل عليه السلام وتجاوزها النبي صلى الله عليه وسلم بمحبة الله تعالى له.

دوام الاستغفار والخشية من الله عز وجل:

مع هذه المنزلة الرفيعة كان النبي صلى الله عليه وسلم دائم الاستغفار، دائم الخشية لله تعالى، دائم الذكر في كل أمور حياته، حتى إنه كان إذا رفعت مائدته يقول: ((الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا غير مكفي ولا مودع ولا مستغنى عنه)) (1). كأنه يقول كيف أكفيك وأوفيك شكرك على نعمك يا رب، ولا مودع؟ يعني: أريد المزيد من بركتك يا رب العالمين، ليس هذا آخر حمد أحمدك إياه؛ لأن نعمك كثيرة لا تحصى، ولا مستغنى عنه: لا أنشغل بنعمك عنك يا الله. هذا هو أدب القرب من الله تعالى الذي لا يجعل العبد ينسى أنه عبد لله تعالى.

دعاء:
اللهم إنا نسألك
حبك وحب من
يحبك وحب عمل
يقربنا إلى
حبك..

إنها قصة حب عظيمة، حب المولى عزَّ وجلَّ لخاتم أنبيائه ومرسله وخير خلقه أجمعين، يخاطبه الله تعالى بأطيب الكلام ويصفه بأجمل الصفات، وكم هو عظيم أن يمدح المولى عزَّ وجلَّ نبيه الكريم! ما هذه العظمة؟! إنها العظمة التي تجعل العبد يتجاوز حدوده. نسأل الله تعالى أن يرزقنا حبه وحب نبيه صلى الله عليه وسلم.

الخلاصة

أهم هدفين لا بد أن يحققهما المؤمن:

- 1- نتعلم كيف نحب كل ما حولنا بتأمل حب الله - عزَّ وجلَّ - للنبي صلى الله عليه وسلم.
- 2- نتعلم كيف نعبر عن حينا.

ولكي تصل إلى هذين الهدفين لا بد أن تعرف:

- كيف أظهر الله - عزَّ وجلَّ - حبه للنبي صلى الله عليه وسلم.
- كيف كان النبي الكريم صلى الله عليه وسلم يتأدب بأدب القرب من الله عزَّ وجلَّ.

أولاً: مظاهر حب الله - عزَّ وجلَّ - للنبي صلى الله عليه وسلم:

- 1- إقرار الأنبياء بنبوّة الرسول صلى الله عليه وسلم.
- 2- مخاطب الله - عزَّ وجلَّ - النبي صلى الله عليه وسلم بواسطة الكلمات الطيبة.
- 3- أمر الله المؤمنين أن يتلطفوا في كلامهم مع النبي صلى الله عليه وسلم.
- 4- إرسال الله - عزَّ وجلَّ - جبريل عليه السلام تسرية لقلبه الشريف.
- 5- أنه سبحانه وتعالى كان يُنزل إليه صلى الله عليه وسلم الجنة تتراءى له في الدنيا.
- 6- تمييز جسد النبي صلى الله عليه وسلم الشريف في خلقته وبدنه.

ثانياً: أدب القرب من الله - سبحانه وتعالى:

التواضع الدائم لله، عزَّ وجلَّ.
دوام الافتقار إلى الله والتماس الرحمة والبركة أينما وُجدتا.
دوام الاستغفار، ودوام خشية الله تعالى، ودوام الذكر في كل أمور الحياة.
* * *

(1) رواه البخاري رقم (5147).

2- حب الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم

نعلم جميعًا ان الصحابة - رضوان الله عليهم- احبوا النبي صلى الله عليه وسلم حبًا عظيمًا، مهاجرين وأنصارًا، والأمثلة في السيرة كثيرة جدًا وسوف نتعرض لبعضها، لكني أود أن أوضح حينا نحن للرسول ونحن لم نره، كيف يكون؟ وهل نحبه مثلما أحبه الصحابة، فقد كانوا - رضوان الله عليهم - يحبونه حبًا لا يدبر بالعقل، لكنهم أحبوه بفطرتهم؛ ولذلك يقولون أن حب النبي صلى الله عليه وسلم فطرة الفطر، لأن القلب مفطور على حبه، ومثال ذلك أنك إذا أتيت اليوم لأي شخص بَعْدَ عن الله أو قُرْبَ منه، حتى لو ارتكبت، وذكرت أمامه النبي محمداً، لا يملك إلا أن يقول: صلى الله عليه وسلم ، رغم أنه يعلم من نفسه ما يعلم، ويعلم أنه بعيد كل البعد عن الله - سبحانه وتعالى- وعن رسوله صلى الله عليه وسلم لكنك تسمع منه الصلاة على النبي من كل قلبه؛ لذلك نقول إن حب النبي صلى الله عليه وسلم فطرة الفطر.

وفي صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((إن من أحب الناس إليَّ أقواما أتوا من بعدي يود أحدهم لو رأني بأهله وماله)) (1) وهكذا لم تكن رسالة الحب من الله إلى النبي صلى الله عليه وسلم في أصحابه فقط، بل إنها في كل وقت وحين، في حال حياته وبعد صلى الله عليه وسلم مماته، مع أصحابه صلى الله عليه وسلم ومعنا نحن؛ من أتوا من بعده حتى قيام الساعة، فهناك أناس رأهم النبي صلى الله عليه وسلم بقلبه وشعر وأحس بهم في عصورنا هذه مع أنه لم يره بعينه، يتمنى أحدهم لو يرى النبي صلى الله عليه وسلم، ويضحى بكل شئ في سبيل رؤيته، بل إن هناك أناسًا بعينيه، مستعدين لتترك أموالهم وأهليهم ليس فقط من أجل التحدث مع النبي صلى الله عليه وسلم ولا السلام عليه ولا الجلوس معه، ولا حتى استشارته لكن لرؤيته على الحقيقة من بعيد، سيشعرون بالشبع، سيشعرون بالشبع، فعلاً رأوه ولو مرة واحدة.

ومع كل محب للنبي صلى الله عليه وسلم رسالة من الله إليه صلى الله عليه وسلم كأنه - عزَّ وجلَّ - يقول: يا محمد إني أحبك، ولذا فقد حبيت فيك الدنيا بأسرها حتى الجمادات، حتى النباتات، حتى الدواب، وكان - عزَّ وجلَّ - يقولها له بطرق مختلفة مع اختلاف الأنواع، ومع اختلاف الأشخاص، حتى ينزل حب الناس الذي هو من حب الله بردًا وسلامًا على قلبه.

وللإمام الذهبي رواية، والإمام الذهبي متوفي سنة 748 هـ؛ أي أنه جاء بعد النبي صلى الله عليه وسلم بحوالي 700 سنة، يحكي الإمام الذهبي قصة تابعي جليل اسمه عبيدة، هذا التابعي الجليل جاء بعد النبي صلى الله عليه وسلم بخمسين عامًا، فهو لم يرى النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه رأى الصحابة- رضوان الله عليهم- وحدثه بعضهم بأن عندهم شعرة من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي عندهم مثل الصورة عندنا، فلو سمعت عن أحد الصالحين اليوم، ورأيت أن ذكره حسن، وسيرته طيبة فأحبيت أن تراه، فيقدم لك من حولك صورة له لتراه، لكن أيام الصحابة والتابعين كانوا يحتفظون بشعر النبي صلى الله عليه وسلم وأدواته، وبردته وهكذا تخيل معي أخي الحبيب.. إنها شعرة! وعندما حدث الصحابة سيدنا عبيدة بأن لديهم شعرة من شعر النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم هذا التابعي الجليل: لو أن عندي شعرة من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم أحل إليَّ من كل صفراء وبيضاء على ظهر الأرض وباطنها. يعني أحل إليَّ من كل ذهب وفضة. يقول الإمام الذهبي معلقًا: إذا كان هذا قول رجل جاء بعد النبي صلى الله عليه وسلم بخمسين عامًا فما الذي نقوله نحن الآن في هذا الوقت لو وجدنا شعرة من شعر النبي صلى الله عليه وسلم أو

شَسَع نعله أو قلامة ظفره، فلو أنفق الغني ماله ليحصل عليها أكنت تعده مبدراً أو مسرفاً؟ لا والله، فابذل كل ما عندك في سبيل زيارة مسجده، في سبيل زيارة قبره والسلام عليه وعلى صاحبيه الصديق والفاروق رضى الله عنهما، والتلذذ بالنظر إلى جبل أحد؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحبه، ويقول: **"أحد جبل يحبنا ونحبه"** (1)، ونحن نذكر عندما صعد النبي صلى الله عليه وسلم جبل أحد هو وسيدنا أبو بكر وسيدنا عمر وسيدنا عثمان فاهتز الجبل فرحاً لقدم النبي صلى الله عليه وسلم وصعوده عليه. فقال صلى الله عليه وسلم **" اثبت أحد فإنما عليك نبئٌ وصديقٌ وشهيدٌ"** (2).

أحد جبل يحبنا ونحبه

هل رأيت كيف أحب الجماد رسول الله، فما بالك بحب الصحابة رضى الله عنهم وهم من رأوا النبي وعاشروه وأكلوا وشربوا معه في إناء واحد وحاربوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم معه صلى الله عليه وسلم؟!!

ففى بداية الدعوة كان الإيذاء شديداً جداً، وكان من عادة العرب ((الجوار))؛ أي أن يدخل الضعيف في جوار الغني. **فعثمان بن مظعون** أحد أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهو من قدماء الصحابة ومن المهاجرين الأوائل، كان في جوار **الوليد بن المغيرة** والد سيدنا خالد بن الوليد وكان من عظماء قريش وأكابرهم، وكان سيدنا عثمان بن مظعون في جوار هذا الرجل فكان يتمتع بالرخاء والدعة وما كان أحد يستطيع أن يؤذيه، لكنه كان يرى أذى المشركين للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فذهب للوليد بن المغيرة ورد عليه جواره، فقال له الوليد ابن المغيرة: هل آذاك أحد من قومي؟ هل تجرأ أحد على جوارى؟ فقال له سيدنا عثمان ابن مظعون: لا ولكنى أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأذى هو وأصحابه فلا أطيق أن أكون في راحة ورسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في كرب شديد، وأريد أن أكون على الحال الذي هم فيه. وذهب الصحابي الجليل أمام الكعبة وقال: يا معشر قريش، قد رددت على الوليد جواره وجلس في الكعبة بجوار الضعفاء والفقراء، وفي يوم من الأيام حدث أن الشاعر لبيداً قال:

ألا كل شئ ما خلا الله باطلٌ

فقال عثمان بن مظعون: صدقت.

فقال لبيد: وكل نعيم لا محالة زائلٌ

فقال عثمان بن مظعون: كذبت، فنعيم الجنة لا يزول.

فقال لبيد: منذ متى والشعراء يهانون في بلادكم يا معشر قريش؟

يهون كل شئ فى سبيل الله

فرد عليه الناس بأنه سفيه، قد ترك دين أقوامنا واتبع دين محمد، فرد عليهم عثمان بن مظعون وقال: لا، لست سفيهاً. فضربوه وأذوه وأصابوا عيناً من عينيه ومر عليه الوليد بن المغيرة وقال له:

يا عثمان، لقد كنت في ذمة منيعة، ولكن سيدنا عثمان بن مظعون يرد عليه بقول حكيم جامع مانع ويقول: يا هذا، إن عيني السليمة لفي شوق لما أصاب أختها في سبيل الله. وكأنه يقول اضربوا

جسدي كله وافعلوا ما شئتم حتى يكون حالي مثل حال حبيبي النبي صلى الله عليه وسلم. ولك أن تتخيل شعور النبي صلى الله عليه وسلم وهو يرى أصحابه يُضربون من أجله، ويتأذون، فهو صلى الله عليه وسلم يحب أن يراهم في عافية، ويحب أن يراهم سعداء، لكن كيف يكون شعوره وعثمان بن مظعون يقول له سأختار عيشة البلاء، أريد أن أعيش مثلما تعيش يا رسول الله، لا أريد عيش الأغنياء السعداء، فسعادتي وغناي أن يكون حالي مثل حالك.

ربح البيع أبا يحيى

وانظر إلى الصحابي الجليل صهيب الرومي – رضي الله عنه وأرضاه – عند الهجرة، عندما أراد أن يلحق النبي صلى الله عليه وسلم وكان رجلاً موسراً، فخرجت له مكة ووقفت قريش وقالوا له: جئتنا صلوكاً لا مال لك وقد كثر مالك عندنا، فإن أردت الذهاب فاترك لنا كل ما تملك. فقال: لو دللتكم على كنزي فهل أنتم تاركي؟ فقالوا: نعم ((فدلهم عليه وهاجر للنبي صلى الله عليه وسلم وعندما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ((ربح البيع أبا يحيى.. ربح البيع أبا يحيى)) (1)، ورغم أنه لم يكن عنده ولد يسمى يحيى فإن النبي صلى الله عليه وسلم كناه بذلك؛ ليحيا قلبه ويحيا دينه وتحيا آخرته بحب النبي صلى الله عليه وسلم.

حب النبي صلى الله عليه وسلم حياة للقلوب ونجاة في الآخرة

ويقول الشيخ محمود المصري عن حب الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم " رأيتكم كيف أحب الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم حتى بذلوا في حبه المال والنفوس؟ فبالحب سنخدم ديننا، وبالحب سنعمر بلدنا، وبالحب سنعمر الكون، وبالحب سنصل لمرضاة الله تبارك وتعالى، وبالحب سيحبنا الله، وبالحب سنصل لجنة ربنا، وبالحب سنشرب من حوض النبي محمد صلى الله عليه وسلم لأنه نبي الحب ونبي المحبة الذي علمنا كيف نحب الكون كله، وعلمنا ابتداءً كيف نحب الله حباً صادقاً، حتى إنه كان يدعو دعاءً يسأل الله فيه الحب فكان يقول: " اللهم إنا نسألك حبك، وحب من يحبك، وحب كل عمل يقربنا إلى حبك" (1).

فالنبي صلى الله عليه وسلم علمنا كيف نحب، فلو لم تحب الأرض البذرة لما خرجت النبتة، فنحن في حاجة إلى أن يحب بعضنا بعضاً بصدق لا لمصلحة ولا لحاجة ولكن لله في الله.

إنك لن تسع الناس وتؤلف القلوب إلا بالحب

وقد علمتني والدتي، رحمها الله تعالى، ألا أظهر للناس تعبي، ولا حزني، وأن البسمة لا بد أن تكون مرسومة على وجهي طوال الوقت قائلة لي: إنك لن تسع الناس بمالك ولا بجاهك ولا بمنصبك ولا بمنزلتك إنما بالبسمة تستطيع أن تسع كل الناس وتتألف قلوبهم، فنسأل الله أن يرزقنا جميعاً الحب في الله، ويجمعنا وإياكم تحت ظل عرشه، ويجعلنا وإياكم ممن يحبهم الله سبحانه

وتعالى، وأبشروا با إخواني فإن الله إذا أحب عبداً نادى يا جبريل إني أحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في ملائكة السماء إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فتحبه ملائكة السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض.

دعاء اللهم ارزقنا حبك
بين أهل الأرض
والسما

أرأيت كيف يذاع الحب وينشر في السماوات السبع؟ أرأيت الاحتفال الملائكي بهذا الحب العظيم؟ أرأيت كيف يجتمع أهل الأرض على الحب؟ لنجتمع يوم القيامة مع أجمل حب ومع أجمل حبيب على حوضه صلى الله عليه وسلم نشرب من يده الشريفة شربة هنيئة مريئة لا نظماً بعدها أبداً، ثم ندخل الفردوس وهو جنة الحب التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر".

الله أكبر .. جاء محمد.. جاء رسول الله صلى الله عليه

وسلم

نعود إلى حب الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم فنقول: هذا الحب هو الذي جعل الصحابة يتركون ديارهم وأموالهم وأهليهم ووطنهم ليسيروا 450 كيلو متراً من مكة إلى المدينة، ولعل الله - عزَّ وجلَّ - أراد من ذلك أن يقول لنبيه إن من أدوك وأخرجوك من دارك ومن المكان الذي تحب، ما فعلوا ذلك إلا لتُقَيِّضَ لك من يحبون التراب الذي تمشي عليه، فعندما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة خرج النساء والأطفال والرجال والجميع حتى الخدم خرجوا ليستقبلوا النبي صلى الله عليه وسلم يقفون من أول النهار حتى آخره ينتظرون ليستطلعوا نور النبي صلى الله عليه وسلم ويبقون كل هذا الوقت ليروا إطلالة النبي صلى الله عليه وسلم، يقفون في الشمس المحرقة في انتظار الحبيب، وفي اليوم الذي قدم فيه النبي صلى الله عليه وسلم هو وصاحبه الصديق أبو بكر إذا به صلى الله عليه وسلم يسمع هتاف الناس من بعيد: الله أكبر.. جاء محمد.. جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم.

صاح بها النساء والأطفال والشيوخ والرجال ومن يومها سميت بالمدينة المنور: لأنه صلى الله عليه وسلم نورها وشرفها. وعند قدومه صلى الله عليه وسلم أخذ الناس يشدون حبل ناقة النبي، والنبي يقول لهم: دعوها فإنها مأمورة. حتى توقفت أما دار الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، وكان لهذا الصحابي الجليل بيت مكون من طابقين، فأخذ سيدنا أيوب يعرض للنبي صلى الله عليه وسلم أيهما يسكن وأحبهما إلى قلبه، لكن النبي صلى الله عليه وسلم وهو من أدبه ربه فأحسن تأديبه يختار الطابق الأسفل حتى لا يمر زواره - إذا هو سكن في الأعلى- على أبي أيوب الأنصاري.

انظر إلى تعويض الله عزَّ وجلَّ لنبيه وكأنه يقول له لقد أخذت قريش منك دارك، وقد تركتها مضطراً، فأدخلتك مختاراً داراً أحب إليك من الدار التي سُلِّبت منك، وأخذت منك أرضك، فأبدلتك أرضاً غيرها، ثم يسكن النبي صلى الله عليه وسلم أسفل ويبدأ سيدنا أبو أيوب يُقدِّم للنبي صلى الله عليه وسلم الطعام، ويأكل النبي صلى الله عليه وسلم حتى ترفع المائدة من أمامه، فيتلقفها أبو أيوب هو وزوجته وأولاده ليبحتوا عن مواضع أصابع النبي صلى الله عليه وسلم في الإناء، حتى يأكلوا

من نفس المكان الذي أكل منه صلى الله عليه وسلم ليتلمسوا بركة يد الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم.

حب النبي صلى الله عليه وسلم فيه من البركة ما يسع كل شيء

ويتذكر النبي صلى الله عليه وسلم الأيام العجاف التي مرت عليه وعلى أصحابه في شعب أبي طالب عندما حاصرته قريش، ومنعوا عنه الطعام والشرب والمتاجرة ثلاثة أعوام، وكانت اللقمة وقتها تكفي عشرة رجال يقتسمونها معًا من أجل أن تمر تلك المجاعة، أما الآن فالطعام يُرفع من أمامه، وهناك من يجب أن يأكل بعده ليتلمس بركة يده، لأنهم يحبونه والحب لا يدبر بالعقل. ومن شدة حب الصحابة- رضوان الله عليهم - للنبي صلى الله عليه وسلم أن يُكسر الزير عند أبي أيوب الأنصاري في الطابق الأعلى فوق النبي صلى الله عليه وسلم وحتى لا يقع الماء على الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم يسرع أبو أيوب ليجفف بلحافه الماء وليس عنده غيره، ويقول: والله لا أملك أنا وزوجتي إلا هو ولكن لأن نجلس في البرد أحب إلينا من أن تؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم قطرة ماء. ثم يتجلى هذا الحب عند هذا الصحابي الجليل في أنه ما عاد يستطيع أن يمشي على سقيفة يسكن النبي صلى الله عليه وسلم تحتها، فيذهب لرسول الله ويقول له: لا أستطيع أن أدب بقدمي على سقيفة أنت تحتها يا رسول الله، اصعد إلى أعلى، فيصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أعلى؛ حتى يرضي صاحبه أبا أيوب الأنصاري الذي ما عاد يستطيع السُّكنى فوق رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا يكون الحب، وهكذا يكون التفاني في الحب، أن أكون كما يحبني حبيبي، لا كما أحب أنا. يقول المتنبي (1):

التفاني في الحب

أعيش وقد ختمت على فؤادي بحبك أن يكون به سواكا
فلو أنني استطعت غلقت عليني فلم أبصر بها حتى أراكا
أحبك ببعضي بل بكلي وإن لم يُثِقْ حُبك لي حراكا

ويتجلى هذا الحب العظيم في يوم بدر، فالنبي صلى الله عليه وسلم وصحابته 300 والمشركون 1000 ولكن الصحابة رضوان الله عليهم مهاجرين وأنصارًا يرجون ذلك اليوم ليفدوا النبي صلى الله عليه وسلم بأرواحهم كما أزروه بأموالهم.

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول لهم أشيروا عليَّ أيها الناس، فيقوم أبو بكر الصديق وعمر الفارق رضي الله عنهما ويتكلمان بما فتح الله عليهما من الكلام، لكن النبي صلى الله عليه وسلم يريد أن يعرف إلى أي مدى وصل حبه في قلوب الأنصار، وعندما سمع سيدنا سعد بن معاذ النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: ((أشيروا أيها الناي عليَّ)) (1) قال: يا رسول الله كأنك تقصدنا، كأنك تريدنا يا رسول الله؟ لقد آمننا بك وصدقناك وأعطيناك على ذلك عهدنا وموآثيقنا، فوالله لو سرت بنا إلى برك الغماد لسرنا معك وما تخلف منا رجل واحد، فوالله إننا لَصُبْرٌ في الحرب صُدُقُ اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك.

ويسمع الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم هذا الكلام ويفرح ويقول: أبشروا فإن الله عز وجل قد وعدني إحدى الحسنين النصر أو الشهادة.
ويقوم سيدنا المقداد ويقول:

((يا رسول الله، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، ولكننا نقول لك اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما ممقاتلون)).

اللهم اجعلنا في أفعالنا
لك مهاجرين ولديك
ناصرين وأنصارًا

ولم يقتصر الحب على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لكن أحبابه لن يذهبوا من الدنيا فهم منتشرون في كل مكان من أرض الله، ويزيدون في كل لحظة، والذين يُصلُّون على النبي صلى الله عليه وسلم يزيدون في كل يوم، ومداحه وعشاقه لا ينتهون أبدًا، أحباب النبي صلى الله عليه وسلم أيام الصحابة كانوا مهاجرين وأنصارًا، ونحن الآن مهاجرون وأنصار أيضًا. فالمهاجر منا من هجر ما نهى الله عنه، والأنصاري هو الذي ينصر النبي صلى الله عليه وسلم وينصر دينه. فلو هجرت أي فعل أو قول لا يحبه النبي صلى الله عليه وسلم فأنت من المهاجرين إن شاء الله، ولو نصرت دين النبي وكلامه صلى الله عليه وسلم فأنت من الأنصار وستكون من أحباب النبي صلى الله عليه وسلم نسأل الله أن نحشر مع حبيبتنا محمد صلى الله عليه وسلم ومع الصحابة الأطهار ومع الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

الخلاصة

- حب الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم ملأ قلوبهم فأغناهم عن كل شيء.
- ترحيب أهل المدينة بالنبي صلى الله عليه وسلم عند قدومه عوضه عن فقدته لأرضه.
- موقف الصحابة رضوان الله عليهم يوم بدر وإعلانهم تمام الحب والاستسلام لأوامر الله ورسوله من مواقف جبر الله لنبيه صلى الله عليه وسلم.
- لو هجرت أي فعل أو قول لا يحبه النبي صلى الله عليه وسلم فأنت من المهاجرين إن شاء الله.

* * *

(1) رواه مسلم رقم (5167)

(1) رواه البخاري رقم (4169).

(2) رواه البخاري رقم (3493).

(1) المستدرک على الصحيحين رقم (5687).

(1) المستدرک على الصحيحين رقم (1872).

(1) هو أحمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفي أبو الطيب الكندي الكوفي المولد، نسب إلى قبيلة كندة نتيجة ولادته بحي تلك القبيلة في الكوفة لانتمائه لهم. وكان من أعظم شعراء العرب ولد (303 هـ - 915 م) وتوفي عام (354 هـ - 965 م) عن عمر يناهز الخمسين عامًا.

(1) رواه البخاري رقم (3959).

3- الحب لا يدبر بالعقل

كلنا محتاجون إلى أن نُحِبَّ وأن نُحَبَّ، وفي قلوبنا خير كثير لن يخرج إلا بالحب، ولو انتشر الحب في كل نواحي حياتنا وتفصيل حياتنا لعشنا سعادة أيامًا كثيرة. كل تفاصيل حياة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تمثل قصة حب جميلة بدأت مع رب العالمين - سبحانه وتعالى - الذي كان يحبه ويرسل إليه رسائل الحب التي يظهر فيها حبه له.

الحب أقوى من العقل

والحب لا يُدبَّر بالعقل؛ فالذي يحب أحدًا يضحى من أجله، ويعمل كل شئ لإرضائه؛ لأن الحب أقوى من العقل، وحب الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم كان أصلًا من حب الله؛ لأن الصحابة الذين كانوا حول النبي صلى الله عليه وسلم عبارة عن قصة حب في حياة النبي، وكأن الله - سبحانه وتعالى - يقول لنبيه إنني أحبك ولهذا أسكنت حبك في قلوب العالمين ومنهم أصحابك وكل أمتك.

ومن مظاهر هذا الحب أن سيدنا سعد بن معاذ الأنصاري قال للنبي صلى الله عليه وسلم ((لقد أعطيناك العهود والمواثيق على نصرتك.. يا رسول الله، صل حبال من شئت واقطع حبال من شئت، لو خضت بنا برك الغماد ما تخلف منا عنك أحد لتجدنا صابرين في الحرب صادقين عند اللقاء)). و(برك الغماد) موضع بمكة أو أقصى مكان معمور في الأرض. ومن هذه المظاهر موقف المقداد بن الأسود الذي قال للنبي ((والله لا نقول لك إنا هنا قاعدون، ولكن نقول لك اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون)).

ومن أجل حب النبي صلى الله عليه وسلم يجب علينا أن نغيّر الصحبة ونقطع الصلة بكل ما يجزنا إلى المعاصي فيقطع طريقنا إلى حب النبي الذي هو أعلى علينا من أرواحنا وأصحابنا ومن الدنيا كلها.

صورة الفعل كدليل للحب (أنت وصية الرسول لي)

وقد تعمق حب النبي صلى الله عليه وسلم في قلوب الصحابة وملا عليهم قلوبهم ولم يعودوا يفكرون في شئ إلا تنفيذ ما يوصي به الرسول أو يطلبه سواء سمعوا منه صلى الله عليه وسلم مباشرة أو سمعوا من أحد عنه. ومن مظاهر ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم حين أوصى أصحابه بالأسرى تحولت العداوة إلى صداقة، وكان المسلم يقول للأسير أنت وصية الرسول لي، وهكذا تغيرت المشاعر بكلمة واحدة من الرسول صلى الله عليه وسلم.

وفي يوم عزوة أحد بقي مع الرسول صلى الله عليه وسلم عدد قليل جدًا، فكان كل واحد يقول للرسول من غير تدبر أو تفكير: وجهي لوجهك الوقاء ونفسي لنفسك الفداء، هكذا قالوا من غير تفكير. وقد قتلوا جميعًا وكان آخرهم يزيد بن السكن، فنزل النبي صلى الله عليه وسلم وترك كل شئ معه في أثناء المعركة ووضع على رجليه وقال كلمته الخالدة: ((اللهم إني أشهدك أنه قد وفى))؛ هؤلاء من كثرة حبه للنبي لم يفكروا في حياتهم.

اللهم اجعلنا ممن يقول
فيهم ونفسي الحبيب
صلى الله عليه وسلم يوم
لقاءك ((اللهم إني أشهدك
أنه قد وفى))

وفي اليوم نفسه أصيب النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه وانكسرت إحدى أسنانه وهو في السادسة والخمسين من عمره، وبعد انتهاء الحرب أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يصعد فوق الحبل فوضع إحدى رجليه على صخرة، وأراد أن يضع الأخرى على صخرة أخرى لكنها كانت بعيدة فجاء أحد أحبائه وهو طلحة بن عبيد الله وقعد على الأرض وطلب من النبي أن يضع رجله الشريفة على ظهره ليصعد فوقها، فنظر إليه النبي وقال له ((أوجب طلحة)) (1)؛ أي أن عمك هذا أوجب لك فتح الجنة.

وأنتم تعرفون أن أعمالنا تعرض على الرسول صلى الله عليه وسلم كما جاء في البزار: ((حياتي خير لكم ووفاتي خير لكم تعرض علي أعمالكم فما رأيت من حسنة أحمد الله عليها، وما رأيت من شر أستغفر الله لكم)) (2).

أبواب نصر النبي صلى الله عليه وسلم

ولهذا ينبغي أن يحرص كل واحد منا على أن تكون أعماله أهلاً للعرض على نبينا وإرضائه.. وأبواب الدخول على الله، وكذلك أبواب نصره النبي كثيرة، ومنها على سبيل المثال مساعدة أطفال الشوارع المشردين والإحسان إليهم، وعدم النظر إليهم على أنهم مجرمون، فهم ضحايا السرقة وبعض التقاليد السيئة في المجتمعات، فيجب علينا أن نكون مثل هؤلاء الصحابة في حب النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقد كان الصحابة يطوفون بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يحلق حتى لا تسقط شعرة على الأرض، وكانوا يبتسمون من أجل أن الابتسامة في وجه المسلم صدقة حث عليها الرسول صلى الله عليه وسلم انظروا؛ الابتسامة مظهر من مظاهر حب النبي، وأحباب النبي ليسوا هم الصحابة فقط بل هم موجودون في كل زمان إن شاء الله.

الخلاصة

- نحتاج جميعاً إلى تطبيق الحب في جميع جوانب حياتنا حتى نعيش سعادة.
- حب الصحابة - رضوان الله عليهم - للنبي صلى الله عليه وسلم والتضحية من أجله.
- ينبغي لنا أن نحرص على أن تكون أعمالنا ترضي الله وعلى سنة حبيبنا صلى الله عليه وسلم.
- أبواب نصره النبي كثيرة، ومنها على سبيل المثال مساعدة أطفال الشوارع المشردين والإحسان إليهم.

(1) المستدرك على الصحيحين رقم (5581).

(2) الطبقات الكبرى لابن سعد رقم (1784).

4- ازرع الحب تحصد الحب

ما معنى أن يتمنى الصحابة فداء رسولهم صلى الله عليه وسلم بأرواحهم؟
ما معنى أن يأخذ المسلمون شعر الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يخلق ولا يتركون شعرة تقع على الأرض؟

ما معنى أن يقول كل واحد من الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم: وجهي لوجهك الوفاء ونفسي لنفسك الفداء؟

ما معنى أن يقول ((عروة بن مسعود)) وقد كان كافرًا: لقد رأيت كسرى ملك الفرس وقيصر ملك الروم والنجاشي ملك الحبشة، فما رأيت أصحاب ملك يعظمون ملكهم كما يعظم أصحاب محمد محمدًا؟

إنه قانون الحب الذي تعلمنا إياه الرسول صلى الله عليه وسلم فقد كان حبًا يسير على الأرض، النبي نفسه أصبح حبًا يزرع الحب ويحصده فكان الصحابة يحبونه أكثر من أرواحهم.

ازرع الحب تحصد
الحب

فلا بد أن نتعلم من الحبيب الحب ونبذره ونحصده؛ فبنشر الحب تختفي العيوب، وينشر الحب تُحل المشكلات، وبالحب ترى كل شيء جميلًا ولا ترى العيوب مهما تكن كبيرة، بالحب الذي لا تنتظر المقابل، ازرع الحب تحصد الحب.

والرسول صلى الله عليه وسلم مع أنه كان ميرًا من كل عيب وذنب كان ينشر الحب فجمع وحصد أروع قصص الحب في التاريخ؛ منه لأصحابه ومن أصحابه له صلى الله عليه وسلم فقد كان قائمًا على شئونهم.. فمن صفات الله سبحانه وتعالى القيومية ومعناها أنه سبحانه قائم على شئوننا يعني يحفظنا ويرعانا ويقف إلى جوارنا فيما نحتاجه وقريب منا، وهكذا كان النبي صلى الله عليه وسلم - والله المثل الأعلى - مع أصحابه الكرام، فلو كنت من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لوجدته إلى جوارك لا يصاحبك لنفسه بل يصاحبك لمصلحتك أنت والله المثل الأعلى كما أن رب العالمين معنا لا يحتاج منا إلى شيء ولكن نحن الذي نحتاجه في كل شيء، كذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه، كانت علاقته بهم عطاءً منه صلى الله عليه وسلم والنفع كله راجع لأصحابه، كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يحتاج شيئاً من أمته لكنه يريد منهم أن يعيشوا سعداء في الدنيا والآخرة.

في بداية الدعوة المكية كان النبي صلى الله عليه وسلم قد اتفق مع (6) من الأنصار على أن ينصروه حتى يدخلوا جنة ربهم وإن لم ينصروه فإن الله عز وجل ناصره، يقول تعالى: {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ} (التوبة:40)، النبي كان يطلب النصرة من الناس حتى ينصروا أنفسهم ويدخلوا جنة ربهم، فلما اتفق مع الستة من الأنصار على أن ينصروا الإسلام ذهبوا، ثم عادوا وعددهم (21) بعد سنة، ثم ذهبوا وعادوا (72) رجلاً وامرأة وبايعوه صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة الثانية.

كان النبي صلى الله عليه وسلم ينوي أن يهاجر بعد بضعة أشهر لكي يتفق معهم قبل الهجرة إلى يثرب على النصرة؛ أي نصرتة صلى الله عليه وسلم ونصرة الإسلام في المدينة المنورة، فقال رجل منهم يدعى الهيثم بن التيهان (وكانهم يسألون عن المستقبل في المدينة): يا رسول الله، إن

بيننا وبين القوم (اليهود) عهداً أو حبالاً وإنا قاطعوها، فإن عسيت إن أظهرك الله ونصرك أن تدعنا وترجع إلى قومك، فإذا بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من قلبه المحب يقول: ((لا، ولكن الدم الدم، الهدم الهدم، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتكم وأسالم من سالمتم)) (1)، وهم يتخوفون ويسألونه إذا انتصرت على أعدائك فهل تتركنا وترجع إلى قومك في يوم من الأيام، وقد أحببناك وتعلقنا بك، فقال لهم ((الدم الدم))، يعني: دمي هو دمكم أنا وأنتم واحد، ((الهدم الهدم)) أي: من يهدم علاقته بكم يهدم علاقته بي. هذا هو حب الصاحب، يا الله! منك يا رسول الله نتعلم كيف نكسب قلوب الناس ونحب الناس؛ حتى لا يقول أحد: لا أدري لماذا لا يحبني الناس؟

الحب يصدر عنك فإذا صدر فلا بد أن تحصد حباً ولكن الصبر، اصبر قليلاً، فهناك قانون القلوب: { ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } لو أنك نشرت الحب وزرعته لتحول أعداؤك إلى أحاب، فقد ورد في القرآن الكريم: { ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ } (فصلت: 34).

صاحب القلوب وخالفها أوصانا بالحب والمعاملة بالحسنى والإحسان، والنبى صلى الله عليه وسلم يقول لهم أنا منكم وأنتم مني، لو فعلت ذلك انظر كيف ستكون محبوباً وتكون أثيراً عند الناس لأن القلوب بين يدي الله.

لو أننا رجعنا للوراء قليلاً في بداية سنوات الدعوة أثناء المحن واشتداد الإيذاء بالمسلمين وفي أمس الحاجة لعدد كبير من المسلمين كي يعزوا الإسلام، كان المسلمون لا يتعدون المائة صحابي، أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى الحبشة وهم في أشد الحاجة للنصير يقول لهم: ((إن بأرض الحبشة ملكاً لا يُظلم أحد عنده)) (1)، ويهاجر 80 صحابياً ويتركون رسول الله صلى الله عليه وسلم وسط الإيذاء، لكنه يريد أن يطمئن عليهم، وحينما تأتي الهجرة يكون الرسول صلى الله عليه وسلم آخر المهاجرين هو وصاحبه أبو بكر الصديق، وزوجاته - رضي الله عنهن أجمعين-. حب للمسلمين وحب لا يدانيه حب؛ فهو يريد أن يطمئن عليهم ولا يهتم بنفسه لأنه يعلم أن الله ناصره.

لم ينس أصحابه ولا أصحاب أصحابه:

هناك قصة جميلة لصاحبي جليل يسمى عياش بن أبي ربيعة- وهو صحابي غير مشهور- هذا الصحابي هاجر مع سيدنا عمر بن الخطاب، وهما في طريقهما إلى المدينة وقبل أن يصلا لحق بهما أبو جهل، وكان قريباً لعياش بن أبي ربيعة، فقال له: ارجع إلى والدتك؛ فقد أقسمت ألا تمس شعرها بمشط ولن تشرب ماءً، وستجلس في الشمس ما دمت قد تركت دينك ودين آبائك وأجدادك واتبعت دين محمد، وهذا يعني أنها ستهمل نفسها حتى تموت إن لم يرجع عما عزم عليه، إن أبا جهل يكذب عليه، فهي لم تفعل ذلك، لكنه تأثر بهذا الكلام وحزن لأجل أمه فقال له عمر رضي الله عنه: إنه يكذب القول ويريدون أن يفتنوك عن دينك، لكنه أراد أن يرجع فقال له عمر رضي الله عنه: ما دمت عزمتم على العودة معه فهذه ناقتي ناقة نجبية (يعني سريعة) إذا أحسست بغدر فارجع عليها، وذهب عياش بن أبي ربيعة مع أبي جهل، فينزل أبو جهل من فوق جمله ويقول له إن ناقتي منهكة فخذني خلفك، فركب خلفه أبو جهل ودخل مكة ويقع به أبو جهل على الأرض ويوثق رباطه ثم يضربه أهل مكة حتى يفتنوه عن دينه حتى قال عمر بن الخطاب كنا نظن أن الله

لا يقبل منهم صرفاً ولا عدلاً، أي أن الله لا يقبل أي عمل من الذين عرفوا الإسلام ثم رجعوا عن دينهم، فكان حال سيدنا عمر بعد ذلك أن كثر المسلمون وأصبحوا بالآلاف لكنه لم ينس صاحبه وحببيه، لم ينسه بالدعاء والرعاية. في البخاري، كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي وقبل أن يسجد يدعو الناس: ((اللهم نج عياش بن أبي ربيعة، اللهم نج المستضعفين من المسلمين...)) ما هذا الجمال؟ وما هذا الحب؟ الرسول صلى الله عليه وسلم لم ينس أصحابه ولا أصحاب أصحابه، وببركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم ينزل القرآن الكريم: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} (الزمر: 53) ويأخذ سيدنا عمر هذه الآية ويكتبها في ورقة ويرسلها إلى عياش بن أبي ربيعة في مكة ليقراها ثم يأتي للحبيب صلى الله عليه وسلم ببركة دعوة الحبيب، وهذا من المواقف التي تدل على الحب الحقيقي.

الصاحب الحقيقي معك
أينما كنت يدفعك

رجل من الرجال لا يريد أن ترتدي إمرأته الحجاب، وسعيد بتزينها وجمالها أمام الناس هل هو يحبها أم يحب نفسه؟ وآخر لا يريد من صديقه أن يتركه ليصلي ويهزأ به حينما يذهب للصلاة، هل هو يحب صديقه أم يحب نفسه؟ الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن كذلك لكنه كان يحب الخير للناس بصدق.

اجعل مرادك مراد الله

حينما يأتي رجل دين أو شخص عادي وينصحك الله؛ فإذا كان في نفسه أن يبلغ ولا يتحرى سواء أهديت أم لم تهتد فهو يريد أن يخرج من الحرج الشرعي، فهذا يحب نفسه أيضاً، الرسول صلى الله عليه وسلم كان يشغله هداية الناس لا البلاغ فقط؛ لأنه يحب الخير لنفسه وللناس، لدرجة أن سيدنا ابن مسعود يقول: كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السامة علينا؛ أي كان يختار أياماً يعظ فيها ولم يكن دائم الموعظة؛ خوفاً على أصحابه من الملل والسامة والضجر، وكما في الشمائل للإمام الترمذي، كنا إذا تحدثنا في الطعام تحدث معنا، وإذا تحدثنا في الدنيا تحدث معنا، وإذا تحدثنا في الآخرة تحدث معنا، هكذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخير وقت الموعظة خشية السامة والملل من الكلام في الدين أو الدروس، هل الرسول صلى الله عليه وسلم كان يبتغي الثواب، أم يبتغي الهداية؟ إنه كان يبتغي هدايتهم أولاً وأخيراً، فهو قد غفر الله له ذنوبه، ما تقدم وما تأخر.

وبعيداً عن الجانب النبوي، حينما يتحدث إليكم أحد فهل يرجو الثواب، أم إنه يريد أن يحدثكم عن النبي صلى الله عليه وسلم وسماحته فتحبوه؟ هذا السؤال أسأله لنفسي عدة مرات.

كان أحد الأصدقاء قد دعاني للإفطار في غير رمضان وكنا يوم خميس، وحين حضر الطعام، قلت له أنا لست صائماً، أحسست وقتها من نظرة عينيه أنه يريد أن يقول لي لا تأكل، ولماذا جئت ما دمت غير صائم، فهو يطعمنا وعينه على ثواب الإفطار للصائم مع أن هناك أجراً آخر على إطعام الطعام وتآلف القلوب لا يعلم قدره إلا الله لأن الله يحب الحب، فمن الأفضل لو أنك أردت ثواب الصائم مثلاً تقول لصديقك أحب أن أكل معك كما سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحب، نريد أن نزرع الحب ونجني الحب، لكي يحبنا الآخرون ولا يتضايق منا أحد.

كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة كراهة السامة علينا- ليس في كل وقت يحدثنا عن المواعظ الدينية، كان يتكلم معنا في الدنيا أحياناً لأنه يحب هدايتنا لا البحث عن الثواب له فقط، وهذا هو الحب، فلو أنني أظهرت الحب من قلبي لمن حولي لتأثروا بي، **واجعل دائماً مرادك الحب؛ لأن الله تعالى مراده الحب، فاجعل مرادك مراد رب العالمين سبحانه وتعالى، وبذلك ستأخذ الثواب لأن الله تعالى إذا أحبك فسيدخلك جنته، والجنة هذه مخلوق من مخلوقاته تعالى.**

هذا الحب النبوي ظهر أثناء بناء المسجد النبوي؛ حيث اختار النبي صلى الله عليه وسلم أصعب العمل وأشقاه، لم يجلس بعيداً وإنما كان يعمل بيده، نزل الحفرة التي هي تحت ثلاثة أمتار يحمل التراب والطوب حتى تغير لون جسده، هناك من يخطط وهناك من يكسر في الصخر لكنه يختار أشق عمل يارادته مع أنه من الممكن أن يشرف على العمل فقط.

تطبيب القلوب؛

وكذلك ظهر هذا الحب في حفر الخندق، المسلمون يحفرون خندقاً طوله 3 كم وعرضه ثلاثة أمتار، والعدو قادم عشرة آلاف مقاتل، بينما المسلمون 900 مقاتل، معركة غير متكافئة ووقت عصيب والعمل مستمر ليل نهار حباً في النبي وحباً في الدين الجديد، والرسول يعمل ويختار العمل الشاق حتى إذا اعترض المسلمين صخرة قوية مثلاً أتوا إليه صلى الله عليه وسلم فحطمها، كان يقوم بما لا يستطيعون عمله.

في هذه الشدة هل يأمرهم بالانهمك في العمل أكثر؟ لا، ولكنه يُنشد لهم. إنها قمة الحب ومنتهى الحب، يطيب القلوب، هل هذا وقت إنشاد أم نصح في الدين أم أمر بالصبر في العمل؟ إنه طبيب القلوب، إنه المحب للحب، إذا به يُنشد للمسلمين ويقول: **((اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة)) (1)**، إنه نشيد جميل يدعو فيه للمهاجرين ويدعو للأنصار ويُنزل على قلوب المسلمين السكينة ويُنشج صدورهم ويقوي من عزيمتهم.

موقف حب؛

سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي في الطريق فيجد امرأة عجوزاً مملوكة تبكي فيسألها فيجد أنها كانت ذاهبة لقضاء حاجة لسيدها لكن فقدت أشياء سيحاسبها عليها سيدها وتأخرت ولا تستطيع الرجوع بمفردها، فيأخذها الحبيب صاحب القلب الطيب ويذهب بها ليتوسط عند سيدها فإذا بسيدها يفاجأ بالنبي صلى الله عليه وسلم داخل بيته ومعه الخادمة كي يشفع لها عنده ويسامحها، فإذا بالرجل ينبهر من سلوك النبي ويعظم في قلبه، النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه يأتي عنده حتى يشفع لأمتيه حتى لا يؤذيها، فما كان منه إلا أن أعتقها إكراماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم. (1)

لا بد أن تقترب من حب الرسول صلى الله عليه وسلم- لا نقول مثله- لأنه حالة فريدة في الحياة كلها، فريدة في الإنسانية نتعلم من سُنَّة الرسول صلى الله عليه وسلم في السلوك، في العدل، في الرحمة، في الإنسانية، في أن تكون شجاعاً في الحق.

معرفة قدرات الناس وتوظيفها؛

ومن أسباب الحب معرفة قدرات الناس وتوظيفها حتى يشعر الإنسان أن له قيمة ووظيفة يؤديها وهذا ما كان يفعله الحبيب صلى الله عليه وسلم. في أثناء بناء المسجد النبوي كانوا يحتاجون إلى

طوب كثير والمسلمون لا يعلمون عن صناعة الطوب إلا القليل، فإذا بالنبى صلى الله عليه وسلم ينادى على رجل: ((يا هذا، أنت من أهل اليمن، أنت تجيد صناعة الطين، فاصنع لنا اللبن)) واللبن هو الطوب الذي يصنع من الطين، ومعروف آنذاك أن أهل اليمن مشهورون بصناعة الطوب، فكان هذا الرجل يصنع الطوب ويعطي لمن يبني.

فكان هذا الرجل كلما وقعت عينه على رسول الله صلى الله عليه وسلم تذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي جعله يشعر بقيمته، ويشعر بكيانه وسط الناس فكان الحب المتبادل الحب النبوي.

موقف آخر، سيدنا عبد الله بن أم مكتوم- وكان رجلاً أعمى- وهو الذي نزلت في حقه سورة ((عبس))، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما يخرج للحرب ويخرج معه الرجال الأقوياء، ويبقى في المدينة الأطفال والنساء وكبار السن، وكان وسطهم رجل قوي يسمى عبد الله بن أم مكتوم لكنه أعمى - فكان صاحب القلب الرحيم وصاحب القلب المحب يمنعه من الخروج للحرب لأنه من المعذرين {لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ...} (النور:61)، وكان يعطيه شرفاً كبيراً، كان يجعله إماماً للناس، يصلي بالناس في محراب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يرجع الحبيب صلى الله عليه وسلم، فكان ابن أم مكتوم حينما يرى الحبيب صلى الله عليه وسلم يقول في نفسه: يا حبيبنا يا رسول الله، يا من تُشعر كل واحد منا بقدراته يا من أشعرتني بكياني ولم تتركني وسط الصبية والنساء حزيناً باكياً أسأل ربي لم يا ربي خلقتني أعمى، يا من جعلتني مسئولاً عن المدينة في غيابك أشعر بالفخر والمسئولية، ولا ينظر لي الناس على أنني أعمى ضعيف كسير، يا حبيبنا يا رسول الله يا من زرعت الحب وحصدت الحب، ووالله إنه الحق كما يقول أنس بن مالك: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وأنا ابن عشر سنوات فأضأ منها كل شئ (أنار حياتنا وقلوبنا وبلادنا) وقُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن عشرين سنة فأظلم من المدينة كل شئ. صلى الله عليك يا نبي الرحمة والحكمة والمحبة.

كان صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة، لبت كل الناس وكل من ينشرون الدين ويحبون نشره يتعلمون من رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعوة ويتعرفون على وقت الدعوة حينما يركب وسيلة من وسائل المواصلات ويسأل الناس أو يذكرهم بدعاء ركوب الدابة، وكلما حدث موقف ذكرنا بالله تعالى، ويختار الوقت المناسب حتى لا يصل الناس فس وقت من الأوقات إلى الاختناق منك ومن كلامك.

سيدنا أبو قتادة الأنصاري كان يحارب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء أمام النبي صلى الله عليه وسلم ليحميه ويدافع عنه، فجاء سهم من سهام المشركين ففقد عينه، فهرول إلى النبي الحبيب ليطلبه وينقذه، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ((لو شئت رددتها لك سليمة بإذن الله ولو شئت صبرت ولك الجنة)) فقال له: إن لي امرأة جميلة وأحبها ولا أريد أن تراني فتقذرنى فإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم يتقل في يديه من ريقه الشريف ويرد عينه إلى وجهه فتعود أفضل مما كانت حتى مات أبو قتادة رضى الله عنه.

موقف حب مع عبد الله بن أنيس:

كان هناك رجل يدعى أبا سفيان بن خالد، وكان يجهز الجموع لغزو المدينة وقتال المسلمين، وكان قد جمع عشرة آلاف مقاتل، وما زال يجمع الجموع حتى يقضي على الإسلام كما يريد، ففكر الحبيب صلى الله عليه وسلم وهو في وقت حرب والحرب خُدعة، فقال صلى الله عليه وسلم لو أن هذا الإنسان قُتل لتفرقت هذه الجموع وجنبا المسلمين ويلات الحرب، وكان المسلمون بالمئات فقط، وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يريد أن يحارب المشركين حتى لا يكونوا أعداءً له وإنما كان يطمع في إسلامهم فالحرب في جميع الحالات خسارة كبيرة، ولكن كيف سيتجنبها ويتحاشاها في وجود هذه الجموع؟

قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن أنيس ((اذهب إلى هذا الرجل الذي يدعى أبا سفيان لتخلص منه حتى تنفض هذه الجموع)) فقال عبد الله بن أنيس ولكني لا أعرفه، فقال له صلى الله عليه وسلم ((اذهب إلى جموعهم فإذا رأيت رأيت وجهه كأنه وجه شيطان)) فاستأذن عبد الله بن أنيس أن يقول في رسول الله شرًا حتى يطمئن الكفار إليه، وذهب إلى جموعهم وقال شعراً في محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فلما سمعه الكفار أعجبوا به، وأعجب به أبو سفيان، فاستدعاه إلى خيمته ليقول له الشعر، وحينما خلا إليه قتله، وحينما صاح أبو سفيان ابن خالد هرع إليه المشركون فوجدوه قتيلاً فأخذوا يبحثون عن قتله فلم يجدوه، وكان عبد الله قد صعد إلى مغارة فوق الجبل والناس يبحثون عليه لمدة ثلاثة أيام كان يأكل فيها ورق الشجر يقول: ((بعرت كما يبعر البعير)) ثم استطاع الذهاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم استبشر وقال له ((أفلق الوجه؟)) قال: نعم يا رسول الله لقد قتلته، فتهلل وجه النبي صلى الله عليه وسلم وأعطاه عصابته وقال له: ((خذ هذه العصابة آية بيني وبينك تلقاني بها يوم القيامة)) فكان عبد الله بن أنيس يضعها بجوار سيفه، وأوصى أن تدفن معه.

هذا هو الحبيب صلى الله عليه وسلم إذا كان الله تبارك وتعالى قال عن سيدنا نوح عليه السلام { إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا } [الإسراء:3]، فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يشكر أي أحد على أي فعل ويقدره كذلك، فهنا يُخرج عصابته، وكان دائماً يلبس عصابة صلى الله عليه وسلم وقال خذها علامة بيني وبينك يوم القيامة، أماناً من المحب الذي زرع في قلوب صحابته الحب هدفاً لذاته.

موقف حب مع سيدنا معاذ بن جبل رضى الله عنه:

سيدنا معاذ رضى الله عنه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وكان سيدنا معاذ يلبس خاتماً عليه نقش، فنظر إليه الحبيب النبي وقال ((ما هذا النقش؟)) فقال سيدنا معاذ: نقشه: محمد رسول الله، كتبها على الخاتم الذي كان دائماً يلبسه، فإذا الحبيب ينظر إليها. كلمة جميلة بلا تصنع ولا تكلف ولا مبالغة.. كلمة تخرج من قلب مؤمن بها.. كلمة موفقة، فقال صلى الله عليه وسلم: ((أمرن كل شئ من معاذ حتى خاتمه)).

علامات المحبة

بمعنى أن معاذاً كله مؤمن بالله حتى ما يلبسه، إنها شهادة من سيد الخلق، شهادة فيها الفرح العظيم. والحب الكبير، ليس صديقاً يقول لصديقه كلمة ثناء وإنه لنبي صلى الله عليه وسلم فيا لها من شهادة تشرح الصدر وتسعد النفس.

ذات مرة كان يجلس النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد والمسجد به عدد قليل من الناس فإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم يتزحزح ويقول لرجل: ((تعال اجلس بجانبى))، فيقول له الرجل: يا

رسول الله، إن المكان فسيح والمسجد واسع، فلماذا تزحزحت؟، فيقول له: ((أريدك تجلس بجواري)).

إنها طاقة حب من النبي صلى الله عليه وسلم تخيل حينما يقول لك صديقك أريدك أن تجلس بجواري وأحب أن تكون بجانبني ويتزحزح لك والمكان واسع، فماذا يكون شعورك، إنه الإحساس بالأمان، فالرسول صلى الله عليه وسلم يصادقك لنفسك لا لنفسه وكذلك كان صلى الله عليه وسلم يتخلق بصفات الله سبحانه وتعالى الذي لا يريد شيئاً من أحد وإنما يريد للناس جميعاً الخير فهو يحب عباده ورءوف بهم سبحانه، وإذا كان حب الصحابة للنبي حباً لا يعادله حب فهو صلى الله عليه وسلم أساس هذا الحب، فهو الذي أحبهم وزرع بذور الحب في نفوسهم فأينعت ثمارها وترعرت فنتج عنها الحب النبوي الذي نود أن نغترف من نبعه الفيض.

الخلاصة

- لا بد أن نتعلم من الحبيب صلى الله عليه وسلم الحب ونبذره ونحصده.
- بنشر الحب تختفي العيوب، وتُحل المشكلات وبالحب ترى كل شيء جميلاً.
- ازرع الحب تحصد الحب.
- اجعل نيتك من نصيحة غيرك ((حب الهداية لهم)) وليس فقط من أجل الثواب.

* * *

(1) المعجم الكبير للطبراني رقم (16316).

(1) السنن الكبرى للبيهقي رقم (16482).

(1) رواه البخاري رقم (2961)

5- حبُّ النبي صلى الله عليه وسلم لأُمَّته

نرتشف في هذا الفصل فيضاً من فيوضات نهر الحب الذي فجّره الرسول صلى الله عليه وسلم ليسري في الكون كلّهُ فيحرك دوافع الخير في كلّ مكان وزمان. نتحدث عن حبِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لأُمَّته؛ فالرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي زرع الحبَّ في قلوب أحبائه فحصد حبًّا، يتجلى ذلك في أن كلّ واحد منا يحب الرسول صلى الله عليه وسلم ونفتديه بأرواحنا بأبائنا وأمّهاتنا لو تعرضت سيرته العطرة لسوء كما رأينا براكين الغضب التي تفجرت في قلوب المسلمين في كلّ زمان ومكان وتأججت نيرانها عندما أساء ذلك الرسام الدانمركي في رسوماته لشخص الرسول صلى الله عليه وسلم؛ كل ذلك الحب ونحن لم نره ولم نصل خلفه ولكننا نحبه كأنه يحيا بيننا ويعيش معنا.

من زرع حبًّا..
حصد حبًّا..

وحبُّ النبي لأُمَّته هو حبُّ مستمدُّ من حبِّ الله - عزَّ وجلَّ - وامتلاً به قلب النبي صلى الله عليه وسلم ثم أشرق هذا الحبُّ من قلب النبي صلى الله عليه وسلم ليفيض علينا وعلى سائر المخلوقات. وتجلى هذا الحبُّ الإلهي لرسوله الكريم أن كلّ معجزة وكلّ خير وكلّ تفضيل اختصَّ به الله - عزَّ وجلَّ - نبيًّا من الأنبياء وفضله به سوف يجمعه ويعطيه لرسول الله وأكثر منه ويعني ذلك أن حبَّ الله - عزَّ وجلَّ - لرسوله يفوق كلّ حبٍّ وكلّ تكريم؛ فقد جمع له كلّ خير ناله نبيُّ قبله منذ آدم عليه السلام . فإذا كان المولى - عزَّ وجلَّ - قد أسكن سيدنا آدم وزوجته حواء الجنة كما ورد ذلك في قوله تعالى ﴿وَوَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:135].

فإذا كان المولى - عزَّ وجلَّ - قد فضّل آدم على العالمين وأسكنه الجنة فقد أنزل الجنة لرسوله وحببيه محمد في الأرض ويتمثل ذلك في الحديث المعروف (لما نزلت الجنة للنبي صلى الله عليه وسلم ونزل منها قطف العنب وهو قائم يصلي ومدّ يديه ولكنه رفض أن يأكل قبل أن تأكل أمته) وفي هذا الحديث دلالة على مدى تكريم الله - عزَّ وجلَّ - لرسوله ومدى حبِّ الرسول لأُمَّته وإيثاره لها على نفسه، وإذا كان المولى - عزَّ وجلَّ - قد كلّم موسى في الأرض وجعله يضرب الحجر بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا؛ فقد كلّم حبيبه في السماء في رحلة الإسراء والمعراج وجعل الماء ينبع من بين أصابعه الشريفة صلى الله عليه وسلم، وإذا كان سيدنا موسى عليه السلام طلب من ربّه أن يراه فقد تجلّى ذلك في قوله تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَتِنَا وَكَلَّمَهُ، رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ..﴾ [الأعراف:143].

فكان الردُّ من قبل المولى عزَّ وجلَّ ﴿قَالَ لَنْ تَرِنِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:143]، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم استدعاه ربُّ العزة للرؤية يوم المعراج كما قال سيدنا عبدالله بن عباس - حبر الأمة - وإذا كان سيدنا إبراهيم عليه السلام قد رأى ملكوت السماوات والأرض ورأى الكواكب ورأى ما لم يره أحد كما ورد ذلك في قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام:175]. فقد منَّ الله سبحانه وتعالى على حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم أن يرى ملك الملوك وهو المولى عزَّ وجلَّ،

وإذا كان من معجزات سيدنا عيسى عليه السلام أن يحيي الموتى بإذن الله ويبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله فلقد أحيا الله له ذراع الشاة وأنطقها حتى ينبه الرسول صلى الله عليه وسلم أنها مسمومة بل أحيا الجذع الذي كان الرسول يستند إليه عند الخطابة وعندما تركه ووقف على المنبر بكى حنيئاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

وإذا كان المولى عز وجل قد سحر الرياح لسيدنا سليمان كما ورد في القرآن الكريم ﴿فَسَحَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رِخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص: 36] فقد سحر الله لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم البراق الذي أسرى به إلى بيت المقدس ثم عرج به إلى السماوات السبع وعاد به إلى الأرض حيث فراشه لا يزال دافئاً.

هذا الحبُّ الربانيُّ بما فيه من منح إلهية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، امتلاً به قلبُ الرسول صلى الله عليه وسلم وفاض به على أمته: فأصبح الرسول يفضل أصحابه على نفسه وأحبَّ أمة المسلمين من عاصره منهم ومن لم يعاصره بل إنَّ الرسولَ صلى الله عليه وسلم قد أفنى عمره من أجل إسعاد هذه الأمة وجلب الخير لها. وتجلّى ذلك في مواقف عديدة من هذه المواقف التي عانى فيها الرسول صلى الله عليه وسلم من أجل إسعاد أمته والتخفيف عنها، معجزة الوحي أو نزول القرآن الكريم.

نحن نعلم أن أغلب معجزات الأنبياء كانت مخلوقات؛ فسيدنا صالح كانت معجزته الناقة وسيدنا موسى كانت من معجزته العصا، أمّا معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم فكانت القرآن الكريم وليس القرآن مخلوقاً بل هو كلام رب العالمين الذي أنزله الله هدى للمتقين. كلام الله لا نستطيع نحن بتركيبتنا البشرية تحمّل نزول هذا القرآن الذي قال عنه المولى عز وجل ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: 21].

يعني ذلك أن القرآن الكريم لو أنزله الله عز وجل على جبل لاندك الجبل الذي هو أقوى تكويناً منا فنحن من لحم ودم والجبل بما فيه من صخور وأحجار شيء صلب لا يتحمل نزول القرآن؛ فلا بد من واسطة تتحمل هذا التنزل القرآني ليصل إلى الناس برداً وسلاماً.

ثَقُلَ الْأَمَانَةُ

كان الوسيط الذي تحمّل عناء النزول وتلقى القرآن هو الرسول صلى الله عليه وسلم، وصدق المولى عز وجل الذي يقول في محكم التنزيل ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: 5] ولذلك كان الرسول صلى الله عليه وسلم تقول السيدة عائشة في حديث البخاري عندما ينزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم في شدة البرد كان ينقصد جبينه عرقاً لشدة ما يعاينيه الرسول صلى الله عليه وسلم أثناء النزول ومما يدل على المعاناة أيضاً قول سيدنا زيد بن ثابت إن النبي صلى الله عليه وسلم كان جالساً معه و هما مربعان: فركبة النبي كانت على ركبته ونزل عليه الوحي: فتقلت قدم النبي صلى الله عليه وسلم ورجل سيدنا ثابت تحته حتى خشي أن تنكسر وظلت رجل النبي تنقل حتى رفع الرسول رجله بعد زوال الوحي عنه، وتحكي السيدة عائشة عن موقف آخر فتقول: كان النبي راكباً على الجمل، والجمل كما نعلم حيوان ضخم وعظمه قوي: فنزلت سورة من القرآن على النبي وهو راكب على الناقة فإذا بالناقة كاد عظمها ينكسر ثم بركت من شدة المعاناة والرسول صلى الله عليه وسلم ينقصد عرقاً؛ فما أكرمك يا رسول الله: اخترت راحتنا على

راحتك فقد كنت تتحمل الوحي بالنبابة عنا لنتلوه قرآنًا عذبًا رطبًا من فمك الشريف كما ذكر المولى عزَّ وجلَّ في محكم التنزيل ﴿ فَإِنَّمَا يَسْرِنَاهُ بِلِسَانِكَ لِنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَنُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا [مریم: 97] وفي موضع آخر يقول فَإِنَّمَا يَسْرِنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [الدخان: 58].

علامات نزول الوحي..

ومما يدلُّ على حبِّ الرسول لأُمَّته أنه في عيد الأضحى المبارك قد ضحَّى عن أُمَّته بعد أن صلى وخطب خطبة العيد ذبح خروفين فعندما ذبح الخروف الأوَّل قال هذا عن فقراء أُمَّتي وعندما ذبح الثاني قال هذا عن محمد وعن آل محمد؛ فليفرح كل مسلم فقير لم يتمكن من ذبح أضحيته في العيد فقد ضحَّى عنك البشير النذير محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم.

سوف يأتي الله بقوم
يحببه ويحبونه

ونسوقُ دليلًا آخر على حبِّ الرسول وعظمته وهو أن الرسول صلى الله عليه وسلم على الرغم من إيداء قريش له وصدِّها عن سبيل الله خيَّره جبريل عليه السلام بين أمرين له بين أن يكون ملكًا نبياً أو أن يكون عبداً نبياً بمعنى أن الله يخيره بين أن يكون ملكاً نبياً ينشر الإسلام بسلطان الملك وعزه أو بين أن يكون عبداً نبياً فاختار الرسول الأنسب لأُمَّته أن يكون عبداً نبياً قريباً من الناس يعيش بينهم يحبهم ويحبونه. ولذلك صدق المولى عزَّ وجلَّ عندما تحدَّث عن حبِّ الرسول صلى الله عليه وسلم لأُمَّته وحنينه عليهم فقال ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 128].

ومن المواقف الطيبة الجميلة التي تدلُّ على عظمة هذا الرسول صلى الله عليه وسلم ورحمته بأُمَّته عندما هبط جبريل عليه السلام وخيَّر الرسول صلى الله عليه وسلم بين أن يصير له جبال ويطحاء مكة ذهباً أو يفتح لأُمَّته باب التوبة وعندئذ اختار الرسول صلى الله عليه وسلم أن يفتح باب التوبة حتى لا يعذبوا كما عُدِّب قوم سيدنا صالح عليه السلام عندما عقروا الناقة ولم يؤمنوا به، وفي الطائف عندما ذهب الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو أهلها إلى وحدانية الله والإيمان به حرَّضوا عليه الصبية والسفهاء يقذفونه بالحجارة وجلس الرسول يبكي قائلاً في الحديث المشهور والمعروف ((اللهم إني أشكو إليك قلة حيلتي وضعف قوتي وهواني على الناس.. إلخ الحديث)) (1) فهبط عليه ملك الجبال قائلاً له: يا محمد، إن الله يُقرنك السلام ويخصك بالتحية والإكرام ويقول لو أردت أن ينطبق الأخشاب عليهم لانطبقا فيقول: رب اهد قومي فإنهم لا يعلمون عسى أن يخرج من بين أصلابهم من يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

دعاء اللهم إني أشكو
إليك قلة حيلتي وضعف
قوتي وهواني على
الناس

صورٌ من حبِّ الرسول لأُمَّته، يسقى المسلمين جميعاً من

نهر الكوثر

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ

الرسول صلى الله عليه وسلم عندما كَرَّمه المولى عزَّ وجلَّ نتيجة معايرة الكفار والمشركين له بموت أولاده السبعة ما عدا السيدة فاطمة واتهموه بأنه أبتَر سينقطع أثره بعد موته وينقطع ذكره فأرضاه الله تبارك وتعالى قائلاً له: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (٣)﴾ [الكوثر: 1-3] ونحن جميعاً في صلاتنا ندعو الله أن يسقينا من حوضه ومن يده الشريفة شربة لا نظماً بعدها أبداً فنجد في يوم القيامة والموقف عصيب والحر شديد؛ أن الرسول صلى الله عليه وسلم يسقينا من هذا الكوثر يسقي الملايين والمليارات من أمة محمد صلى الله عليه وسلم على مختلف ألوانهم وأشكالهم وجنسياتهم.

وقوف النبي عند الصراط

ويستمر الرسول صلى الله عليه وسلم في عنائه فيقف عند الصراط يدعو لأفراد أمته حتى يعبر كل مسلم الصراط يدعو الرسول لله قائلاً: يارب سلم يارب سلم يارب سلم إلى أن يعبر المؤمنون جميعاً.

أبواب الجنة لن تفتح إلا لرسول الله ﷺ

وبعد العبور والمرور على الصراط يتجهون إلى الجنة التي لن تُفتح أبوابها إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبإذنه ويدخل المؤمنون الجنة وهنا نسوق قصة وهي أن جماعة من أهل الجنة سواء كانوا من أتباع النبي أو من أتباع الأنبياء الآخرين الذين دخلوا الجنة مع أنبيائهم خلف النبي، تقابل هؤلاء في أحد أسواق الجنة واتفقوا فيما بينهم أن يزوروا سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم في مملكته الشريفة في الجنة وحمل كل واحد منهم هدية متجهين جميعاً إلى رسول الله وكلهم شوق وحنين لرؤية الرسول صلى الله عليه وسلم، في مملكته بالجنة وهو مكان يُسمَّى الوسيلة وهو منزلة في الجنة قال عنها الرسول لا تتبغي إلا لعبد من عباد الله وتمنى الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكون هو هذا العبد.. وهذه المنزلة العالية بالجنة هي مملكة الرسول مملوءة بالخدم وأطفال وولدان مخلدين كلهم يسعى في خدمة الرسول صلى الله عليه وسلم الذي عاش حياته كلها وآخرته يسعى في راحة أمته. لقد طرق هؤلاء الزائرون الباب ففتح لهم، فسألوا عن النبي فترد السيدة خديجة أن الرسول مشغول بأمرٍ ما ولقد رأيتُه خارجاً من القصر ولا أدري إلى أين اتجه الرسول، كما ورد في الصحيحين؛ فاستأذن على ربي في داره فيؤذن لي فإذا رأيت ربي خررت ساجداً: فيقول له ربنا: ارفع محمدٌ وسلِّ تُعط واشفع تُشفع. يارب نحن دخلنا الجنة كما وعدتنا ولكن هناك من المؤمنين الذين حجبته أعمالهم السيئة عن دخول الجنة، فهل تأذن لي يا رب أن أخرجهم من النار فيأذن له الله عزَّ وجلَّ ويعود الرسول صلى الله عليه وسلم مرات عديدة وفي كل مرة يستأذن على ربه في داره فإذا رأى ربه خرَّ له ساجداً فيقول له رب العزة ارفع رأسك وسلِّ تُعط واشفع تُشفع فيقول يارب هناك في النار من قال لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وحجبته سيئاتهم عن الجنة فما زالوا في النار فيأذن له رب العزة بأن يخرجهم من النار فيخرجهم فلا يبقى - كما نص البخاري - في النار إلا من حبسه القرآن أي الكافر الذي لم يؤمن بالنبي وقضى عليه القرآن أن يبقى مخلداً في النار لأنه كفر بالله ونبيّه، يأخذ النبي كل هؤلاء الخارجين الناجين من النار ويلقي بهم في نهر الحياة ثم بعد ذلك يدخلون الجنة وكل ذلك ببركة حبِّ النبي صلى الله عليه وسلم.

آت سيدنا محمدًا الوسيلة
والفضيلة

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

أمرنا المولى عزَّ وجلَّ أن نصلي على الرسول - صلى الله عليه وسلم - ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56] ونحن عندما نصلي على النبي فإن الرسول يصلي علينا وربُّ العزة يصلي علينا كما ورد في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ((من صَلَّى عليَّ صلاةً صَلَّى الله بها عليَّ عشرًا، ومن صَلَّى عليَّ عشرًا صَلَّى الله بها عليَّ مائة...)) (1).

نتائج هذا الحب

وكان لهذا الحب الذي لمسناه من الرسول آثاره الطيبة في تحريك دوافع الخير لدى الناس الآن، فبعض الفتيات عزم على أن يحتجن ويلتزموا والبعض قد سامح وعفا عن ظلمه والبعض قرر أن يعرف سنة الرسول ويلتزم بها والبعض قرر أن يترك العصبية ويهجر المسلسلات كل ذلك حبًا في رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أحبنا فحرَّك الحبَّ في قلوبنا وتحركَّ الخيرُ في أفعالنا.

الخلاصة

- حب النبي صلى الله عليه وسلم لأمته مُستمد من حب الله-عزَّ وجلَّ- حيث امتلأ به قلب النبي صلى الله عليه وسلم ثم أفاض به على سائر المخلوقات.
- سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قد أفنى عمره من أجل إسعاد أمته وجلب الخير لها.
- تتعدد صور حب الرسول صلى الله عليه وسلم لأمته في الدنيا وحتى في الجنة.
- فوائد عظيمة نحصل عليها بسبب صلاتنا على حبيبنا صلى الله عليه وسلم .

* * *

(1) كنز العمال رقم (3613).

(1) صحيح ابن حبان رقم (1690).

6- محبة الكون للرسول صلى الله عليه وسلم

يتساءل الكثيرون: لماذا الحب مع النبي صلى الله عليه وسلم؟

إن واحداً من أكبر الأسرار التي نستخلصها من قصة الحب أن الحب هو المحرك الذاتي الذي لو غرس في قلب الواحد منا لما احتاج إلى الكلمة التي دائماً ما يطلبها، أي الشحن، وكثير منا من يقول إنه يخرج قوياً، ثم يضعف، حتى يحتاج إلى درسٍ ثانٍ.. ألم تسأل نفسك لماذا يكون لدي كثير من الناس شحن ذاتي ودافع ذاتي، فلا يحتاج أحدهم إلى من يحفزه أو إلى من يدفعه للأمام حتى لا يقع في الطريق إلى ربنا - سبحانه وتعالى -.. ألم تسأل نفسك ما الذي يختلف في طيات نفسه عنا؟ إننا عندما نحتاج إلى ما يفكرنا ويشحننا إنما يكون الحب هو الطاقة المحركة، ولو أن قلبك عُمر بالحب شيئاً فشيئاً، فلسوف تفعل ما يأمرك به في كل موقف، وهذا الذي ربّى عليه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، أصحابه، من أجل ذلك لا نريد أن نكون في كل يومٍ متقلبي الحال، فنكون راشدين، في حال وغير راشدين في حال أخرى، وفي حال قرب من الله، وحال بعد عنه.. إننا نريد أن نحيا في مقام، والفرق بين الحال والمقام أن الحال شيء متغير يطرأ على الإنسان، والمقام شيء ثابت وهو مقام المقربين المحبين، وأسمى حب هو الحب الذي علمه الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم، الإنسان الكامل الذي كان يبذل الحب، فيحبه الناس وتتساءل ما الذي فعله صلى الله عليه وسلم في هذا الموقف من منطلق الحب الذي أودعه الله قلبه، فتتعلم حينئذٍ بعض الحب على أصوله من سيد المحبين والمحبوبين، فتكون النتيجة إن شاء الله وبعون منه وبحب النبي صلى الله عليه وسلم أن يخرج كل واحد منا من داخله الطاقة المحركة، ولذا ترد إلي آلاف الرسائل التي ينبئني أصحابها باتخاذ سلوك معين حباً في النبي صلى الله عليه وسلم، سواء بالإقبال على ما يحبه، أو الإعراض عما لا يحبه. فماذا عن حب النبي صلى الله عليه وسلم للأكوان من غير البشر، وقد قال لنا الله - سبحانه (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا) [البقرة: 29] نحن البشر العاديين، فما بالك بتسخير أملاك ربنا منه لحبيبه الأعظم صلى الله عليه وسلم، سيد العالمين، والله - عزّ وجلّ - وهو رب العالمين، كل شيء في الدنيا والآخرة، فالنبي صلى الله عليه وسلم هو سيد هذا الملك، سيد الكون، ولذا يقول بعض الناس عندما يصلون على النبي: اللهم صلّ على السيد الذي ساد كل من لله عليه سيادة، أو اللهم صلّ على السيد الذي له السيادة على كل من لله عليه سيادة. يعني أن كل المخلوقات التي يمتلكها الله - عزّ وجلّ - هي تحت أمر النبي صلى الله عليه وسلم، بإذن من رب العالمين، وإذا قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: 11] فسخرها لنا، فكيف يكون شعور المخلوقات تجاه سيد الكون؟ لقد ظهرت سيادته صلى الله عليه وسلم على الكون من أول لحظة دخلت فيها حليلة السعدية مكة متأخرة، لتأخذ واحداً من أولاد مكة، ترضعه، ولذا كانت تمتطي أتاناً (دابة) ضعيفة، فسبقتها كل المرضعات وكلهن بحثن عن سادات قريش الذين سيسلمونهن أولادهن، فاضطرت إلى أن تأخذ الرضيع اليتيم، وبدأت بركته صلى الله عليه وسلم تظهر، فدرّ ثديها الذي لم تكن فيه نقطة لبن، حتى إن ابنها الرضيع لم يكن ينام من كثرة البكاء جوعاً فيرضع صلى الله عليه وسلم ويرضع ابنها فيشبعان، وبدأ ظهور بركة النبي في الكون، حتى راحت الدابة - تلك الأتان التي

سيادة الرسول صلى الله
عليه وسلم منذ الصغر

كانت بطيئة - تجري سريعاً: فرحةً بالنبى، فتسبق حليلة صاحباتها، فيتساءلن أليست هذه الأتان التي جاءت عليها؟ إن لها لشأناً، ويقول لها زوجها: يا حليلة، لقد أخذت نسمة مباركة. وتبدو البركة في أغنامها، فترتع في الصحراء، وتعود بطاناً، حتى ليقول أبناء القبيلة: ويلكم سرّحوا أغنامكم مكان أغنام بنت أبي ذؤيبية، وتقول حليلة: فلا زلنا نعرف الزيادة من الله. وكان الكون يحنفي بزيارة النبي، فتتساءل المخلوقات: إننا لا ندري كيف نكرمك يا رسول الله، يا حبيب رب العالمين، حتى إذا فطمته السيدة حليلة فعاد إلى مكة أظلمته السماء بالسحاب طوال الطريق حماية له من شمس مكة الحارقة، وقد سخر الله رب العالمين لحبيبه أملاكه، ومن قوانين الحياة أن ما يخص حبيبي يخصني وما يخصني يخص حبيبي، وقد صار حب رب العالمين - سبحانه وتعالى - من الكون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما تجلى حب الله - تعالى - لنا في الكون، ويعود إليه حبنا إن شاء الله، باحترام كل شيء عليه ختم: صنع الله الذي اتقن كل شيء، والذي سخر لنا الكون حتى نحيا سعداء.

ما يخص حبيبي
يخصني، وما يخصني
يخص حبيبي

وفي الوقت الذي اشتد فيه تكذيب قريش للنبي صلى الله عليه وسلم وقست القلوب عليه، كانت الأكوان تحبه وتعرف له قدره، ومن قول الله تعالى - في الأكوان: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ۗ﴾ [الحج:18] كثير من الناس وليس جميعهم (وَكَثِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۗ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ....) إن من لا يحب رب العالمين من البشر مهان، لا كرامة له، لأن من يحب الله من البشر يجاري الأكوان، والأكوان تحب سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم، فإذا آذاه الكفار وأساءوا إلى جسده الشريف حتى سال منه الدم - كما في مسند الإمام أحمد، من حديث أنس - نزل عليه جبريل عليه السلام، يسأل: ما لك؟

فيقول صلى الله عليه وسلم فعلوا بي كذا وكذا. قال: أتحب أن أريك آية؟ ثم يقول: ادع هذه الشجرة. فيدعوها - صلى الله عليه وسلم - حتى تجيء تسعى، فتقف بين يديه، ويأمرها أن ترجع، فترجع بسرعة، حتى تقف مكانها، فيعلم النبي - صلى الله عليه وسلم - أن الله يحبه وأن الكون كله يحبه، وقد كان يقول: إنني لأعلم حجراً بمكة قبل أن أبعث كان يسلم عليّ. كما ورد في صحيح مسلم ويموت سيدنا عبدالله بن حرام - أحد الصحابة - فيترك عليه ديوناً كثيرة لجابر بن عبد الله، فيتكاثر عليه الدائنون، حتى ليشكو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن تمرر بستانه لا يفي بسداد الدين، فإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم يستفتحه بستانه، ويمشي وسط النخيل - هو الذي يعشق تراب الأرض - ويجني سيدنا جابر التمر ويروح يكيه للديانة، حتى يكفي ويفيض من بركته صلى الله عليه وسلم والكون كله يعرف بما فيه النخيل أنه أغلى مخلوق على الله فيفيض النخل بالتمر، كما أن الجذع شوقاً إليه، كما ورد في البخاري عندما راحوا يعدون له منبراً ليقف عليه في

المسجد، أرأيت إلى الطفل الصغير إذا بكى بكاء اشتياق إلى أبيه، فكذلك كان بكاء الجذع، و هو رد فعل محبة الله التي تمثلت في محبة خلقه لرسوله صلى الله عليه وسلم، وقد أمر الله ملائكته والمؤمنين بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: **(إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)** [الأحزاب : 56] ويقطع النبي خطبته صلى الله عليه وسلم، وينزل فيهدىء الجذع ويمسح عليه. ويبيشره بأنه معه في الجنة كما يربت الأب على ابنه، وهو يبكي و يحتضنه ويسكّنه، وللجماد شعور، ولديّ كتاب لعالم ياباني، اسمه رسالة من الماء يتكلم عن تأثير الجمادات بالمشاعر الطيبة التي تخرج من القلب، والطاقة التي يمكن أن تهبها لسيارتك التي تقودها ولمقتنياتك، قلمك وملبسك... إلخ ويتكلم عن الماء كنموذج من نماذج التأثير، فكان مما قاله أنك عندما تفضي بكلام طيب للماء، فإن ذراته تتغير، والعالم مع كونه يابانيًا ليس مسلمًا يقول إنك لو قلت بسم الله على الماء، تغير شعوره وكان له تأثير قوي في تقوية مناعة الإنسان أو علاجه من الأمراض العضوية والنفسية، وهو يرى أنّ لأي ذرة في عالم الوجود إدراكًا وفهمًا وشعورًا، وأنها تبدي انفعالات تجاه ما يحدث حولها؛ وكذلك يؤثر الماء والطعام على أفكار الإنسان، فلا يأخذك العجب من تسكين النبي صلى الله عليه وسلم للجذع، ولا تعجب من دفاع النبي صلى الله عليه وسلم، عن ناقته القصواء يوم صلح الحديبية، عندما بركت، فقالوا خلأت القصواء، اي أنها استعصت على أمر النبي صلى الله عليه وسلم، وكان المسلمون يهْمُونَ بدخول مكة، وهم لا يدرون أبحاربون أم يسالمون، فيقول صلى الله عليه وسلم ((ما خلأت القصواء، وما ذلك لها بخلق، إنما حبسها حابس الفيل)) (1)، يشير صلى الله عليه وسلم، إلى حادث فيل أبرهة يوم أبي أن يدخل مكة ليهدم الكعبة، فقد يكون لبروك الناقة حكمة في أن تعلن عن أن الموقف موقف صلح، وقد أبدى النبي صلى الله عليه وسلم تفهمًا لسلوكها، وهكذا ينبغي أن يكون سلوكنا تجاه ممتلكاتنا، سواء كانت جمادًا أو حيوانًا، وأن تشهد للمكون - سبحانه وتعالى - في أكوانه، وتشهد مراد الله من كل مقتنياتك وأنه سبحانه وتعالى سخر الكون كله لك، وترى صفات ربنا، وترى المنعم - سبحانه وتعالى - في النعمة، لتكون الأكوان طوعك، وقد رأى الرسول صلى الله عليه وسلم صورة من صور رحمة الله في خلقه يوم أحضر أحد الصحابة لفة قماش ففتحها أمامه صلى الله عليه وسلم، فرأى بها عصافير صغيرة مع أمها، فسألها عنها، فذكر له أنه مرّ على شجرة، فوجد هذه العصافير الصغيرة، فأخذها، فحوّمت أمها حولها فوق رأسه، ففتح لها اللفافة، فوقعت عليها فأطبق عليها اللفافة، فهي رحمة من أم العصافير على صغارها، حيث كانت تحبها وتحرص على ألا تُبعثر، فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم الصحابي أن يتركها: ((ضعهنّ عنك))، حيث رأى الرحمة في عيني الطائر الصغير، ولعل ذلك هو سر دخول المرأة التي حبست الهرة النار ولم تكن كافرةً، لأنها لو كانت كافرةً لدخلت النار لكفرها، ولكنها دخلتها لأنها حبستها، فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض، فلم ترفق بالحيوان ولم ينطو قلبها على الرحمة لقطعة من صنع الله الذي أتقن كل شيء، ولم يزرخ قلبها بالحب تجاه مخلوق من مخلوقاته.

يقول د. إبراهيم الفقي-رحمة الله عليه- عن حب النبي

صلى الله عليه وسلم

((إن هدية الرسول صلى الله عليه وسلم للصحابة ولنا أنه علمنا الحب الصحيح، فعلمنا كيف نحب الله، وكيف نحب في الله وكان هو حباً في ذاته صلى الله عليه وسلم ، ولو أنك علمت أحدًا شيئاً فعاش به وتنامى معه، وأحس أن ثمة حباً متبادلاً، لوجدت الناس يذكرونك بالخير ويتشوقون لرؤيتك ولا تذوك مثلاً أعلى، ولك أن تتخيل كم تعب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجلنا، ولم يكن للدنيا شأن عنده، إلا ليوصلنا لبر الأمان، ومحبة الله، سبحانه وتعالى، ولذا أوجب علينا حب الرسول صلى الله عليه وسلم لأن حب المولى من حب الرسول وحب الرسول من حب المولى - عز وجل - ولأنه علمك حبه -تعالى، فقد جعلك تحبه - صلى الله عليه وسلم - أكثر من نفسك، حتى لتكاد تبكي شوقاً إلى لقائه لتقول: يا رسول الله إني أشكرك، وإن أقل ما يمكنني أن أفصي به إليك أنني أحبك أكثر من نفسي، فما كان بوسعي أن أسامح حتى تعلمت منك، وما كنت أعرف كيف أحب ولا كيف أحترم أحدًا حتى تعلمت منك فأنت الذي علمتني كل شيء. ولقد أوصانا صلى الله عليه وسلم، أن نصلي ونسلم ونبارك على الأنبياء والرسل من قبله، لأن حبه يفيض على كل موضع، سواء كان قبله أو بعده، ويفيض على الطبيعة، ولذا، إذا جلس تحت شجرة فظلته جاءت القطة فجلست على حجره، وقد حَبَّبَ الله فيه الطبيعة، ولو حَبَّبَ الله فيك الطبيعة لأمكن أن ترى الفراشة تقف آمنة على يدك، وترى الناس يحبونك: وإن لنا في رسول الله لأسوة حسنة، ونحن نتعلم منه كل شيء؛ أسلوبه، طريقة أكله، معاملته الناس، حبه لزوجاته، حبه لأصحابه، وكيف تعلم منه صحابته الحب؟ لقد كان يبادر بإسعادهم إذا طالبه أحدهم بأمر، فلم يكن يملك إلا أن يحبه، ولتأخذ كلمة الحب، فسوف تجد أن أول حرفين فيها من اسم الجلالة (الله) وأن الحاء من الحنان والباء من البقاء، فبقاؤك في الحياة مقرون بالحنان، ولا يمكن أن يكون في بيت، حبٌّ ثم لا تكون به سعادة ولا نجاح. ولو لم تحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الذي علمك كيف تحب الله تعالى، فلن تعرف كيف تحب، لأن ذلك هو الحبُّ بحق، فلتعش مع حبِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، في طريقك إلى حب المولى - سبحانه وتعالى - ولتقدر قيمة الحياة هكذا، التي عن طريقها سوف تدخل الجنة، فيجمعنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .. صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ وَسَلَّمَ يا حبيبي يا رسول الله، يا من علمتني حب الله سبحانه وتعالى، وبارك عليك)).

جزء محبة المخلوقات:

كانت امرأة من بني إسرائيل بغياً ترتب مواعيد يومها للقاءات الزنا، ولست أدري أكانت تصلي إذا عادت إلى بيتها أم كانت تستمر في إغصاب جبار السماوات والأرض وتستمتع بوقتها، وذات يوم رأت كلباً يلهث من العطش.. مخلوقاً من صنع الله وجزءاً من كونه، فأشفقت عليه، ووضعت له في نعلها ماءً من البئر وسقته، فنظر الله إليها نظرة رحمة، فغفر لها، كما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد قدرت مخلوقاً من مخلوقاته فاحترمت الكون الذي تتجلى فيه صفاته وبديع صنعه، فغفر لها كل الأيام التي مرت بها وهي تعضب جبار السماوات والأرض، وتُرتب لإغواء غيرها، فتكون بغياً، من أجل شربة، سقتها للكلب العطشان، فكيف وأنت من أمة النبي، خير أمة أخرجت للناس؟ فلعل عصفورة تحن عليها، على عظم ما عندك من سيئات ومعاصٍ وكبائر، تدخلك الجنة، ولعل حيواناً نافقاً أو قطة دهستها سيارة، فتبعدها عن الطريق بورقة جريدة حتى لا تدهسها السيارة مرة أخرى، وكثيراً ما أرى هذا من ذوي الرأفة، لعل هذه الرحمة بالحيوان تدخلك الجنة، ومن رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم، كما روى عبد الله بن جعفر وقد أركبه صلى الله عليه

وسلم وراءه عندما دخلا البستان أن راح جمل إلى النبي وحط رأسه على كتفه يفضض له، والنبي يمسح زفراته، يمسح دموعه، وهو يشكو إليه قسوتهم عليه، فإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((مَنْ صَاحَبُ الْجَمَلِ فَجَاءَ قَتَى مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ هُوَ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ أَمَا تَنْقَى اللَّهُ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَكَّهَا اللَّهُ إِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنْكَ تَجِيعُهُ وَتَدْبِئُهُ))⁽¹⁾: (أي ترهقه بالعمل الشاق). يوصيه بالرحمة بالحيوانات التي خلقها ربنا، صنع الله الذي أتقن كل شيء.

وصور حب النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة ومن الناس الطيبين من يعلن عن حبه بأنه سوف يطبع أحاديثه كل أسبوع ويضعها في بيته ومحل عمله، ويفرح الرسول صلى الله عليه وسلم، فيسامح كل من ظلمه، ومنهم من يقول سوف أواظب على صلاة السنن، هدي النبي صلى الله عليه وسلم وأحاول أن أمتنع عما لا طائل له، وعن أن أشاهد ما لا فائدة له في التلفزيون، وأمشي على خطى النبي صلى الله عليه وسلم، ومنهم من هجرت شابًا، كانت تحبه منذ خمس سنوات محبة في النبي صلى الله عليه وسلم، ومن تهدي خاتمة القرآن التي ختمتها في شهرها لوالدتها التي لا تعرف القراءة، ومن ينتوي ألا يسخط والديه، فينتظم في كليته، ومن تنتوي أن تعلم أختها الصغيرة محبة النبي، ومن تقرر ألا تسلم بيدها على زملائها، ومن يؤلف كتابًا في التنمية البشرية لمصلحة المسلمين، ومن يعزم على ألا يخذل المستضعفين من المسلمين الذين يحاربون في كل بلاد المسلمين.

الخلاصة

- الحب هو المحرك الذاتي الذي لو غُرس في قلوبنا يصبح لدينا دافع داخلي لفعل كل ما هو نافع دون الحاجة لدوافع خارجية.
- بركته صلى الله عليه وسلم على الكون كله منذ ولادته.
- حب جميع المخلوقات للنبي صلى الله عليه وسلم بسبب طاقة الحب التي كان يرسلها صلى الله عليه وسلم حوله.

(1) رواه البخاري رقم (2731).

(1) مسند أحمد بن حنبل، رقم 1745.

7- رحلة حب ((الإسراء والمعراج))

لا شك أن مقام النبي محمد مقام عظيم، وهو عبد الله - سبحانه وتعالى - وكلنا نقرأ قول الله تعالى: **(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ)** [الإسراء:1]، وقوله: **(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ)** [الكهف:1]، وقوله: **(تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ)** [الفرقان: 1]، ولهذا فهما عظم قدر النبي عند أحبائه وأتباعه فلن يخطر على بال أحد أن الاقتداء بالرسول والسير على منهجه والرفع من قدره قد يكون شركًا بالله، وإذا كان سيدنا عيسى يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله وهو عبد الله، فما بالك بسيد الأولين والآخرين صاحب المقام الخاص الذي قال - سبحانه وتعالى - في حقه: **(مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ)** [النساء: 80]؛ فلا داعي مطلقًا لما يجيء على بال بعض الناس من وساوس حول زيادة تعظيم النبي، والاستشهاد بقوله صلى الله عليه وسلم: **(لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللَّهِ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ)** (1) لأن الحديث ينهى عن التشبيه بالنصارى الذين قالوا إن المسيح ابن الله أو هو الله، لكن الله حين يعلمنا أن الحديث مع الرسول صلى الله عليه وسلم بأسلوب غير لائق، أو رفع الصوت عنده يضيع الأعمال، فهذا لا يدل إلا على مكانة الرسول الذي هو عبد الله لكنه سيد العباد، فحين نقول إننا نفعل ذلك من أجل النبي فالمراد من أجل رضا الله - سبحانه وتعالى - ومن المعلوم أن النبي نبي والرب رب. ومن مظاهر مكانة النبي عند ربه أنه أسرى به لما رأى أنه يحتاج إلى الحنان والرحمة بسبب التكذيب والقسوة من قريش، بعد وفاة الحبيبين أبي طالب وخديجة اللذين كانا يخفان عنه كثيرًا من المتاعب والمصائب.

في يوم من الأيام ينزل روح القدس جبريل إلى الرسول ليأخذه في قصة حب إلى الله - سبحانه وتعالى - ليشق صدره ويغسل قلبه بماء زمزم على قول بعض العلماء، وهذه هي المرة الثانية التي يغسل فيها قلب النبي بعد أن شق صدره وهو صغير عند حليلة السعدية. وشق الصدر في رحلة الإسراء ضروري لأن النبي سيرى في هذه الرحلة بعينيهِ وقلبه ما لم يره من قبل بل ما لم يره أحد من قبله، ويتحرك الرسول مع سيدنا جبريل، وتأتي دابة عجيبة تشبه الحصان اسمها البُرَاق فتتهتز فرحًا بأن النبي سيركب عليها، فيقول جبريل للبُرَاق: ألا تستحي يا بُراق: فوالله ما ركب على ظهره عبد أكرم على الله من محمد، ويركب الرسول على البُرَاق الذي ينطلق في طرفة عين فيضع قدمه حيث ينتهي بصره، وكأن الله سبحانه وتعالى يقول للرسول: إذا كان البُرَاق يضع رجله في المكان الذي ينتهي إليه بصره وهو مجرد دابة مسخرة تحتك فإنك ستصل يا حبيبي إلى ما تريده من هداية العالمين فلا تحزن على ما قضيت من سنوات عشر في مكة، فاصبر على القلوب القاسية حتى يرى الناسى حبك لي وصبرك من أجلي، فيتبعك الناس ويعرفوا معنى الحب والتضحية من أجل الحب.

وتبدأ قصة الحب برسائل من رب العالمين ومواقف يسأل في رسوله، فيمر الرسول في المعراج ومعه جبريل على قبر سيدنا موسى وهو واقف يصلي في قبره يكمل قصة الحب التي بدأها من دعوته مع بني إسرائيل، ثم يمر الرسول فيشم رائحة طيبة تخرج من قبر، فيسأل فيعرف من جبريل أنه قبر ماشطة آل فرعون التي كانت تمشط بنت فرعون فوق المشط من يدها فقالت باسم

الله، فدار حوار بينها وبين بنت فرعون انتهى بأن الماشطة تؤمن بالله ولا تؤمن بفرعون فلما بلغ ذلك فرعون أحضرها وسألها فأصرت على أن هناك إلهاً آخر غيره فرمى أولادها في الزيت المغلي، وكانت تحملُ طفلاً رضيعاً فلما همَّ فرعون بإلقائه نطق الرضيع فقال لها: يا أمي اثبتي إنك على الحق، وكان الله سبحانه وتعالى يُنطق الطفل كهديه حب إلى هذه الماشطة. وفي رؤية الرسول هذا المشهد ليلة الإسراء والمعراج دلالة على حب الله لرسوله وكأنه يقول له إن الحب حين يدخل القلب يُخرج منه المشقة والتعب والملل والأسى.

الْحُبُّ يَعالِجُ

وفي هذه الرحلة صلى النبي بالأنبياء جميعاً من لدن أبينا آدم إلى سيدنا عيسى، و قد كانوا في انتظاره بالمسجد الأقصى، وكان الله يقول لنبينا محمد أنت إمام الدنيا كلها والآخرة، أنت دائماً الأول يا محمد، أنت دائماً المقدم، أنت دائماً أقربهم إليّ وأعظمهم عندي. هذه كلها رسائل حب من الله لنبيه يقول الله فيها: إذا كان بعض الناس قالوا لك نبأً لك حين كنت تكلمهم في الدين، فسادات العالمين كلهم واقفون خلفك كلهم في منتهى الأدب والتعظيم والتوقير لك. وحين صعد النبي إلى السماوات العلى رحّب به هؤلاء الأنبياء وقالوا له: أهلاً بالنبي الصالح والأخ الصالح فقال له آدم أبو البشر. أهلاً بالنبي الصالح والابن الصالح، والكل لسان حاله يقول: زارنا النبي.

وسط هذه الرسائل من الحب لا ينسى الرسول أمته حبيبته فيطلب من الله أن يخفف على أمته الصلاة، فتنزل من خمسين إلى خمس في الأداء، وتبقى خمسين في الأجر. هذا هو مقام النبي عند ربه، وهذا هو حب الله لنبيه، وحب النبي لأمته، فهل نحن نحب الرسول فنقدم إليه رسائل حب ممثلة في الأعمال التي ترضيه مثل صلة الأرحام، ولبس الحجاب، والمحافظة على المياه، وتنظيم الوقت، وغير ذلك من الأعمال التي يمكن أن نقدمها إلى الرسول كرسائل حب.

الخلاصة

- للنبي صلى الله عليه وسلم مقام عظيم عند رب العالمين - سبحانه وتعالى - .
- من مظاهر حب الله - سبحانه وتعالى - لحبيبه جبر خاطره برحلة الإسراء والمعراج.
- الحب حين يدخل القلب يخرج منه المشقة والتعب والملل والأسى.

(1) رواه البخاري رقم (3261).

8- أنت مع من أحببت

قصة حب جديدة لعلنا نخرج منها أكثر حبًا للنبي صلى الله عليه وسلم وقبله لرب النبي سبحانه وتعالى، ونتعلم منه صلى الله عليه وسلم كيف كان يحب وكيف كان الحب في كل جوانب حياته، وكيف كان يزرع الحب ويحصد الحب، وكيف كان يضع قوانين للحب الذي هو باب للجنة ((لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولن تؤمنوا حتى تحابوا)) (1)... وحينما جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله: متى الساعة؟ قال: ((وماذا أعددت لها)) قال الرجل: ما أعددت كثير صلاة ولا صيام ولكني أحب الله ورسوله، فإذا بسيد المحبين يُطمئن قلبه ويُطمئن قلب كل مسلم، ويقول له: ((أنت مع من أحببت)) (2)، وينشرح صدر الصحابة لهذه البشرية من النبي صلى الله عليه وسلم: فبالحب ندخل الجنة بصحبته صلى الله عليه وسلم.

وهناك نقطة ركزت عليها ومازلت أركز عليها عند حديثي عن النبي صلى الله عليه وسلم ألا وهي اختياره صلى الله عليه وسلم أن يعيش عيشة البسطاء في حين أنه كان أغنى الأغنياء.

بساطته رغم غناه صلى الله عليه وسلم

حينما ركبت السيارة اليوم ومررت بالقاهرة من الطريق الدائري ونظرت إلى بيوت المسلمين، وتذكرت أن العالم به ما يقرب من 6 مليارات إنسان، منهم 4,3 دول نامية، منهم 3 مليارات يعيشون تحت خط الفقر، يعني نصف العالم دخله أقل من 10 جنهات لأسرة كاملة، 80% من العالم بسطاء، والنبي صلى الله عليه وسلم بمعيشته هذه يشعرون بأنه منّا وطبعًا هو أعظمنا، لكنه لا يضع فوارق رغم خروج الماء من بين أصابعه، وزيادة الطعام بين يديه صلى الله عليه وسلم حتى إنه كان يكفي أصحابه جميعًا صلى الله عليه وسلم، وكل هذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم. كذلك كان له صلى الله عليه وسلم خمس الغنائم، وهذا ما قسمه الله له، وذات مرة كان نصيبه في غزوة خُنين ما بين جبلين غنمًا، فنظر إليها رجل، فقال له صلى الله عليه وسلم: (أتعجبك هذه؟) قال: نعم، قال: ((هي لك)). هذا هو الحب والعطاء وكسب القلوب التي أراد الحبيب صلى الله عليه وسلم أن يعلمنا إياها. فماذا كان موقف الرجل؟ ذهب إلى قومه وقال لهم: اذهبوا إلى محمد: فإنه يعطي عطاء من لا يخشى الفقر.

يعرض عليه سيدنا جبريل من رب العالمين أن تصير معه الجبال ذهبًا، قال: ((لا، ولكن أشبع يومًا وأجوع يومًا، فإذا جُعْتُ تضرعت إلى الله، وإذا شبعت حمدت الله)) (1)، وفي رواية أشهر ((فإذا جُعْتُ صبرت وإذا شبعت شكرت)).

عاش صلى الله عليه وسلم ليعلمنا، فحينما يجد الفقير نفسه بائسًا يتذكر سيد الأولين والآخرين، ويتذكر قناعته وصبره.

يا رسول الله، كم زرعت في قلوبنا الحب تجاهك وتجاه الله تبارك وتعالى، وتجاه الإسلام. النبي صلى الله عليه وسلم لم يرض أن يكون ملكًا نبيًا وإنما اختار أن يكون عبدًا نبيًا، اختار أن يكون واحدًا منا: من عوام الناس البسطاء، الحب الذي علمه لنا النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون عبدًا يأكل كما يأكل العبد، ويجلس كما يجلس، ((لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ)) [التوبة: 128] فأنا منكم وانتم مني.

موقف حب من الرسول مع عبد الله من عبيد اليهودي

في غزوة خيبر كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحاصر اليهود، إذ جاءه عبد من عبيد اليهود متنن الرياح، رث الثياب، دميم الخلقة فقال له: الجنة التي تصفها لأصحابك هل من الممكن إذا قاتلت معك ثم قُتلت أن أدخل قصورها وأتمتع بجمالها؟!!

يقول راوي القصة: فترك النبي صلى الله عليه وسلم الحرب وجلس معه يحدثه عن الإسلام ليسلم، وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يحقر أحدًا، ودخل العبد في الإسلام بعدما أخبره الحبيب صلى الله عليه وسلم أنه إن أسلم وقاتل فُقُتِل فهو من الشهداء والسابقين، فإذا بالعبد يسلم ويقاوم مع النبي صلى الله عليه وسلم ويُقتل شهيدًا، فيمر عليه النبي صلى الله عليه وسلم وهو ملقى على الأرض مترب الوجه فيقول: ((لقد أحسن الله وجهك وطيب روحك وكثر مالك، قال: وقال لهذا أو لغيره: لقد رأيت زوجتيه من الحور العين تنازعانه جيبته عنه يدخلان فيما بين جلده وجيبته)) (1).

رأى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك وقت استشهاد هذا الرجل: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ١٦٩ فَرَجِينِ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: 169, 170] هذا هو جزاء الشهداء؛ لذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يحقر أحدًا يترك الحرب ويترك الجهاد ليطيب نفس إنسان جاءه سائلًا مستفسرًا، وبمقاييس الدنيا هذا عبد خادم، وذاك رئيس الدولة، رئيس دولة الإسلام وراعي دولة الإسلام، ولكنه يجلس معه ويعلمه.

حدا أنس - رضى الله عنه - وأمنيتها

أنس بن مالك كان خادم النبي صلى الله عليه وسلم وكان طفلًا صغيرًا يبلغ من العمر عشر سنوات، ونعلم أن أمه تسمى أم سليم لكن جدته اسمها السيدة مليكة، وهي التي دعت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى طعام صنعته؛ إنها جدة خادمه وامرأة عجوز تدعوه إلى طعامها، انظر ماذا فعل الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم مع هذه العجوز التي أغلى أمنية لها في الدنيا أن يزورها النبي ويطعم من طعامها ويصلي في بيتها. وما كان من الحبيب صلى الله عليه وسلم إلا أن ترك كل أشغاله وذهب ليطعم من طعامها ويلبي دعوتها، وبعد أن انتهى من طعامه يقول أنس: ((فجئت بحصير قد اسود من طول ما لبث عندهم))، فقام صلى الله عليه وسلم وصلى على هذه الحصيرة ((المهربدة)) المقطعة التي اسودت من كثرة الاستعمال، وقام بجواره أنس مؤتمًا به وترك مكانًا للعجوز لتصلي وراءهما في بيتها، حتى أصبح هذا المكان هو مُصلاها بعد ذلك؛ لأن هذا المكان هو الذي سجد فيه النبي صلى الله عليه وسلم فيه صلوات ربي وسلامه عليه.

العزة الصغيرة أضحية

في يوم عيد الأضحى جاء رجل فقير إلى النبي صلى الله عليه وسلم - هذا الرجل ليست عنده ذبيحة ينحرها كما يطلب الشرع؛ حيث يجب أن تبلغ الأضحية من العمر سنة فما فوق حتى يكون حجمها مناسبًا ويمكن توزيعها، جاء هذا الرجل إلى الحبيب صلى الله عليه وسلم يشتكي أنه لا يستطيع أن يضحى، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم: إن لي عناقًا (يعني عزة صغيرة) هل تجزئ؟ فإذا بالمعلم طيب القلب يقول له: ((تجزئ عنك ولا تجزئ عن غيرك)) (1)؛ أي أنه حينما أتى هذا الرجل للنبي صلى الله عليه وسلم: لم يشأ أن يرده كسيرًا أو حزينًا، وإنما أراد أن

يُدخل السرور على نفسه، فرد عليه ردًا يرضيه ويرضي أهله ردًا جميلًا، هذه أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم.

صلاة النبي صلى الله عليه وسلم في بيت الكفيف:

جاء رجل كفيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليخبره أنه حينما يسقط المطر في المدينة لا يستطيع الذهاب إلى المسجد، فجاء يشتكي إلى سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم والحديث في البخاري، قال له: لو أتيت إلى بيتي لتصلي فيه ركعتين لأصلي مكانك فيه ويكون موضعاً لصلاتي؟

الرجل الضرير المسكين يطلب من الحبيب أن يذهب معه إلى منزله فيصلي له فيه، والنبي صلى الله عليه وسلم عنده من الأشغال الكثير، لكنه ذهب معه، وحينما دخل وقبل أن يجلس قال له: ((أين تحب أن أصلي لك))؟ لم يسترح النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجلس فقد كان دائماً مشغولاً، فقام النبي صلى الله عليه وسلم وصلى في بيت الرجل ومعه سيدنا أبو بكر، صلوا صلاة جماعة؛ حتى تكون البركة أعظم، ويصلي في هذا المكان الرجل الكفيف الذي لا يستطيع الذهاب إلى المسجد وسط المطر، بالسعادة! فنحن في هذه الأيام نذهب إلى المسجد النبوي ونبحث عن أسطوانة عائشة ونتراحم حتى نصل إليها لنصلي فيها أو في الروضة الشريفة؛ التماساً لموضع صلاة الحبيب صلى الله عليه وسلم ومجلسه، وأسطوانة عائشة عبارة عن عمود في المسجد النبوي بجوار بيت السيدة عائشة وبجوار قبر النبي الشريف صلى الله عليه وسلم، نتكالب على الصلاة في هذه الأماكن التماساً لبركة الحبيب صلى الله عليه وسلم.

يذهب معه الحبيب صلى الله عليه وسلم إلى بيته ويصلي معه هو والصدیق - رضي الله عنه - يا أسعدك يا من صلى الحبيب صلى الله عليه وسلم في بيتك! يا من ستسجد مكان سجوده و تضع رأسك مكان رأسه الشريف صلى الله عليه وسلم!

احساس النبي صلى الله عليه وسلم بجوع أبي هريرة

رضى الله عنه:

سيدنا أبو هريرة يقول: كنت فقيراً جداً وكنت من شدة الجوع أنام على كبدي بطريقة معينة، طريقة يظنني الناس بها مجنوناً، والله ما بي إلا الجوع، وأربط الحجر على بطني من شدة الجوع، وذات يوم اشتد بي فخرجت وقت غداء وأنا أعرف القرآن وأعرف تفسيره، لكنني رأيت أن أسأل من يمر بي، فربما وأنا أسأل عن آية في كتاب الله، وإنما لمعي، رجاء أن يطعمني، فقال الأول: تقول كذا وكذا وانصرف، ومر عمر بن الخطاب فسأله عن آية، فقال تقول كذا وكذا وانصرف، فجاء الحبيب أبو القاسم صلى الله عليه وسلم، فلما نظر إليّ علم ما بي من الجوع فقال: ((الحق)) (1) أي اتبعنا، وهنا أقف قبل أن أكمل القصة، ينظر صلى الله عليه وسلم في وجوه أصحابه فيعلم ما بهم، هذه نظرة اطمئنان، يطمئن على أحوالهم، ليست نظرة عابرة، ينظر ما يريدون وما يحتاجون، نظرة أبوية نبوية تتفحص الوجوه والقلوب والنفوس لتعالجها، لو أنك أحسنت إلى شخص وأطعمته وهناك فارق بينك وبينه وشعر هو بذلك ماذا سيكون طعم الطعام في فيه، أو الإحسان إليه؟

الإنسان نفسيته أهم من بطنه، الأكل والإحسان إذا كان معهما من كانا منغصين، هكذا نتعلم من المعلم، أبا هريرة اتبعنا، فمشيت وراءه وهو يعلم ما بي من عيني، وجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم

وسلم كوب لبن، فقال: ((من أين هذا اللبن))؟ قالوا: هدية. فقال صلى الله عليه وسلم: ((انطلق إلى أهل الصفة فادعهم لي)) (1)، وأهل الصفة كانوا من فقراء المسلمين ليست لهم بيوت ويجلسون بجوار بيت النبي حول الحجرة الشريفة والقبر الشريف وهم سبعون وأحياناً أربعمائة، من الذي ينفق عليهم؟ ينفق عليهم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، حينما تأتي له الغنائم والأموال والهدايا، وكان صلى الله عليه وسلم يبعث إليهم بالصدقات ولا يأكل منها، وإنما كان يأكل من الهدية، إذا جاءت الهدية أكل منها وشاركهم فيها ولا يشاركهم في الصدقة - هذا هو الحبيب صلى الله عليه وسلم.. الذي دعاهم في هذا اليوم فأرسل لهم أبا هريرة الذي يحكي هذا الموقف فيقول:

فَانطَلَقْتُ فَدَعَوْتُهُمْ فَاقْبَلُوا فَاسْتَأْذَنُوا فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنَ الْبَيْتِ ثُمَّ قَالَ: ((أَبَا هُرَيْرَ خذْ فَأَعْطِهِمْ فَأَخَذْتُ الْقَدَحَ فَجَعَلْتُ أَعْطِيهِمْ فَيَأْخُذُ الرَّجُلُ الْقَدَحَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرُوِي ثُمَّ يَرُدُّ الْقَدَحَ وَأَعْطِيهِ الْآخَرَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرُوِي ثُمَّ يَرُدُّ الْقَدَحَ حَتَّى أَتَيْتُ عَلَى آخِرِهِمْ وَدَفَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذَ الْقَدَحَ فَوَضَعَهُ فِي يَدِهِ وَبَقِيَ فِيهِ فَضْلَةٌ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَظَنَرَ إِلَيَّ وَتَبَسَّمَ فَقَالَ: أَبَا هُرَيْرَ قُلْتُ لِيَبِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: بَقِيْتُ أَنَا وَأَنْتَ فَقَلَا صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: فَأَقْعُدْ فَاشْرَبْ قَالَ فَفَعَدْتُ فَشَرِبْتُ ثُمَّ قَالَ لِي: اشْرَبْ فَشَرِبْتُ فَمَا زَالَ يَقُولُ لِي اشْرَبْ فَاشْرَبْ حَتَّى قُلْتُ لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَجْدُ لَهَا فِيَّ مَسْلَكًا قَالَ نَاوَلَنِي الْقَدَحَ فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ الْقَدَحَ فَشَرِبَ مِنَ الْفَضْلَةِ. (1)

يقول أبو هريرة - أجمل كلمة في الحديث - قال: فأخذ النبي الإناء وشرب الفضلة. شرب ما تبقي من 400 شخص وضعوا أفواههم على الإناء، حب عظيم، أنا منكم وأنتم مني؛ حينما هممت أن تمد يدك لتقطف عنقود العنب من الجنة، لكنك تراجع وتقرر أن تأكل من أمتك، يا حبيب المساكين، ويا حبيب كل من ليس له حبيب، صلى الله عليك وآلك، لدرجة أنه صلى الله عليه وسلم يقول ((لو دُعيت إلى كراع لأجبت)) (1)، وما هو الكراع؟ هو ساق العنزة التي ليس عليها لحم.

تلبية النبي صلى الله عليه وسلم لدعوة الرجل الساكن في آخر المدينة:

أحياناً كان المساكين يجمعون ما تبقي من أكل الأغنياء فكان العظم به قليل من اللحم فيأخذونه يعملون به المرق، هذا هو الكراع. لو دعيت إلى كراع لأجبت، وقد حدث أن دعا أحد المساكين رسول الله صلى الله عليه وسلم على طعام منتصف الليل، وكان صلى الله عليه وسلم يحب النوم بعد العشاء كما في الصحيح، فيأتي هذا الرجل ويأخذه معه ليطعمه من خبز الشعير، وكان هذا الرجل يسكن في العوالي (آخر المدينة) ويجيبه النبي صلى الله عليه وسلم، مع أن الوقت قد تأخر والمكان بعيد والطعام خبز الشعير وهو أردأ أنواع الخبز، ولكن الحبيب صلى الله عليه وسلم جابر القلوب الكسيرة.

وذات مرة، كما في الشمائل للإمام الترمذي، دُعي إلي خبز الشعير وإهالة سنخة فأجاب، وإهالة السنخة: هي الدهن القديم النسخ، لكنه يجيب صلى الله عليه وسلم قليل من الخبز ودهن متغير الطعن، ولكنه لم يكن ليكسر قلوب المساكين، فهذا شرف عظيم أن يزوره النبي صلى الله عليه وسلم ويأكل عنده ولا يريد النبي صلى الله عليه وسلم أن يجرمه من هذا الشرف. ونحن في هذه الدنيا حينما يأتي إلي بيتنا أحد المشاهير ماذا يحدث؟

لا نقول زارانا، إنما لو رأيناه نتمنى أن نأخذ صورًا معه كتذكار ولو جاءك البيت تشعر كأنك طائر من الفرحة وتتمنى أن يعلم الناس أن فلاناً من المشاهير زارك في بيتك، فما بالك بسيد الأولين والآخرين حينما يراه الناس وهو آتٍ بنفسه إليك إلى حي بعيد من أحياء المدينة إلى رجل من المساكين لبي رئيس الدولة ورئيس الأمة دعوته ويذهب إليه ويأكل خبز الشعير والإهالة السنخة؟!

تلبية النبي صلى الله عليه وسلم لدعوة البنت الصغيرة:

تأتيه بنت صغيرة وهو يجلس وسط صحابته الكرام، ولا بد أنه كان يصنع شيئاً هاماً جداً؛ لأنه صلى الله عليه وسلم لم يكن لديه وقت يضيع هباءً، كل وقته مشغول بالعمل والطاعة؛ فقد كان أكرم الناس وأتقى الناس ويتفاضل الناس بالقرب منه صلى الله عليه وسلم. وآية تفضيل النبي: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات 13] فهو النبي صلى الله عليه وسلم هو أكرمنا عند الله تعالى، تأتيه بنت صغيرة لم تبلغ فتمسك بيده وتقول له: أيمكن أن تأتي معي لأشتري شيئاً؟ فيذهب معها صلى الله عليه وسلم إلى آخر المدينة ويشتري معها ما تريد وترجع واضعة يدها في يده فلا ينزع يدها كما في صحيح مسلم والناس يرونهما. صلى الله عليك يا حبيب المساكين والمكسورين ويا حبيب كل من ليس له حبيب.

موقفه صلى الله عليه وسلم مع الأنصار بعد غزوة حنين:

بعد غزوة حنين سنة 8 هـ وبعد أن وزع سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم الغنائم، وبعد فتح مكة وكان 12 ألفاً مع النبي صلى الله عليه وسلم ضد 30 ألفاً من هوازن، وانتصر النبي صلى الله عليه وسلم كان معظم المحاربين من المسلمين حديثي عهد بالإسلام تقريباً، 2000 مسلم كانوا حديثي عهد بالإسلام، فلما جاءت الغنائم الكثيرة وزعها النبي صلى الله عليه وسلم على حديثي العهد بالإسلام، وترك المسلمين السابقين؛ وذلك تأليفاً لقلوبهم حتى يزدادوا حباً للإسلام والمسلمين، لكن الأنصار أحزنهم ذلك، ووصل الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. تخيل رد فعل النبي صلى الله عليه وسلم حينما يجد الصحابة والأنصار أحزنهم ما فعله وتكلموا في ذلك مع حبه الشديد له!

هل نهرهم وقال لهم: إنه الوحي، أو قال لهم: إني النبي ولا يعترض أحد على ما أفعل. هل قال: انتظروا حتى نرجع المدينة ثم نتحدث؟

لا، لم يتركهم وإنما جمع الأنصار في مكان وحدهم ثم وقف فيهم خطيباً وقال كلاماً فيه قمة الحب وقمة الفهم وقمة الرحمة؛ قال ((يا معشر الأنصار، ألم أتكم ضللاً فهداكم الله بي؟ ألم أتكم عالة فقراء فأغناكم الله بي؟ ألم أتكم متفرقين متحاربين فألف الله بين قلوبكم؟)) قالوا: لله ولرسوله الفضل والمنة. ثم قال لهم: ((إن قلتم لصُدِّقتم، لو قلتم جئتنا طريداً فأويناك، ومُكَدَّبًا فصدقناك ونصرناك)). ((يا معشر الأنصار، ألا ترضون أن يرجع الناس بالشاه والبعير وترجعون أنتم برسول الله صلى الله عليه وسلم؟ لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، اللهم أغفر للأنصار، ولأبناء الأنصار، ولأبناء أبناء الأنصار)) (1).

..
لقد طيب خاطرهم وأرضاهم حتى بكوا واخضلت لحاهم.

لا بد أن نتعلم من الحبيب صلى الله عليه وسلم أنه ليس الفقراء والمساكين فقط هم فقط من يحتاجون إلى العطف، لكن الأب والأم والأخ والأخت والأولاد. هناك أوقات يحتاج كلُّ من هؤلاء إلى أن نطيب خواطرهم ونربت على أكتافهم، والأقربون أولى بالمعروف.

يجب علينا أن نبحث عن أقاربنا وعم جيراننا، نسأل عن المحتاج منهم، أفكر في الحي الذي أعيش فيه، أبحث عن رجل معروف عنه أنه من أهل الخير أضع يدي في يده ونمد يد الحب لكل فقير وكل محتاج، ونحمد الله سبحانه وتعالى أن الله رزقنا ما يكفيننا، أما أحببنا البسطاء الذين لا يملكون ما يكفيهم فتقول السيدة عائشة، رضى الله عنها: ((ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خير الشعير حتى قبض)).. النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي اختار ذلك وكانت خزائن الدنيا بيده، لكنه اختار أن يشبع يوماً فيحمد الله ويجوع يوماً فيسأل الله، فالحمد لله دائماً، وكلما اقتربنا من حبيبنا عُرس قانون الحب في قلوبنا، وكلما اقتربنا من حبيبنا اغترفنا من فيوضات حبه صلى الله وسلم وبارك عليه.

الخلاصة

- ((لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولن تؤمنوا حتى تحابوا))
- كان صلى الله عليه وسلم يعيش عيشة البسطاء في حين أنه كان أغنى الأغنياء.
- النبي صلى الله عليه وسلم لم يرض أن يكون ملكاً نبياً، إنما اختار أن يكون عبداً نبياً.
- كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يحقر أحداً، يترك الحرب ويترك الجهاد ليطيب نفس إنسان جاءه سائلاً مستفسراً
- كان النبي صلى الله عليه وسلم ينظر في وجوه أصحابه فيعلم ما بهم، نظرة اطمئنان، يطمئن على أحوالهم، ليست نظرة عابرة.

- (1) شعب الإيمان للبيهقي رقم (8746).
- (2) رواه البخاري رقم (3485).
- (1) سنن الترمذى رقم (2347).
- (1) دلائل النبوة
- (1) المطالب العالية رقم (2351).
- (1) مسند أحمد بن حنبل رقم 24908
- (1) ، (2) مسند أحمد بن حنبل رقم 10690.
- (1) رواه البخاري رقم (2449)
- (1) مسند أحمد رقم (11530)

9- أبغض المعاصي ولا تبغض العاصي

مع انتشار القنوات الدينية وكثرة المتحدثين في الدين في وسائل الإعلام وفي المساجد - ظهرت ظاهرة لم تكن موجودة أيام النبي، وأفضل الهدى هديه صلى الله عليه وسلم، وهي تفرقة المجتمع لملتزم وغير ملتزم، ومتدين وغير متدين، وهذه التفرقة لو كانت من حق أحد أن يقولها لقالها رب العالمين الذي يعلم مقادير وخواتيم العباد، لا نحن المساكين العصاة من علماء ومشايخ ودعاة، فكل ابن آدم خاطيء وخير الخطائين التوابون.

انتشرت ظاهرة تفريق المجتمع الكلام بأسلوب غير لائق على من ظاهره العصيان، وظهرت لغة لدى كثير من المتحدثين في الدين أو من المتدينين، وأنا لا أحب هذه التفرقة، مفادها أننا نحن المتدينين - لنا مقام عند ربنا، في حين أن هناك أناساً آخرين يطلق عليهم اسم أهل المعاصي، سواء من دلّ شكلهم على غير الالتزام، أو من يرتكبون المعاصي أمام الناس، فقد حدثت في المجتمع بدعة نفور عوام الناس من كثير ممن يتحدثون في الدين، نفور الكثيرين من الشباب والبنات الذين سيتبين لهم كل يوم خطوة بخطوة شئ جميل عن النبي صلى الله عليه وسلم يجعلهم ينظرون إليه بعين الحب أكثر، ويمشون على خطاه ويقلدونه ويحبونه، شيئاً فشيئاً يتعلمون معلومة، ولو عرفوه صلى الله عليه وسلم لأحبوه، ولكن أحدهم يفاجأ أنه يُسخر منه، أو أنه يتم انتقاده على نحو فيه نوع من النبذ ونوع من الانتقاص: ألا تزال عاصياً؟ لكون ظاهره يدل على عدم الالتزام، أو لكونها لم ترتد الحجاب بعد، ف وقعت فُرقة، وأصبح كثير من أهلينا في بيوتنا عندما يفتحون القنوات الدينية يضعون مائة حاجز بينهم وبين المتحدث في الدين، والسبب أننا طالما سمعناكم نتحدثون عنا - نحن الذين لم نتخذ خطوات مثلكم في الظاهر - بطريقة سيئة، وقد أشعرتمونا أننا لا نستحق أن نعيش في مُلك رب العالمين، ويبدو أنكم لا ترون قلوبنا، وإنما لنحب ربنا، ويبدأ الدفاع: إنما نحب الله ولا ضرورة للمظاهر، ولا لأن تظلموا تكلموننا كل يوم عن قال الله وقال الرسول، وقد راحوا يتباعدون عن قال الله وقال الرسول، ويقولون أنه ليس كل أمر دينياً، وإن كل أمر يدخل فيه الدين، ولكن ليسوا هم السبب، وإنما السبب نحن الذين نقول إن العاصي إنسان سيئ وقد خلطنا بين العاصي والمعاصي، خلطنا بين نفسية الإنسان الذي فطره الله عليها، والذي قيل عنه: كل ابن آدم خاطيء، وبين أن الله لا يحب المعاصي ويحب للناس أن يتوبوا، فأنت ترجع إليه، لكنه هو الذي يعرف خواتيم العباد، وهو يرتضينا على نقصنا وعيوبنا، وهو الذي يدعوا للجنة، ويدعونا للقرب منه، ويدعونا نحن - لأننا جميعاً عباده وأولاد آدم وحواء - لأن نتحاب فيما بيننا، نحن أحباب النبي عليه الصلاة والسلام، وهو يدعونا للحب: ((لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولن تؤمنوا حتى تحابوا)) (1). وما يبدو على العيون إنما يبدو من القلب فلا يمكنك يا ابن آدم، يا من خلقك الله وعيناك هما قلبك، وما في قلبك ظاهر في وجهك، وعيناك لا تعرفان الكذب، إذا كنت لا تحمل في قلبك حباً لكل من تربط بينك وبينه لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فمهما دعوته، ومهما ابتسمت في وجهه ابتسامة صفراء؛ لكونها لم تخرج بصدق من القلب فلن يحبك، ولسان حالك أننى لا أحبك أيها العاصي، فانس... انس أن تعرف أن تؤثر، ولنز أحسن الهدى هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي علمنا الحب ونشره، ويرى بما أودع في قلبه من حب الحب في قلوب الناس، الطائع منهم والعاصي.

وهنا لا بد أن نخرج - كما يقولون - من داخل الصندوق لنرى أفعال الناس، ونرى قدر الله، وأنه يمكن لإنسان في وقت من أوقات حياته أن يكون عاصياً، وأن تكون هذه هي مشيئة الله له في هذه الفترة من حياته؛ لعل نل المعصية يعلمه، فيحس إذا عاد إلى الله بنور وعز الطاعة، حتى إذا بدّل الله سيئاته حسناتٍ أصبحت لديه حسنات لا تُعد.. ولو أنك رأيت ((كاتس تيفين)) الذي أصبح اسمه يوسف إسلام الآن وقد كان واحداً من أكبر المغنيين منذ 30 عاماً، ولو رأيت حينها وهو يرقص لقلت: أيمن أن يهدى الله مثل هذا الإنسان؟ وها هو قد أصبح من أكبر الدعاة في أوروبا، ومن أكثر الذين يسلم الناس على يديه، فإنه لا يعلم الخواتيم إلا رب العالمين - سبحانه وتعالى - فانظر إلى قدر الله، وإنها لمن أعظم الغفلات التي تنتاب الإنسان أنه يكره أهل المعاصي ويخلط بين المعصية والعاصي نفسه، فتجد المجتمع وقد تفرق، وأناساً كثيرين وقد كرهوا المتدينين، وتولدت لديهم - للأسف - فكرة سيئة عن الدين؛ لنسبتهم هذه السلوكيات إلى أهل الدين.

ولننظر ما الذي جال بذهن النبي صلى الله عليه وسلم وهو مهاجر إلى المدينة، وقد كان يريد أن يجمع الناس، وهو يطلبونه من ورائه في مكة، ترى أيصلون إليه أم يصل أولاً ومعه أبو بكر صاحبه، ويخبرونه أن هناك لصين من قُطاع الطرق في طريقه، ليحذرهما، فيذهب صلى الله عليه وسلم إليهما، فيكلمهما عن الإسلام.. لصان قاطعا طريق يخشى عليهما النبي صلى الله عليه وسلم بقلبه المحب وبعينيه الشريفتين اللتين تريان الحب في العيون والقلوب، حتى لو كان الظاهر هو المعاصي، ودعاهما صلى الله عليه وسلم للإسلام، ولما سألهما عن اسمهما فقالا، المهانان، وهو اسمهما عند الناس، سماهما (المكرمان)، فالأصل عند الله في اللوح المحفوظ أنهما مكرمان؛ ولذا هداهما إلى لقاء الرسول صلى الله عليه وسلم وإلى شهادة أن لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فكل إنسان لا يخرج عن كونه طائعاً وعاصياً، والكل يخطئ وفصل المجتمع بين طائع وعاصٍ وأهل دين وأهل فسق - من أخطر الأمور التي كرهت الناس في المتدينين وفي الطريق إلى الله، عز وجل، ونحن نبغض صاحب المعصية على قدر معصيته بادعاء أن الله يكرهه، ولذا فنحن نكرهه، ولكن ما أدراك أن الله يبغضه أو أنه لم يقدر له الخير، فتروح ترمقه العيون القاسية وتنفر منه القلوب المتحجرة، وتتناوله الألسن الساخرة.

يروى في البخارى أن صحابياً اسمه عبد الله كان يكثر من الشراب، فيقام عليه الحد، فقال له صحابئ آخر: ((لعنك الله، ما أكثر ما يؤتى بك مخوراً))، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ((لا تلغنه؛ فما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله)). وأنت لن تحبّ الله إلا إذا أحبّك، فمكّن حبه من نفسك، ونحن نطلق في زمننا على من يدمن شرب الخمر ((الخمورجي))؛ إذ نراه سكران في الشارع، أو يلف سيجارة المخدرات أو الحشيش، وقد أعانك الله بالصحة الطيبة والأسرة التي أحسنت تربيتك، فماذا كنت قائلاً على نفسك لو ابتليت مثله ببطانة سوء يجرونك إلى المعاصي؟! نعم نحن نضيق بالمعاصي ونقومها بألسنتنا وقلوبنا، ولو ملكنا وكان لنا السلطان فبأيدينا، ولكن ينبغي أن يكون بقلوبنا الشفقة، شأن الرسول صلى الله عليه وسلم الذي نهى عن لعن الصحابي لكونه يحب الله ورسوله.

السخرية تفرق بين القلوب :

ذات يوم كنت أشاهد أحد البرامج الدينية التي كثرت، وهذا خير، ولكن لا بد لمن يخرج أمام الكاميرا أن يعلم أن الناس جميعاً يسمعون، وأن مجتمع المتدينين لو أغلق على ذاته وراح يسخر

من العاصي ويشتمه، لكان منقراً، فوجدت المتحدث يتكلم عن المغنين، فإذا به يسخر من أحدهم ويقول: ((أصل المغني عمال ينتطط على المسرح، لابس لي فانلة كت، فانلة بحمّلات كده وموقف شعره كأن سلك كهرباء ضار في دماغه)). .. إنه يسخر، وبوسع المغني أن يرد عليه: ((إنت بتتريق عليّ ليه؟ تحب أتريق على ذقنك؟ فإن قلت لي إنها هدي النبي، فأنت الذي علمتني (التريقة).. أحب أن أسخر من طريقة كلامك باللغة العربية؟ ستقول لي أنها لغة أهل الجنة - لغة القرآن، ولكنك استثرتني وعلمتني السخرية)) وكذلك السخرية من المذيعات اللاتي يظهرن بدون حجاب يقول على الواحدة منهن: ((طالعة ضاربة شعرها في الخلاط)) ولنفترض وجود من تجلس وهي غير محجبة، فهل يليق أن يصدر عنك مثل هذا القول، أنت يا من تصلي في المسجد، ويا من تدعي القرب من الله؟ إنه ليغريها بالسخرية وإن كان يدعوها إلى الحجاب، والله تعالى يقول: ﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ [الحجرات: 11] وقد تكون هي أحسن إن كانت لديها معصية ظاهرة، من تلك التي تسعي بالغيبة والنميمة، وهي من أكبر الكبائر التي يقع فيها الناس؛ لأنها في حق العباد.. نسأل الله أن يغفر لنا - وهو الغفور الرحيم - فيمن اغتبناهم وأن يسامحونا. فلو قالت لك: أهذا هو الدين الذي تتكلمون عنه؟ فأمامك أن تقول: لا، إلا أنني أسخر من المسلمين: فتقول لك ((رُح، فُتُب، فإن هذه كبيرة من أكبر الكبائر))؛ فتكون هي التي تعلمك، أو يعلمك صاحبنا الذي ضربه سلك الكهرباء، ولا أدري ما يقوله لك! فكيف تري نفسك، أنت يا من تتكلم؟ أترى نفسك من أهل الطاعة أم من أهل المعاصي؟ كيف تصنف نفسك؟ أنت يا من تلقي الدروس الدينية؟ أيها الشيخ أو الداعية أو الملتزم أو أيتها المحجبة؟ وماذا عن أخبار معاصي البواطن وعدم الرضا وعدم شكر النعمة والغيبة والنميمة وسوء الظن بالناس، تلك الصفات التي قد لا تكون فيمن ظاهره المعصية؟ ويا ترى هل المعاصي البواطن أكبر من معاصي الظواهر؟ لقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم - بالحب الذي في قلبه - الحب الذي في قلوب العصاة لربهم وخالقهم..

إننا جميعاً متشابهن، كلنا نخطئ، ولا بد أن نتكاتف، ومن يسخر يرتكب كبيرة من أكبر الكبائر، مهما علا شأنه في العلم والدين، ومهما يكن خارجاً من التراويح ويصلي بجزء، غير أنه ينظر بكره إلى أحبة النبي؛ أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقد حدث أيام النبي صلى الله عليه وسلم أن أصاب رجل من امرأة قبله، وهُرع إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يشعر بالندم. والرواية في البخاري وفي غيره أنه فعل ما دون الجماع، وأن المرأة كانت في السوق في محل الرجل، فيسكت النبي ويمشي الرجل، فينزل القرآن على حبيبنا صلى الله عليه وسلم قبل أن يخرج من المسجد بقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُفَاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: 114] وقد سأل الصحابي: يا رسول الله، هذا لي؟ قال: لا، لأمتي كلهم جميعاً. صلى الله عليك وسلم.

أترضاه لأملك؟

يا من تعطف علينا وعلى عصاة أمتك، فتصف لهم الدواء لما اقترفوا من ذنوب؛ ذلك الدواء هو الصلاة، فليرجع المذنب إلى الله ويقف بين يديه ليفرح به ويغفر له ذنوبه ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: 45] فيما لجمال قلب النبي! الذي كان من كراهيته المعاصي لا يبغض العاصي، وتخيل سماحته عندما يستأذنه شاب في الزنا فيستدينه صلى الله عليه وسلم

ويقول: ((أترضاه لأمك؟)) قال: لا، فذاك أبي وأمي. قال: أترضاه لأختك؟ قال: لا.. لا إلى آخر الحديث، لخالتك لعمتك، وفي كلّ يقول: لا.. وراح الشاب يتخيل كل محارمه من النساء اللاتي يحميهن بنخوة وغيره العرب، ويقول لا، فيخبره الرسول صلى الله عليه وسلم أن كل الناس كذلك، ويرفع يده الشريفة ويضعها على قلبه، فتصل طاقة الحب التي لا يمكن الإحاطة بوصفها إلى قلبه: ((اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصّن فرجه)).(1)

لقد خلق الله الناس وهو يعلم أنهم أحياناً ما يضعفون. إن كلاً منا يحب بطريقته من الزاوية التي يريد أن يلجأ فيها إلى الله، والمهم أن يكون قلبه قادراً على النبض بالمشاعر، فينتابه الفلق ويشتاق وينتظر اليوم الذي سيقابل فيه نبيه أو يلقي ربه دون أن يكون خجلان، ولا يبيس حتى لو أخطأ أو ذهب إلى أماكن لا تليق وذلك أمر شبيهه ((بتسليك)) الشرايين الموصلة للقلب؛ حيث تعود الحياة مرة أخرى، وفي هذه الحالة يأتي دور علمائنا في أن يُنظِّروا كيف يمكن أن يتواصل هذا في المجتمع بدءاً من الأسرة الصغيرة، كيف يرجع الدفاء إليها ويعود للبيت ثانياً، ولكن كما يسترنا الله، فأليق بنا أن نكتسب جزءاً من هذه الصفة، فنميل إلى الستر، ولننظر إلى أي مدي كان قلب النبي عظيماً ممتلئاً محبةً وشفقةً على البشر. وسوف أفضي إليكم بأمر وقعت لي في حياتي؛ ليبدو التفاوت في مراحل إدراكي للصواب والخطأ، في بداية القرب من الله تعالى، منذ عشر سنوات، أثناء جلوسي مع أصحابي البنين والبنات في مرحلة الثانوية أو الجامعة بدأ الخير بداخل قلبي، فكنت أريد أن أذهب إلى الصلاة، فأرى أنني جامد جداً في الدين إن أنا تركت الأولاد والبنات في النادي، ورحت فصليت، ثم رجعت، ووقتها كان إدراكي أن جلوسي مع البنات ليس خطأً، وهذا كان يصدني عن ذكر الله، ولو وقفت من ورائي، ورأيت الدنيا بعيني لوجدتني أرى نفسي جامداً في الدين وملترماً، ووقتها كان إدراكي يتشكل، وكنت أصوم يومي الاثنين والخميس، فإذا واعدوني للمقابلة وقت الأذان أخبرتهم أنني سأوافيكم بعد الإفطار، فيتعجبون، أي إفطار، أليس الصيام في رمضان؟! ولم يكونوا يعلمون الصيام أصلاً في غير رمضان، ولا كانت لديّ هذه المعلومة، إلا أن أهلي هكذا ربوني، ورأيتهم يفعلون ذلك، ثم بدأت تتكون لي صداقات مع أصحاب أقرب إلى الله، وبدأت أكتسب المعلومات الدينية من المسجد وأكتسب العلم ممن سبقني من الأصدقاء، إلى أن بدأت أحاول أن أقلل الخطأ من حياتي، ولو أنك جئت إليّ من قبل وأنا أجالس بنتاً، فقلت لي: ما هذا التناقض الذي تسلكه في حياتك، أخرج من المسجد، فتعقد مع البنات؟ لقلت لك: إنك لا تفهم في الدين. وما المشكلة في أن أجالس البنات؛ مما يعني أنني لم أكن أرى ولا أعلم. وأذكر عندما بدأت عملي في الإعلام، بدأت أجرى تجارب على ظهوري بالتلفزيون والكلام - وهذا أمر أذكره لأول مرة - فأحضرت لي قناة اقرأ، وهو شيء طيب جداً، من يدرّبونني كيف أتكلم معهم، وكان من هؤلاء الناس بعض الشباب والبنات اللاتي منهن المحجبات وغير المحجبات، حتى أبدأ التمرن معهم أمام الكاميرا، وحتى يقيم الناس طريقي، وكل من يظهر في الإعلام لا بد أن يتمرن؛ لأن الإعلام جهاز مُختلف عن أي شيء آخر.. المهم أنني جلست أتحدث معهم، وكان بينهم بنات لسن محجبات، يصفن شعورهن (كيرلي) ونحو ذلك، فلم يكن يعرفن أن الحجاب فرض، وكانت الواحدة منهن تقول: ((هو أنا من محجبة؟ هو الله أصلاً قال اتحجبا؟ لازم يعني؟ مش ده بتاع الستات الكبار اللي هم ماما إللي عندها خمسين ستين سنة، وأنا صغيرة كده؟)) إنها في العشرين ولا تعلم أن الحجاب فرض، فلو نظرت إليها وتساءلت كيف لا تتحجب؟ فهي أصلاً لا تدري ما الحجاب، كما لو أنني لم أسمع الأذان، فجاء أحد الناس فقال لي إنك فاجر وفساق؛ لأنك

لم تصلح، فقلت له: يا أخي فأنبئني هل أذن الأذان أو لا؟ لِمَ تحكّم عليّ بأنني سيئٌ أصلاً وأنا لم أسمع الأذان؟ والأذان هو الذي يخطرنا بموعد الصلاة، فقل لي: هل أذن له أم لا؟ وعلمني؛ فإن العلم نور، وبصّرتني بدلاً من الانشغال بالشتائم والسخرية ممن يعصي، وإننا لنخطئ أيضاً، فلمْ نسبْ أنفسنا؟ إننا مجتمع واحد، وقصص العصاة الذين كانوا يستنجد برسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرة وسعة صدره معهم.. فلنكره المعاصي ولا نكره العاصي، فكلنا طائع وعاصٍ؛ لأن كل ابن آدم خَطَّاءٌ، وكل ابن آدم قابل للطاعة، فلا داعي لأن نفرق المجتمع بين ملتزم صالح، وغير صالح، ليس مَرْدُ التفرقة إليك، فالله هو الذي يعلم مقاديرنا وهو الذي يعرف الخواتيم.. الله أعلم كيف تكون حالنا غداً، ولا بد أن يسود الحب بيننا جميعاً طائعاً وعاصياً؛ لأن كلنا طائع وعاصٍ.

الخلاصة

- ليس من حق أحد تفرقة المجتمع إلى متدين وغير متدين وملتزم وغير ملتزم
- السخرية تفرق بين القلوب.
- الغيبة والنميمة مت أكبر الكبائر التي يقع فيها الناس.
- كان قلب النبي صلى الله عليه وسلم قلباً عظيماً ومليئاً محبة وشفقة على البشر.

(1) شعب بالإيمان للبهقي رقم (8746).

(1) المعجم الكبير للطبراني رقم (7353).

10- النبي صلى الله عليه وسلم ومعالجة الأخطاء

لازلنا نواصل الحديث عن هذا القدر الكبير من الحب في قلب النبي تجاه كل المسلمين، حتى العصاة منهم؛ وقد يسأل سائل: كيف يكون بداخلي حب تجاه العاصي، أليس يغضب الله - عز وجل - ويأتي المنكرات؟!

ولكن، إخواني، لا ينبغي التعجل في الأمر فقدوتنا المصطفى صلى الله عليه وسلم لم يُبعث لهداية طائفة من البشر بل بُعث رحمة للعالمين والرحمة جزء من الحب، وعليك أخي الحبيب أن ترى الأمور بعين النبي صلى الله عليه وسلم لا بعينك أنت وأن تمرن نفسك على أن يكون بداخلك شفقة حيال العاصي فأنت تخاف عليه من عواقب أفعاله وتشفق عليه من عذاب الله.

فالإنسان ناقص بطبعه ومذنب بطبيعته فإذا لم يجد من يوجهه، بحكمة، فسوف يبيئ من رحمة الله؛ لذلك فإن الله حين اصطفى لنا من يدلنا على طريق الرشاد اصطفى لنا أحلم الخلق وألينهم سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 128] - ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: 159] فلكي نثبت أننا نحب بعضنا، علينا أن يوجه بعضنا البعض لا يقسو الموجه على من أخطأ، كذلك لا يتكبر المخطئ ويتقبل النصيحة ممن يريد له الخير.

ولو تُرك المخطئ لخطئه لهلك الناس كلهم الصالح منهم والطالح؛ لذا يجب على كل منا أن ينصح الأقربين منه: إخوانه وأبناءه وزوجته وزملاءه في العمل.. مع التحلي بالحكمة في الدعوة كما كان نبينا صلى الله عليه وسلم ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: 125] لأن الغلظة في الدعوة تورث العناد والصدام والكبر لدى المخطئ فإذا عتقه أحد لم يتقبل كلامه مطلقاً. والعكس إذا تحلى معه بالصبر والحكمة.

حلم النبي صلى الله عليه وسلم مع بلال

وتحضرني هنا واقعة - بهذا الصدد - توضح لنا مدى حلم النبي صلى الله عليه وسلم في معالجة الأخطاء ومدى ترفقه بأصحابه أوردتها الإمامان مسلم، وأحمد، وسأجمع بين الروايتين: كان النبي وصحابته عاندين من غزوة خيبر - أو من صلح الحديبية حسب الرواية الأخرى - وعددهم 1400 مسلم من المهاجرين والأنصار، ونظراً لطول المسافة من مكة إلى المدينة (حوالي 450 كيلو متراً) فقد أخذهم التعب ذات ليلة أثناء سيرهم فأرادوا أن يستريحوا وناموا فنأدى النبي في صحابته من يقوم بحراستنا إلى صلاة الفجر، فتطوع بلال مؤذن الرسول لذلك الأمر وقبيل صلاة الفجر ألم به التعب فأسند ظهره إلى بغيره لكن غلبه النوم، يقول بلال: فما أيقظنا إلا الشمس تضرب أجسادنا ففرع النبي صلى الله عليه وسلم وفرع معه الصحابة (تخيل أنت أن رئيس الدولة كلفك بمهمة وأنت في الحرب ثم تنام عنها وتستيقظ لتجد أنك لم تقم بها فماذا يصنع بك؟!)

توجه النبي صلى الله عليه وسلم إلى بلال قائلاً: ماذا صنعت بنا يا بلال؟! فرد عليه قائلاً: فداك أبي وأمي يا رسول الله، أخذني الذي أخذك (يقصد سلطان النوم) ثم قال النبي المرابي المعلم الرحيم: ((لو أراد الله ألا تناموا لن تناموا ولكن جعلكم لمن بعدكم، فمن نام عن

صلاة أو نسيها فليصلها متى ذكرها)).(1)

فسيدينا بلال كان بمثابة المنبه للصحابة، والرسول والصحابة قد أخذوا بالأسباب، أسباب الطاعة ولكن غلبتهم وعناء السفر وطول الطريق، فأنت ما دمت تأخذ بالأسباب وتضبط المنبه كل يوم على موعد أذان الفجر، وحدث ذات يوم أن غلبك النوم والتعب فلتقم وتصل متى استيقظت، وإذا حدث الموقف نفسه مع أحد يخصك فلا تعنفه وتزجره ما دمت تعلم حرصه على الصلاة ولكن عامله بلطف وبحكمة كما علمنا النبي صلى الله عليه وسلم وقوله: ((ولكن جعلكم لمن بعدكم)) إلا لذلك فنحن نقيس على ما حدث على عهد النبي. لكن ليس معنى ذلك أن ينام الإنسان قبل الفجر بنصف ساعة ويتوقع أن يصحو ليصلي، ولكن المرء ينام في الوقت المناسب ويضبط المنبه ويتوكل على الله، فإن حدث ذلك مرة واستيقظ بعد شروق الشمس فلا يظن أن الله غضبان عليه ولكن يقول: قدر الله وما شاء فعل. ويصلي الوقت متى استيقظ ويدعو الله ألا يحرمه من صلاة الفجر في جماعة.

موقف النبي صلى الله عليه وسلم مع فضالة:

موقف آخر يدل على حب النبي للخير وتوسمه الصلاح في العاصين وسماحته معهم حتى يرجعوا إلى الله فيها هو صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وبعد أن سيق إليه الآلاف من المشركين يقول لهم: ((ما تظنون أنني فاعل بكم؟)) فيقولون: أخ كريم وابن أخ كريم، فيقول لهم: ((أذهبوا فأنتم الطلقاء)).

ويأتي أحد المشركين واسمه ((فضالة)) مخبئاً خنجراً في جيبه، ويتبع النبي وهو يطوف حول الكعبة وحين هم برفع الخنجر نظر إليه النبي صلى الله عليه وسلم ووضع يده الشريفة على صدر فضالة وقال له: استغفر الله يا فضالة. يقول الرجل فما رفع النبي يده حتى صار أحب الناس إليّ. أرايتم طاقة الحب التي كانت في يد النبي صلى الله عليه وسلم جعلت الرجل الذي كان ينوي قتله من أشد المحبين له في ثوان معدودة.

ولأن الأمر أثار فضولي، أجريت اتصالاً وقتها بالدكتور إبراهيم الفقي لأعرف منه لماذا وضع النبي يده على الصدر، لماذا الصدر بالذات؟...

الطاقة تنتقل
فليجعلها
خييراً قدر ما
أمكن

فأخبرني أن بالصدر منطقة تحتوي على الأحاسيس والمشاعر، فإذا كان الإنسان جالساً بجوار أحد وبدخله طاقة، إيجابية كانت أو سلبية، فإنها تنتقل من غير اللمس، فما بالك باللمس، لمس الصدر تحديداً لا سيما إذا كان اللامس الحبيب المصطفى صاحب أكبر طاقة حب أيدها الله بقوله ﴿لَأَمَّ نَشْرَحُ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح:1] فهو صاحب صدر منشرح يتسع لكل الناس حتى العصاة منهم. لقد أثرت ابتسامة النبي ونور وجهه وحلاوة قلبه وطهر يده، على قلب فضالة فتحول من الكراهية إلى قمة الحب في ثوان، لدرجة أنه ترك محبوبته المشركة لأجل الله حين علم أن دين الله أصبح ظاهراً ورأى الأصنام تدهس بأقدام الموحدين.

فلنتعلم من النبي كيف يكسب الواحد منا قلوب الناس ويحتوي العصاة منهم ويأخذ بأيديهم دون قسوة أو غلظة، إنه حتى في التعاملات التجارية نرى من يخسر وتكسد بضاعته بسبب غلظته وجفائه مع الناس؛ ولذلك حين تختار الدول والحكومات دبلوماسيين وسفراء لها للدول الأخرى تهتم بهذه الناحية فتختار أعذبهم حديثاً وأرقهم لساناً لأنه سيكون صورة وعنواناً لبلده في المحافل الدبلوماسية.

حلمه صلى الله عليه وسلم مع صاحب الجزور:

ما كان الرفق
في شيء
إلا زانه وما نُزِعَ
من شيء إلا
شانه

ذات مرة أقبل النبي صلى الله عليه وسلم على أحد الأعراب (وهم، معروفون بخشونتهم في القول) يريد أن يشتري منه جزوراً فاتفق معه على أن يأخذ الجزور مقابل وسق من تمر، فلما رجع النبي ومعه الرجل إلى بيته لم يجد التمر فيخرج النبي صلى الله عليه وسلم للرجل ويقول له: خذ الجزور فإنني لم أجد التمر، فيقول الرجل: واغدراه.. فيرد عليه الناس: قاتلك الله أيغدر رسول الله؟! ذهب النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيت آخر فلم يجد تمراً فاعتذر لصاحب الجزور ثانية، لكنه أخذ يعنفه ويقول: واغدراه فلما حاول الصحابة دفعه عن ذلك قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم دعوه إن لصاحب الحق مقالاً. ثم أرسل النبي إلى أصحابه حتى جاءوه بالتمر من بيوتهم ووفوا الرجل حقه. والتفت النبي للرجل وهو يغادر حاملاً التمر ويسأله: هل رضيت فيقول الرجل: جزاك الله خيراً لقد وفيتنا وطيبتنا. أرايتم حلم النبي وتأديه مع الرجل رغم غلظته، فالنبي يهدف إلى بعيد ويريد أن يعلم الصحابة معنى الروية والتحمل وهو القائل: ((ما كان الرفق في شيء إلا زانه وما نُزِعَ من شيء إلا شانه)).

إن الشدة في معالجة الأخطاء أمر شائن غير مطلوب يؤدي إلى الصدام ولا يأتي بنتيجة مرجوة. فذاك رجل آخر من الأعراب يتبول في المسجد فتدافعه الناس فناداهم النبي خلوا بيني وبينه فلما جاءه الرجل قال له: يا أعرابي ما حملك على أن تبولت في مسجدنا؟ فاتضح أن الرجل لا يعرف الحكم الشرعي هنا ولم يعرف أن المساجد ليست كالشوارع تلقى فيها النجاسات. فالرجل معذور بجهله.

لقد حكى لى من شباب كانوا في الساحل الشمالي شاهدوا شاباً دخل المسجد بـ((فانلة)) فإذا بإمام المسجد يطرده مدعياً أنه لا يجوز الصلاة على هذه الحال، وهذا غير صحيح لأن النبي علمنا الحكمة في الدعوة إلى الله فكان ينبغي أن نقول له إن الصلاة صحيحة ولكن تأديباً مع الله ينبغي أن يدخل الإنسان المسجد بكامل زينته ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف:31] احتراماً وتوقيراً - لله عز وجل - حتى ولو كان يصلي بالمنزل فليتخذ كامل زينته. فالشاب ربما كان جاهلاً بهذا الأمر والمفترض فيه أن نحسن به الظن حتى نخبره الحكم الشرعي بلطف، لا أن نصدمه بجهالة لن تثمر شيئاً معه.

يقول نبينا صلى الله عليه وسلم وصحبه: ((لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا إلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم))، وحينما يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:21] أي في حياته وفي أخلاقه وفي سيرته وفي سلوكه ومن هنا وضع حبيبنا صلى الله عليه وسلم الدواء فلم يقل حتى تصلوا ولم يقل حتى تصوموا ولكن قال حتى تحابوا: الحب هو بداية الصلاة.. الحب هو بداية الصيام.. الحب هو بداية الحج.. الحب في كل طاعة هو غايتها وروحها.. والحب للإنسان مع أخيه الإنسان هو قمة ما يريد الله منا ومن هنا فإن علم الأحكام ليس هناك أسهل منه في كل مدارسنا ومعاهدنا و مؤسساتنا، ومساجدنا نتعلم الأحكام الفقهية ولكن من أين تتبع عين الحب وتضيء شمسهُ وتشرق علينا فيعود عالمنا الإسلامي يحس الأخ فيه بأخيه ويشعر فيه المؤمن بالمؤمن؟ ولا يمكن أن ندخل ساحة المحبة حتى يكون هناك الشرط الثالث أفشوا السلام بينكم. أي سلام تريده يا رسول الله؟ لاحظ أن كلمة أفشوا غير ألقوا، فنحن حينما نرى بعضنا في الطريق ونقول السلام عليكم هي جملة يجب أن نعرف قيمتها، ومعناها ليس كلمة السلام ألقها على أخ ثم إذا غاب عني اشتغلت بظهره تلميحاً وتجريحاً، لا، **أفشوا السلام بينكم أي كونوا في سلام في حضوركم**

وفي غيبكم من بعضكم البعض فإن غاب أخي كان في سلام مني وإن غبت عنه كنت في سلام منه لا أكون أمامه مسلماً وفي

ظهره قاتلاً، ولهذا ضعوا هذا العنوان في حياتكم وفي منهج مسيرتكم فتعيشوا الدنيا بأمان وتصلوا الآخرة بسلام أيها الأحبة. نعم صدقت يا رسول الله أفشوا السلام بينكم ولا تفلح أمة لا يكون الحب بينها هو مشعل طريقها ولن تنتصر أمة إذا كان السلام غائباً بين أبنائها.

تحضرني قصة وهي وإن كانت خارج كتب الصحاح فإن بها معنىً جميلاً: ذات مرة كان برفقة النبي صلى الله عليه وسلم رجل حديث عهد بالإسلام يدعى ((خوات بن جبير)) فلما تركه وجد مجموعة من النساء، يقول: فدخلت خيمتي ولبست عباءة جديدة واقتربت من مجلس النسوة فلما عاد النبي ورأه نادى عليه: ((ماذا تفعل عندك يا خوات؟)) فقال له: شرد لي جمل وأبحث له عن قيد. تركه النبي ودخل وراء الشجر ليقضي حاجته فعاد ووجده فقال له: ((ياخوات ماذا فعل شراد جملك؟)) قال: لازلت أبحث عنه يا رسول الله، ويدخل النبي حجرته يمكث بها ثم يدخل المسجد فيجد ((خوات)) يصلي وحين يشعر خوات بمقدم النبي يطيل في الصلاة. فيقول النبي: ((أطل ما شئت فوالله لن أقوم حتى تنتهي من صلاتك)). فلما انتهى قال له النبي صلى الله عليه وسلم: ((ماذا فعل شراد جملك؟)) فقال: والله يا رسول الله ما شرد لي جمل منذ أسلمت. فابتسم النبي صلى الله عليه وسلم ودعا له وأمره بالاستغفار. يقول خوات: فما التفتُ إلى شيء بعدها. وصدق الله إذ يقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107]

ورد في الصحاح أن رجلاً جامع امرأته في نهار رمضان فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يقول: هلكت يا رسول الله، واقعت امرأتي في نهار رمضان. فقال المصطفي: ((صم ستين يوماً متواصلة)). فقال له: لا أقدر. قال: ((أطعم ستين مسكيناً)). فقال له يا رسول الله أنا فقير جداً. فقام النبي وجاءه بعزق من تمر وقال له: ((أطعم من هذا فقراء المدينة)). فإذا بالرجل يقول: والذي بعثك بالحق لا يوجد بين لابتيها من هو أفقر مني أنا وأهلي. فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجره وقال له: ((خذها وأطعم بها أهلك)).

فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يعنفه رغم أنه أتى كبيرة من الكبائر بل إنه خرج من عند النبي صلى الله عليه وسلم ومعه طعام له ولأهله، فما أرفقه بأمته من نبي وما أحرصه على كسب قلوب المؤمنين واحتواء العصاة منهم وعدم تبييسهم من رحمة الله عز وجل.

الخلاصة

- الغلظة في الدعوة تورث العناد والصدام والكبر.
 - فداك أبي وأمي يا رسول الله!
 - الشدة في معالجة الأخطاء تؤدي إلى الصدام.
 - لا تفلح أمة لا يكون الحب بينها هو مشعل طريقها.
- * * *

(1) مسند أبي يعلى رقم (3086).

11- النبي صلى الله عليه وسلم وحب الهداية

للعالمين

نتناول في هذا الفصل حب النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان نابعاً من قلبه لهداية كل العالمين إلى الدين الحق وإلى الشريعة الحنيفية السمحاء.

ونرى كيف كان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يحمل هذا الحب لأمة الإجابة، وأمة الإجابة هي التي استجابت لدعوة الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم حبيبهم في الهداية واقتربوا أكثر من الله فبسر الله عليهم طريق الهداية وحب الهداية لأمة الدعوة المحمدية لهداية العالمين أجمعين.

والحديث ينقسم إلى قسمين: قسم للعالمين وقسم للمسلمين الذين استجابوا للدعوة.

**اللهم اجعلنا من
الذين
قلت فيهم: هم
القوم
لا يشقى بهم
جليسهم**

وقصة الحب في هذا اليوم تبدأ من وجود رجل صالح بيننا؛ فببركة وجوده يغفر الله لنا وييسر علينا كل أمور حياتنا وآخرتنا (هم القوم لا يشقى بهم جليسهم) بسبب وجود الصالحين بيننا يغفر الله لنا ويوسع علينا وينزل المطر علينا. كل ذلك ببركة وجود الصالحين بيننا.

وإذا كان الموجود بيننا الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم أحب المخلوقات إلى الله فتحل البركة فينا بسبب وجوده بيننا (حياً أو ميتاً) وقد اختار الله لنبيه أمة هي أفضل الأمم (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) [آل عمران: 110] وما ذلك إلا لأننا أتباع خير الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم.

ومن أجل ذلك كانت هناك خصائص اختص بها الله أمة سيد الأولين والآخرين محمد صلى الله عليه وسلم.

من هذه الخصائص مثلاً: حين يفكر المسلم في ارتكاب ذنب أو معصية لا يحاسبه الله على هذا التفكير كما في صحيح البخاري:

((إن الله تجاوز لي عن أمتي ما حدثت به نفسها ما لم تعمل به أو تتكلم)) (1) فما دام المسلم لم يدخل إلى دائرة الفعل ما حدثت به نفسه لا يحاسبه على ذلك.

وخاصية أخرى بسبب حب الله لهذه الأمة وحبه لنبيها محمد صلى الله عليه وسلم وأنه آخر الأنبياء وأمه آخر الأمم فهي أول الأمم في الحساب وأول الأمم في دخول الجنة كما ورد في البخاري ما معناه (أنا المقضي لنا قبل الخلاق). وأنها أول أمة سوف تعبر الصراط كما جاء في صحيح

البخاري (ويضرب الصراط فأكون أنا وأمتي أول من يجوزها) (2) المسلمون من أمة محمد أيديهم في أيدي بعض لا يدخل أولهم الجنة حتى يدخل آخرهم وكل ذلك بسبب حب النبي صلى الله عليه وسلم لهم وحبهم للنبي كذلك. وحبينا محمد صلى الله عليه وسلم يقول: إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة وهذا الرجاء من جانب نبينا لأمته سوف يحققه الله له بسبب منزلته عند الله. ((يا

محمد ارفع رأسك وسلّ تُعْطِ واشفع تُشْفَعُ)) (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) [البقرة:255] أما وقد أذن الله له في الشفاعة فسوف يتحقق له الرجاء تصور يا أخي هناك 124 ألف نبي وكل نبي له أتباعه ومحمد صلى الله عليه وسلم وأتباعه نصف أهل الجنة. ويكفينا فخراً أن الله أعطى أمة محمد ليلة هي خير من ألف شهر (ليلة القدر) وذلك بسبب أن أعمار أمة محمد بين 60 : 70 سنة وأعمار أمة نوح 950 سنة، وقد قال صلى الله عليه وسلم: ((من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الفجر في جماعة فكأنما قام الليل كله)).

فما بالك بالقيام والترأويح في ليلة القدر. فهنيئاً لك أخي المسلم بعبادة هي خير من ألف شهر. وما ذلك إلا بسبب محبة الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأمه من بعده وفي يوم خيبر الذي تجمع فيه عشرة آلاف مقاتل من يهود خيبر تجمعوا في حصون ضخمة وطلع عليهم النبي بـ 1400 محارب وحاصرهم النبي 14 أو 15 يوماً وذلك بسبب حصونهم القوية، فما كان من النبي إلا أن قال: ((سوف نعطي الراية لرجل يحب النبي ويحبه الله ورسوله)) (1). سيدنا علي بن أبي طالب رضى الله عنه يأخذ الراية وينطلق على الحصن فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يا علي قبل أن تبدأ في حربهم ادعهم إلى الإسلام أولاً.. يا حبيبي يا علي.. لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم)) (2). ونحن حينما نحارب أهل الكفر نحارب بحب فيا على كلمهم عن الإسلام وحبهم فيه، فنحن نحارب وقلوبنا كلها حب لهداية المسلم وغير المسلم.

إسلام قبيلة دوس كلها!

فقلب النبي يحتضن كل الناس ويحب كل الناس ويصدر الحب لكل الناس ويأتي رجل من قبيلة دوس يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن دوساً عصت وقلوبها قاسية فادع الله عليهم، فما كان من النبي الممتلى قلبه حباً لكل الناس والذي يتجه قلبه لهداية العالمين ليدخل كل الناس معه الجنة إلا أن يقول:

((اللهم اهد دوساً)) ويستجيب الله لدعوة النبي. ويأتي بعد فترة قليلة سيدنا الطفيل ابن عمرو الدوسى ومعه ثمانون أسرة يعلنون إسلامهم، وفيهم عبد الرحمن بن صخر الدوسى؛ سيدنا (أبو هريرة) رضى الله عنه الذي روى أكثر من خمسة آلاف حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأنت أيضاً لو لم تكن محبوباً بين الناس وقلوبهم عامرة بالحب الذي بينك وبينهم لما استجابوا لك في دعوتك.

حديث الضب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم!

وإليك حادثة ((الضب)) وما كان بين صاحب ((الضب)) ونبي هذه الأمة: هناك رجل اصطاد ((ضباً)) ووضع في جيبه وسار حتى وجد قومًا يلتفون في حلقة وفي زحام، فقام هذا الرجل واخترق الصفوف ليصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ونظر إلى النبي والضب في جيبه وقال: والله ما اشتملت النساء على أبغض منك إليّ، ولولا أن قومي يسمونني عجولاً لقتلتك فسرت بك الأبيض والأحمر والأصفر يعني الأجنبي والعربي والإفريقي. فإذا بسيدنا عمر بن الخطاب يقول للنبي: دعني أضرب عنقه. فقال النبي: يا عمر أما علمت أن الحكيم كاد يكون نبياً؟ تعال يا هذا.. ما حملك على أن كلمتني هكذا ولم تكرمني في مجلسي)). فيقول الرجل: والله لا أسلم حتى يسلم

هذا الضب، وأخرجه من جيبه ووضع أمام النبي وبين يديه فإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم ينظر إلى الضب ويقول: ((يا ضب)) فيقول الضب: لبيك وسعديك يا زينة الناس يوم القيامة. قال له النبي: ((يا ضب من تعبد(1)؟)) قال الضب: من في السماء عرشه - والرجل ينظر للضب وهو يتكلم - قال الرجل: أشهد أنك رسول الله صلى الله عليه وسلم. نستخلص من تلك القصة أن الحب الذي يملأ قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل الناس كافة جعله لا يغضب من تصرف هذا الرجل، وفي النهاية يسلم هذا الرجل ويعلن إسلامه بمعجزة هذا الضب.

في غزوة حنين يغتم النبي في هذه الغزوة الآلاف من الإبل والغنم - والنبي صلى الله عليه وسلم كان يعيش على الكفاف ولا ينتظر من عرض الدنيا شيئاً. يأتي رجل وينظر إلى هذا القطيع من الغنم والآلاف المؤلفة من الغنم والإبل بعجب فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: ((أتعجبك؟)) قال: نعم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ((هي لك))، بكل هذه البساطة وهذه الأريحية والزهد في متاع الدنيا وزينتها يجيبه الرسول صلى الله عليه وسلم. عطاء من لا يخشى الفقر أبداً عطاء من يحب كل الناس مسلماً أو غير مسلم.

أحداث غزوة حنين:

عدد المسلمين المحاربين في هذه الغزوة 12 ألفاً مقابل 30 ألفاً من قبيلة هوازن، حدث كمين للمسلمين وانكسار بسبب إعجابهم بكثرتهم، ولم يجد النبي صلى الله عليه وسلم حوله سوى عدد قليل من المسلمين وعن يمينه العباس وعن شماله أبو سفيان وفي الخلف لا يوجد أحد لحمايته. جاء شخص اسمه شيبه بن عثمان يريد أن يطعن النبي صلى الله عليه وسلم من الخلف. يقول شيبه بن عثمان: ((فرأيت شواظاً من نار (لهب نار) بيني وبين النبي صلى الله عليه وسلم وسط الحرب والعزم والهمة. شخص يحاول طعن النبي من ظهره والنار تحول بينه وبين ما يريد ويضع شيبه يديه على عينيه. ويقول له الرسول صلى الله عليه وسلم: ((تعال يا شيبه.. استغفر الله يا شيبه))، دنا الرسول من شيبه وأعطاه سيفاً وقال له: ((اذهب فقاتل الكفار..)) وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول له: أنت أحببتني بنظرة من عيني ودعائي لك.. اذهب فقاتل الكفار واحمني.. يا شيبه لقد حماني الله منك وأنا سوف أحملك من نفسك ويدعو له النبي صلى الله عليه وسلم. ويكمل شيبه كأقوى ما يكون دفاعاً عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

طاقة الحب هذه هي التي تبني وغيروا يهدم، والطاقة أقوى، ويدخل الناس في دين الله أفواجا في بلاد ليس دينها الإسلام، وما زال الناس حتى يومنا هذا يهتدون بنور هذا الحب.

والنبي صلى الله عليه وسلم كان حريصاً على إيصال الحب إلى أصحابه وأتباعه، وأن نكون قريبين جداً من الله سبحانه وتعالى. وكان حريصاً على أن يكلم كل منا أصحابه وجماعته، امتثالاً لما جاء في كتاب ابن القيم ((إعلام الموقعين عن رب العالمين)) ومعناه أنك تتكلم وتوقع نيابة عن رب العالمين، أنت تقول قال الله وقال الرسول، فاختر كلاماً أحلى وأجمل بالحكمة والموعظة الحسنة. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول لسيدنا عمرو بن العاص وكان حديث عهد بالإسلام، يقول له ما رأيك أن تكون قائداً على جيش فيه أبو بكر وعمر وأناس مسلمون منذ زمن طويل.

يا عمرو أريد أن أجعلك قائداً فتغنم وتسلم. فقال: يا رسول الله ما على هذا اتبعتك، ما أردت إلا أن أكون معك. فبأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم في حضنه ويحضن قلب سيدنا عمرو بن

العاص.

إخوتى.. هناك أربعة أعمال يقوم بها المسلمون يوم الحج الأكبر: نرمي الجمرات و نذبح ونحلق شعرنا ونطوف طواف الإفاضة، هذه الأعمال الأربعة يفترض معها ترتيب معين. ولكننا نجد بعض الصحابة يقول يا رسول الله إني ذبحت قبل أن أرمي الجمرات فيقول الرسول: ((افعل ولا حرج)) وآخر يقول: وأنا حلقت قبل أن أذبح فيقول الرسول: ((افعل ولا حرج)). وفي الحديث ما كان رسول الله يسأل عن شيء في أعمال الحج فُدم أو أُجر إلا قال: افعل ولا حرج صدره واسع وقلبه واسع والدين يسر لا عسر فيه، أورتكم الحب في التيسير.

يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر

في حجة الوداع وقف النبي صلى الله عليه وسلم وقال لهم: من أجل أن تظلوا قريبين من الله يحب بعضكم بعضًا. اسمعوا نص خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع: ((أيها الناس إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا)) (1) لا يؤذي بعضكم بعضًا في الأبدان ولا بالكلام في أعراضكم ولا يأخذ بعضكم حقوق بعض.

((ألا إن الشيطان قد يئس أن يُعبد في أرضكم هذه)) الشيطان يئس أن يعبد المسلمون، ولكنه رضي بالتحريش بينهم ووقية بعضهم مع بعض ويشنع بعضهم على بعض، ولئن فعلوا ذلك يكون الشيطان قد نجح في أن يوقع بينكم وأن يعبد المسلمون.

أيها المسلمون.. عيشوا بالحب تكونوا قريبين من بعض وبالحب تدخلون الجنة.

وفي آخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم صعد على المنبر وقال: ((أيها الناس من كنت جلدت له ظهرًا فهذا ظهري فليستقد منه، و من كنت شتمت له عرضًا فهذا عرضي فليستقد منه، ومن كنت أخذت له مالًا فهذا مالي فليستقد منه ولا يخشى الشحناء)) والرسول صلى الله عليه وسلم ما ضرب أحدًا ولا شتم أحدًا ولا أخذ مال أحد، فلماذا هذه العظة؟

الرسول صلى الله عليه وسلم يعلمنا ويعلم الناس جميعًا أنه إذا كان لأحد في رقبته مظلمة، فليتحلل منها قبل أن يأتي يوم لا يقبل فيه دينار ولا درهم، ويوصينا بأن نعيش بالحب فيما بيننا.

تقول السيدة عائشة: فإذا به يقول الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم. فبدأ صدره يتحرك يغرغر بها في صدره ولا يفيض بها لسانه ((الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم)) وصانا بعلاقتنا بربنا وبحبنا لربنا وبحب بعضنا بعضًا وأن يشيع الحب بيننا ويحسن العلاقة بما ملكت أيماننا (بزوجاتنا ونسائنا) وفي آخر حياته طلب السواك ليستاك به لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة (1).

وأنا أطلب منكم قبل أن تذهبوا إلى الصلاة أن تنظفوا أسنانكم وتستاكوا لأنكم في لقاء حبيب (خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ) [الأعراف: 31] ومن الزينة السواك عند كل صلاة.

الخلاصة

- بسبب وجود الصالحين بيننا يغفر الله لنا ويوسع علينا.
- قلب النبي صلى الله عليه وسلم يحتضن كل الناس ويحب كل الناس ويصدر الحب لكل الناس.
- طاقة الحب هي التي تبني وغيرها يهدم.

• يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر.

* * *

- .(1) رواه البخاري رقم (2528)
- .(2) رواه البخاري رقم (7437)
- .(1) رواه البخاري رقم (4210)
- .(2) رواه البخاري رقم (3009)
- .(1) المعجم الأوسط للطبراني رقم (6104)
- .(1) رواه البخاري رقم(67)
- .(1) رواه البخاري رقم (7240)

12 حب الملائكة للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين

قبل أن نتحدث عن قصة الحب الجميلة بين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والملائكة، نقول إن هناك علاقة حب خفية أن الأوان لها أن تظهر في حياتنا؛ قصة حب نعيشها تجاه تلك المخلوقات، ولا نندهش حين نعلم أن المخلوق الأول في عالم الغيب الذي فرض الله علينا الإيمان به بعده عز وجل هو الملائكة.

فحين جاء سيدنا جبريل متجسدًا في هيئة رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله: ما الإيمان؟ وما الإسلام؟ وما الإحسان؟ هذه الأسئلة العظيمة، فإذا كانت أركان الإسلام – من صلاة وصوم وحج وزكاة – نؤديها بأجسامنا، فإن هناك أعمالًا نؤديها بقلوبنا تجاه الله عز وجل وهي أركان الإيمان.

كان جواب النبي صلى الله عليه وسلم ((أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره..)) (1) فكان الإيمان بالملائكة بعد الإيمان بالله عز وجل مباشرة. لماذا؟ لأسباب كثيرة؛ منها أن الله اختصهم بالكلام معه دون غيرهم من المخلوقات، فإله عز وجل تحدث إليهم – وهو الغني عنهم – فقال لهم: **(إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً)** [البقرة: 30]. ولأنهم أقرب المخلوقات إلى الله فقد اختارهم لنصرة النبي ودعوته لا سيما أن هناك شبهة كبيرة بين صفاتهم وصفات الأنبياء، فضلًا عن حبهم للأنبياء خاصة خاتمهم سيدنا محمدًا صلى الله عليه وسلم؛ لأنه إذا كان الإنسان فيه روحانية وحيوانية فإن الأنبياء غلبت روحانيتهم على أجسادهم فكانوا أقرب إلى الملائكة من سائر البشر، وقياسًا على ذلك كلما كان الإنسان روحانيًا أكثر ومنضبطًا في شهواته كان قريبًا من الله، قريبًا من الملائكة، وكلما كان منفلتًا وحيوانيًا كان بعيدًا عن الله، بعيدًا عن الملائكة.

ولأن روحانيات المصطفى صلى الله عليه وسلم كانت عالية حتى وصف بأنه ((نور)) كان قريبًا بنورانيته من الملائكة التي خلقت من نور.

هناك شيء آخر مشترك بين النبي صلى الله عليه وسلم والملائكة: فهم **(لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)** [التحریم: 6]: وجميع الأنبياء وجبت لهم ((العصمة)) من الذنوب، كما أن العمل للدين والعبادة والتسبيح بلا فتور – قاسم مشترك ثالث بين الملائكة والأنبياء وقد جمع الله عز وجل بينهما في قوله تعالى: **(اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ)** [الحج: 75] ومحمد صلى الله عليه وسلم سيد الناس جميعًا وهناك شيء مشترك رابع بين الملائكة وسيدنا محمد ألا وهو حب الخير للمؤمنين؛ فالملائكة يستغفرون للذين آمنوا وكذلك النبي، كما أخبر بذلك رب العزة قائلًا: **(فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ)** [محمد: 19]، شيء خامس مشترك بين النبي والملائكة أنهم جنود الله لإقامة أمره عز وجل في الكون.. كل هذا التقارب ورث علاقة حب كبيرة بين النبي والملائكة، وأثمر تعلقًا كبيرًا من جانبهم بالمصطفى صلى الله عليه وسلم. وأهل التربية وعلماء النفس علمونا أن التخلق هو سر التعلق؛ بمعنى أنك إذا أردت أن يحدث تعلق بينك وبين أي أحد فتخلق بأخلاقه واقترب من صفاته. فإن أردت أن تحب الله ويحبك الله تصرف

في الكون بصفات الله: كن كريماً رحيماً، حليماً، ودوداً.. فحين يكون بداخلك تلك الصفات سوف تتعلق بالله جداً وتقيم أمره في الكون، يحبك وتحبه ويحصل ((تعلق)) بينك وبين رب العالمين سبحانه وتعالى.

التخلق هو سر التعلق

إن الله منجزك ما وعدك:

فالتقارب بين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والملائكة أورش تعلقاً شديداً بينهما، ففي اللحظات التي احتاج النبي فيها للنصرة ولجأ لرب العالمين وبالذات في أول حرب كانت بينه وبين الكفار ((غزوة بدر)) أو يوم الفرقان؛ حيث أول مواجهة بين الجمعين، يبكي النبي صلى الله عليه وسلم حتى يسقط رداؤه الشريف ويشفق عليه الصديق أبو بكر ويربت على كتفه ويقول: يا رسول الله، بعض مناشدتك ربك إن الله منجزك ما وعدك.. فما هي إلا لحظات ويلتفت إليه النبي ويقول له: أبشر يا أبا بكر، هذا جبريل أخذ بعنان فرسه يربط على رأسه عصابة خضراء.

لقد هبط جبريل متحمساً لنصرة حبيبه وأموراً من الله (إِذِ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْبِئِي مَعَكُمْ فَبَيَّنُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ [الأنفال: 12].

لقد نزل هذه المرة لا ليبلغ النبي شيئاً من كلام الله، بل للنصرة والعون ومعه مئات الملائكة، والأهم من ذلك وقبل كل ذلك (أَنْبِئِي مَعَكُمْ).

فيا جمال حب الله للنبي عن طريق الملائكة، ويا جمال سيدنا جبريل وهو نازل لحبيبه وحبيب الله محمد صلى الله عليه وسلم. وحين توشك الحرب أن تضع أوزارها يصلي النبي ويبتسم فيقول الصحابة: علام تبسمك يا رسول الله؟ فيقول: ((مرّ عليّ أخي ميكائيل وأنا أصلي على ثناياه النقع – أو على أجنحته الغبار، أي يمر ميكائيل وجناحه مترب من أثر غبار الحرب، فيبتسم لسيدنا محمد فيبادلله صلى الله عليه وسلم الابتسامة، وبعدها يمر جبريل ويسأله: يا محمد، إن الله أرسلني وقال لي لا ترجع حتى تسأل محمداً: هل رضيت؟ فيقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((رضيت)) (1). فيصعد جبريل عليه السلام بعدما اطمأن لرضا النبي صلى الله عليه وسلم.

في هذا السياق، يروي رجل من قبيلة غفار – ربما لم يكن قد أسلم – فيقول إنه يوم بدر كنت أنا وأحد أصحابي جالسين فوق الجبل فإذا بسحابة تقترب منا، فدققنا النظر إليها، فإذا بنا نسمع سهيل الخيل وصوتاً يقول:

أقدم حيزوم. أما صاحبي ((فانكشف قناع قلبه)) أي مات من الرهبة. وقد جاء في صحيح مسلم أن أحد الصحابة كان يلاحق أحد المشركين فسمع صوتاً يقول: أقدم حيزوم، وفجأة وقع المشرك أمامه وكأنه ضرب لتوه بالسوط في وجهه. فقال النبي صلى الله عليه وسلم للصحابي: ((هذا ملك من مدد السماء الثالثة)).

ولا ننسى أيضاً يوم الطائف وما حدث فيه للنبي صلى الله عليه وسلم من رميه بالحجارة حتى أدميت قدماه الشريفتان، فينزل عليه جبريل ومعه ملك الجبال ويقول له: إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين. لكنه لم يكن صلى الله عليه وسلم منتقماً بل بُعث رحمة للعالمين. فهذا ملك الجبال جاء

ليستأذنه، لم يعلم ما في قلبه من الرحمة فيرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً: ((لا، عسى الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله)).

وهناك حادثة أخرى تدل على شدة حب الملائكة للنبي؛ فقد جاء في صحيح مسلم أن حذيفة - رضي الله عنه- قال: كنت جالساً مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي: ((استبشر))، فقلت: مستبشر يا رسول الله. فقال: ((لقد استأذن الله الآن ملكاً لم ينزل إلى الأرض من قبل ليبشرنى أن الحسن والحسين سيذا شباب أهل الجنة، وأن فاطمة سيدة نساء العالمين)).

الملك حينما سمع في السماء فضل الحسن والحسين وفضل فاطمة استأذن ربه عز وجل ليكون أول من يبلغ النبي صلى الله عليه وسلم بهذه البشارة، وما ذلك إلا لشدة حبه للنبي ولآل بيته (رضوان الله عليهم).

ولأن الملائكة يحبون أن يدخلوا السرور على قلب النبي حتى بعد وفاته فإنهم يبلغونه بصلوات المؤمنين عليه فتأتيه في قبره الشريف وتقول له: فلان أو فلانة يصلى عليك.

واقعة أخرى في هذا السياق، ذات يوم كان النبي نائماً ونزلت عليه الملائكة فقال بعضهم: إنه نائم. وقال آخر: لا، العين نائمة والقلب يقظان.. فالنبي صلى الله عليه وسلم ينام بعينيه فقط لكن قلبه لا يزال ينبض بذكر الله، فقال أحدهم: اضربوا له مثلاً. فقال ملك: إن مثله كمثل رجل بنى داراً وجعل فيها مأدبة، ثم أرسل داعياً، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة.. فالداعي هو محمد صلى الله عليه وسلم والدار هي الجنة، فمن أطاع النبي دخل الجنة، ومن لم يجبه دخل النار.

ومن أول يوم يدخل فيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المدينة (يثرب) يقف على أبوابها الملائكة يحمونها من الطاعون، كما سيقفون عندها لحمايتها من المسيح الدجال الذي لن يستطيع دخولها حين تنبدي له، فسيقول وهو يرى المسجد النبوي: هذا قصر محمد الأبيض لن أستطيع دخوله.

وعلياً نحن أتباع النبي صلى الله عليه وسلم أن نحبه مثل الملائكة، كما علينا أن يحب بعضنا بعضاً وأن يلين الأخ مع أخيه فلا يغضب أو ينفعل من أقل موقف. أرأيتم كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم متسامحاً حتى مع اليهودي الذي كان يتبول على باب بيته كل يوم، ومر يوم ويومان وثلاثة، ولم يجد النبي صلى الله عليه وسلم أذى اليهودي على باب بيته فسأل عنه فعلم أنه مريض.

إن الملائكة موجودون معنا وحولنا يكتبون حسناتنا وسيئاتنا وآخرون يحفظوننا ويدخلون معنا المساجد ويحضرون معنا مجالس العلم.

ومن فضل الملائكة على المؤمنين في الصلاة أنه إذا وافق تأمين المؤمنين والإمام تأمين الملائكة عُفِر للمصلين - كما أخبر بذلك الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، كما أننا نتعلم من الملائكة الحب والحياء، فذات يوم أراد جبريل أن يدخل على النبي صلى الله عليه وسلم وزوجته عائشة تجلس معه بملابس البيت فاستحيا عليه السلام أن يدخل على زوجة النبي صلى الله عليه وسلم وهي كذلك.

كما أن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم، فعلياً أن نحرص على ألا نؤذيهم برائحة كريهة كما حدثنا على ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وأن نستحي منهم كما يستحون منا.

إن التحلي بفضيلة الحياء جعل النبي يستحي من سيدنا عثمان حين همَّ بالدخول عليه، فاعتدال في جلسته وستر رجليه قائلاً: ((ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة))⁽¹⁾ كما كان صلى الله

عليه وسلم أشد حياءً من العذراء في خدرها. فهلمّ بنا نستعيد الحياء إلى تفاصيل حياتنا اليومية فنكون مثل الملائكة لأنه كما قلنا: التخلُّق سر التعلُّق.

الخلاصة

- كانت روحانيات المصطفى صلى الله عليه وسلم عالية حتى وصف بأنه ((نور)) كان قريباً من الملائكة.
- جميع الأنبياء وجبت لهم العصمة من الذنوب.
- التخلُّق هو سر التعلُّق.
- إن الله منجزك ما وعدك.
- عين النبي صلى الله عليه وسلم تنام ولكن قلبه لا يزال ينبض بذكر الله.

* * *

- .(1) رواه البخاري رقم (50).
- .(1) دلائل النبوة للبيهقي رقم (903).
- .(1) رواه مسلم رقم (4519).

13- حب النبي صلى الله عليه وسلم للسيدة خديجة رضي الله عنها

إني رُزقت حُبها:

رزق النبي هو تلك المرأة التي قال عنها صلى الله عليه وسلم: ((إني رُزقت حبها)) من هذه المرأة التي يقول النبي حبها رزقي؟! وانظر عند ما يختار الله سبحانه وتعالى للنبي أحب مخلوق إليه – رزقه، وانظر كيف تكلم النبي صلى الله عليه وسلم عنها؛ فالنبي لم يتكلم إلا عن اثنين: صاحبه وحببيه أبى بكر، وزوجته خديجة.. فقد كان يتكلم كثيرًا عن فضلها عليه في حياتها وبعد وفاتها، فكان دائمًا يذكر فضلها، في حياتها وبعد وفاتها، فهي المرأة الكاملة التي قال عنها النبي صلى الله عليه وسلم ((وكمل من النساء أربع؛ مريم ابنة عمران، آسيا امرأة فرعون، السيدة خديجة زوجة النبي، وابنتها السيدة فاطمة)) (1)، وكان الله عز وجل كان يهيئ السيدة خديجة لتكون زوجًا للنبي صلى الله عليه وسلم، فهي أكبر منه بـ (خمس عشرة سنة)، وتزوجت قبله اثنين وتوفيا عنها. وعندما اشتهر عن النبي صدقه وأمانته في التجارة، قررت السيدة خديجة أن يعمل في تجارتها، وقدمت إليه كل أموالها، وكأنها بذلك تتعرف إلى النبي، والإنسان يتعرف إلى الآخر من خلال الحياة العملية، وقالت له كما يقول ابن إسحاق: إني دعاني إلى البعث إليك ما بلغني من صدق حديثك، وعظم أمانتك، وكرم أخلاقك. وقالت لغلامها ميسرة: اخرج معي وكلمني عن أخباره في السفر.

هل تعرفون لماذا سُمي السفر سفرًا؟ سُمي سفرًا؛ لأنه يسفر (أي يظهر) أخلاق الإنسان، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يركب تارةً ويُركبُ ميسرة تارةً أخرى، وكانت السحابة تظل النبي صلى الله عليه وسلم، وينالُ ميسرةً من حب الله لرسوله جانبًا، ويسير مع النبي صلى الله عليه وسلم في ظلِّ الغمامة في وسط الشمس الحارقة، انظر إلى كرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وطيبة قلبه وإيثاره وهو يُركب ميسرة ويمشي إلى جانبه ويرجع ميسرةً بهذا الكلام الباهر وهذه الأخلاق العظيمة التي لم يتعودها من الناس في قريش.

وتتبهر السيدة خديجة، وعندنا أحاديث كثيرة وأثار خارج الصحاحين أن السيدة نفيسة صاحبة السيدة خديجة تذهب إلى النبي وتُلَمِّح له بالزواج من السيدة خديجة، وتقول له: لماذا لم تتزوج؟ فيقول لها: ليس عندي ما أتزوج به. فنقول له: ما رأيك لو عُرض عليك المال والجمال والكفاءة. فقال لها من؟ قالت له: خديجة. فيُسِر النبي صلى الله عليه وسلم برزق الله له. ويذهب النبي صلى الله عليه وسلم لخطبة السيدة خديجة ويتكلم عمه أبو طالب بكلمات يُعزُّ بها النبي هي أقل ما يقال في حقه، فيقول: إن محمدًا لا يوازن بفتى من قريش إلا رجح محمد شرقًا ونبلاً وفضلًا وعقلًا وإن كان في المال قليلًا، وإنه له رغبة في خديجة ولها فيه رغبة.

وتبدأ أجمل قصة حب عرفتها البشرية، بين المرأة الكاملة سيدة نساء العالمين، وبين سيد العالمين صلى الله عليه وسلم.

ولم نقرأ في أي كتاب من كتب السيرة عتابًا عتابًا للسيدة خديجة على النبي صلى الله عليه وسلم أو عتابًا عتابًا على النبي صلى الله عليه وسلم عن خديجة - رضي الله عنها - ولكن قبل سن الأربعين بقليل يحدث تغيير على حياة الزوج صلى الله عليه وسلم، فيحب النبي صلى الله عليه وسلم الخلوة، وبدأ يكبر

عنده حس البحث عن الحقيقة، وحسب البحث عن إله الكون سبحانه وتعالى؛ فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم غير راضٍ عما تفعله قريش من سجودهم لأصنام لا تضر ولا تنفع، وخطابها واستشارتها. ومعروف عنه صلى الله عليه وسلم أنه ما سجد لصنم قط.

وبدأ النبي صلى الله عليه وسلم يعتزل الناس - كما في صحيح البخاري - ويتعبد في غار حراء، وغار حراء عبارة عن جبلٍ له فتحتان؛ فتحة تنظر لأعلى ناحية السماء والثانية تنظر ناحية الكعبة، ومن ينظر منها يرى الكعبة وحولها الـ (360 صنماً)، وكان النبي مشغولاً بهؤلاء الذين يطفون بالكعبة ويتعبدون لهذه الأصنام، وكان يفكر ويتساءل هل هذه الأصنام هي التي خلقت الدنيا، ويبعد النبي عن السيدة خديجة، و لم تعترض، فالمرأة من الممكن أن تقبل أن يبتعد عنها زوجها لو كان الغياب في أمر مشترك لهما كأن يسافر الزوج ليأتي بالأموال لتأمين مستقبل الأولاد مثلاً، ولكن ترضى السيدة خديجة أن يبعد النبي عنها من أجل شيء يشغل باله هو، وهي لا تعرف ما هو ذلك الشيء، أو حتى لو كانت تعرفه، فهو شيء ليس في حياتهم، وهو من؟ إله الكون.

فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتحنث في غار حراء (أي يتعبد ويتفكر) الليالي ذوات العدد، وكانت السيدة خديجة ترسل إليه بالطعام والشراب، فأهم شيء عندها - رضى الله عنها - أن تعمل على راحة زوجها.

وعندما حدث أهم حدث في الدنيا؛ عندما نزل عليه سيدنا جبريل وراه سيدنا محمد على صورته، يسد ما بين السماء والأرض، له ستمائة جناح، ويرجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيته وهو يرتعد ويقول للسيدة خديجة: ((لقد خشيت على نفسي))، ويقول: ((دثروني)) (أي غطوني).. ((دثروني)). ثم تغطيه السيدة خديجة وتقول له: والله لن يضيعك الله أبداً؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلّ (المحتاج)، وتكرم الضيف، وتعين على نوائب الدهر. وتذهب به إلى ورقة بن نوفل ابن عمها، فيخبرها بأن ذلك هو الناموس (الوحي) الذي نزل على موسى وعيسى، قال ورقة: يا ليتنى فيها جذعٌ (أي شاب) قوي إذ يخرجك قومك. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((أومُخرجي هم؟)) (1) قال: نعم. ما أتى أحد يمثل ما أتيت به إلا عُودي. وتقول له السيدة خديجة: إنى لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة.

رغم الصعوبات يبقى الحب

ويبدأ نزول الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم، وتبدأ معه حياة جديدة فيها مشقة وصعوبة، ولكن السيدة خديجة تقف بجوار زوجها، بجوار رسول الله صلى الله عليه وسلم تواسيه بعطفها وحبها ومالها. ويقول الله سبحانه وتعالى للنبي: ((أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى)) [الضحى: 6] بخديجة كما في بعض التفسيرات، ((وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى)) [الضحى: 7] للبعثة والرسالة، ((وَوَجَدَكَ غَائِبًا)) [الضحى: 8] أي فقيراً، ((فَأَغْنَى)) بخديجة.

ومن الصعوبات والمشكلات التي واجهت النبي وزوجته بسبب هذه الدعوة - مشكلة طلاق بنات النبي من عتبة وعتيبة ابني أبي لهب - الذي أراد أن ينتقم من النبي صلى الله عليه وسلم ويشغله عن دعوته، هل قالت السيدة خديجة إن زوجها هو سبب ما حدث لبناتها؟ لا بل كانت صابرة محتسبة، تقف إلى جواره. الحب بين الزوج والزوجة قائم على المودة والرحمة، سمعت أحد الشيوخ يقول: يمكن أن يحدث بعض الزعل بين الزوجين فيهتز الحب قليلاً، وتبقى الرحمة تتعامل

بها في حياتنا وفي بيوتنا، فالزوجة الصالحة هي التي إذا نظر لها زوجها سرتة، وإذا غاب عنها حفظته في ماله وعرضه. فيجب أن يكون الحب هو أساس بيوتنا.

تعلق بلا علائق:

ثم يُحاصر النبي صلى الله عليه وسلم هو وزوجته وأتباعه قى شعب بني طالب، ويتعرض لمجاعة شديدة، والسيدة خديجة صاحبة الجاه والعز والثراء تصبر مع زوجها، مع كبر سنهما؛ وذلك لأن المحب الصادق عنده إرادة واحدة مع حبيبه، كل إرادته تذوب في إرادة حبيبه، تصيح لديه إرادة واحدة هي البقاء مع حبيبه، حتى لو تقلبت به الأيام وأصبحت عسرًا بعد يسر، وشدةً بعد رخاء، لو كانت الدنيا قبل ذلك سهلة وأصبحت مع حبيبه صعبة، فحبيبه يتعلق به بلا علائق.

ثم ينزل سيدنا جبريل كما في البخاري - ويحمل إلى النبي صلى الله عليه وسلم نعي السيدة خديجة، ويقول: يا محمد، هذه خديجة تأتي لك بإناء فيه طعام فبشّرها بقصر في الجنة من قصب - أي لؤلؤ - لا صخب فيه ولا نصب.

ويشورها النبي صلى الله عليه وسلم بهذا القصر، وإن كان نعيمها الحقيقي أنها كانت مع رسول الله، وهذا شرف لأي إنسان مهما علا شأنه أن يكون في صحبة النبي صلى الله عليه وسلم أكرم الناس وأطيبهم، والجائزة الكبرى أنها سوف تكون معه وفي صحبته في الآخرة، وتموت السيدة خديجة ويحزن النبي صلى الله عليه وسلم عليها حزناً شديداً؛ حتى سُمي ذلك العام بعام الحزن.

إني لأحب حبيبها:

وتمر السنون ويتزوج النبي أكثر من امرأة؛ وذلك لحكمة ربانية، ولأهداف دعوية، وينشغل في الغزوات، لكنه لم ينس السيدة خديجة، وظل محافظاً على حبه لها وبره بها بصلته لأهلها وأحبابها، وكان إذا دخل عليه أحد منهم يفرش له رداءه ويوسع له، وكان عندما يذبح الذبائح يوزع على صاحبات خديجة، فيسأل عن ذلك فيقول - كما في صحيح مسلم: - ((إني لأحب حبيبها)). وكان النبي صلى الله عليه وسلم دائم الثناء على السيدة خديجة لدرجة أن غارت منها السيدة عائشة.

عن عائشة قالت: ((كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكّر خديجةً أتني عليها فأحسن الثناء. قالت: فغرت يوماً. فقلت: ما أكثر ما تذكرها حمراء الشّدق قد أبدلك الله عزّ وجلّ بها خيراً منها. قال: ما أبدلني الله عزّ وجلّ خيراً منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبتني الناس، وواستني بما لها إذا حرمني الناس، ورزقني الله عزّ وجلّ ولدها إذ حرمني أولاد النساء)) (1) ..

الخلاصة

- رزق النبي صلى الله عليه وسلم هو حُب السيدة خديجة رضي الله عنها، فقد كان يتكلم كثيراً عن فضلها عليه في حياتها وبعد وفاتها.
- عندما اشتهر صدق النبي صلى الله عليه وسلم وأمانته قررت السيدة خديجة أن يعمل في تجارتها، وحدثها غلامها عن صدقه وأمانته في السفر لأنه يسفر - أي يظهر - أخلاق صاحبه.

• تقدم النبي صلى الله عليه وسلم لزواجها وعاشا أجمل قصة حب عرفتها البشرية.
• وبدأ النبي صلى الله عليه وسلم اعتزال الناس والتعبد في غار حراء ونزل إليه سيدنا جبريل
ورآه على صورته وبدأ نزول الوحي وبدأت معه حياته الجديدة.
• يتعرض النبي صلى الله عليه وسلم لأشد البلاءات وتصبر معه السيدة خديجة وتحمل رعم كبر
سناها.
• تموت السيدة خديجة ويحزن النبي صلى الله عليه وسلم عليها حزناً شديداً حتى سمي ذلك العام
عام الحزن.

* * *

- (1) رواه البخاري رقم (3246).
(1) رواه البخاري رقم (5067).
(1) مسند أحمد بن حنبل رقم 24908.

14- حبُّ النبي صلى الله عليه وسلم لزوجاته

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ادبني ربي فأحسن تأديبي))، ويقول عزَّ وجلَّ: فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا [الطور: ٤٨] وهذا معناه أن ما يحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم هو ما يحبه الله عزَّ وجلَّ، وأن ما يفعله صلى الله عليه وسلم أفضل شيء في بابه، وبالتالي فإنه عندما يقول: ((حُبِّبْ إِلَيَّ من دنياكم الطيب والنساء وجُعِلت قرة عيني في الصاة)) – فإنه يبين أن هذه الأمور أفضل أمور الدنيا عنده وعند الله سبحانه وتعالى، بما فيها حب النساء. ومعلوم أن ((النساء)) هنا يقصد بهن زوجاته؛ لأنهن حلالته غير محرمات عليه.

هذه طبيعة:

إن حب النساء شيء مرتكز في تكويننا البشري، فالمرأة جزء من الرجل، خلقها الله من ضلع منه؛ فقد خلق أمنا حواء من ضلع من أربابنا آدم عليهما السلام. ولعل هذا هو السبب في أن تشعر المرأة أن الرجل هو أصلها، وأن يشعر الرجل أن المرأة بعضه وجزء منه، ويتزايد هذا الشعور عندما يلبي كل منهما حاجة الآخر، فيأسر كل منهما قلب الآخر؛ لأنك عندما تلبي حاجة إنسان فإنك تحسن إليه؛ وبالتالي فإنك تأسر قلبه، ويبدو هذا جلياً بين الرجل وزوجته فإن لكل منهما حاجات لا يلبيها إلا الآخر، فيتزايد الحب خاصة إذا عرف الطرفان أنه عبادة، وأنه شيء يحبه الله عزَّ وجلَّ، وبالتالي فإنه من الإيمان الذي زينه الله سبحانه وتعالى في قلوب المؤمنين به، يقول تعالى: وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ [الحجرات: 7]؛ ولذا أحبَّ النبي صلى الله عليه وسلم زوجاته تقرباً إلى الله سبحانه وتعالى.

حبُّ النبي صلى الله عليه وسلم وأم سلمة رضي الله

عنها:

تزوج النبي صلى الله عليه وسلم أمنا أم سلمة – رضي الله عنها – في شوال من السنة الرابعة للهجرة، وكان لديها أربعة من الأولاد. وفي أول ليلة لهما ((قامت في آخر الليل تطحن)) فهي حريصة على أن تعد له طعامه، والطعام من أهم الحاجات لدى الإنسان، واهتمامها رضي الله عنها بهذا الشأن من أول ليلة يعكس حبها الشديد لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

أشيري علي:

وذاًت يوم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم لأداء العمرة فرفضت قريش دخولهم وكادت تحدث حرب، فرفض النبي صلى الله عليه وسلم جرَّ أصحابه إلى حرب في ذلك التوقيت، ووقع صلح الحديبية، وطلب إلى صحابته رضي الله عنهم أن يحلقوا رؤوسهم وكان عددهم ألفاً وأربعمائة، لكنهم كأنهم تباطؤوا وتراخوا في تنفيذ كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدخل إلى أم سلمة – رضي الله عنها – وطلب مشورتها فأشارت عليه أن يخرج إلى القوم فيحلق رأسه فإنهم سيتبعونه ويجيبونه إلى ما أمر، ففعل صلى الله عليه وسلم وخرج فانصاع الصحابة جميعاً إلى أمره صلى الله عليه وسلم فحلقوا رؤوسهم كما توقعت أمنا أم سلمة رضي الله عنها. فها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم يستشيرها في قرار مصيري يخص المسلمين عامة في فترة من أشد الفترات حرجاً، فإنه يقول لها: لست مهمشة، بل إن رأيك في غاية الأهمية بالنسبة لي، ولا أجد حرجاً في تنفيذه، فأشيري علي يا زوجتي الغالية.

أولادك أولادي:

وكان صلى الله عليه وسلم يهتم بأولادها، وكلنا يذكر الحديث الشريف الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم: ((يا غلام، سمّ الله، وكُلْ بيمينك، وكُلْ مما يليك)) (1) فقد كان ذلك الغلام هو عمر؛ أحد أبناء أم سلمة، فكأنه صلى الله عليه وسلم يقول لها: إن أبناءك أبنائي، بل بمجرد أن تزوجتك فقد أصبحت حياتك هي حياتي، وكل ما يخصك يخصني، بل من أهم أموري، فأنت غالية عندي وكل ما يخصك غال كذلك.

حبُّ النبي صلى الله عليه وسلم وأمنا سودة بنت زمعة:

كانت السيدة سودة بنت زمعة أكبر من النبي صلى الله عليه وسلم بسنين كثيرة، فقد كانت عجوزاً، وكان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يرعاها ويساعدها في كبرها، فهذا حبه لها، وحرصه على صالحها وما يسرها وتضحيتها من أجلها.

وكانت أمنا سودة - رضي الله عنها - تبادلته هذه المشاعر الطيبة، وتؤثر رضاه، حتى إنها تنازلت عن ليلتها للسيدة عائشة رضي الله عنها لأنها تعلم جيداً مكانة عائشة رضي الله عنها في قلب الرسول صلى الله عليه وسلم رغم أنها طاعنة في السن وبحاجة إلى من يرعاها خاصة في بيئة صحراوية جبلية كالتى كان العرب يعيشون فيها.

ليلتي لعائشة:

إن موقفها هذا ينمُّ عن حبها لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وحرصها الشديد على أن تسعده وأن تفعل ما يسرُّه، حتى لو كان ذلك على حسابها، فإنها تفرح بما يفرح، وتسعد لما يسعد، إنه الحب الذي تعلمته من النبي صلى الله عليه وسلم.

حبُّ النبي صلى الله عليه وسلم وأمنا عائشة - رضي الله

عنها:

إنها أكثر زوجاته قرباً منه صلى الله عليه وسلم، وأحبّها أكثر ما أحبّ من نسائه، فقد سئل صلى الله عليه وسلم عن أحب الناس إليه فقال: ((عائشة)) فقيل: ومن الرجال؟ فقال: ((أبوها)). وله معها مواقف عديدة تعكس حبه إياها، فمن ذلك على سبيل المثال موقفان:

الأول: دعوة الفارسي:

يُروى أن فارسياً كان جاراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه إلى مرق طبخه فسأله النبي صلى الله عليه وسلم: ((وهذه؟))، فقال: أريدك وحدك. فرفض صلى الله عليه وسلم، فدعاه بعد فترة، فقال له: ((وهذه؟)) فقال: أريدك وحدك، فرفض مرة أخرى، حتى دعاه فقال له: ((وهذه؟)) فقال الفارسي: ((وهذه)).

يقول الراوي: فانطلقا يتدافعان (يعني النبي صلى الله عليه وسلم وأمنا عائشة رضي الله عنها) فهما فرحان بأنهما معاً في هذه الدعوة التي وجَّهها جارهما الفارسي. ولم يقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتركها فكأنه يقول لها: لا أتصور أن أذهب وحدي وأتركك.

الثاني: موقف العقدة:

يروى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان على رأس الجيش ومعه أمنا عائشة - رضي الله عنها - فقدت عقدها، فأوقف الجيش عن المسير، وأخذ يبحث لها عن عقدها، ولم يكن بهذا الموضع ماء،

وكان الناس بحاجة إلى الماء للوضوء، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: فجائني أبو بكر يعاتبني والنبى نائم على فخذي فعنّفني وعاتبني وقال ما شاء الله أن يقول، وأخذ يطعنني بيده في خاصرتي، ولا يمنعني من الحركة إلا رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فخذي. ونزلت آية من آيات التيمم، فأخذ الناس يقولون للسيدة عائشة - رضي الله عنها - هذه بركتك، وقال أبو بكر: إن ذلك ببركة موقف النبي صلى الله عليه وسلم.

ياله من حب متفرد غير مسبوق! فهو يوقف الجيش عن التحرك رغم ما يحتويه ذلك من خطورة وإجهاد شديدين ليبحت عن عقدها؛ فيعلم الأمة الإسلامية هذا المعنى الذي تصلح به العلاقة الزوجية والأسرة والمجتمع المسلم فيخرج أجيالاً مستقيمة على الحق وهذا في حد ذاته منفعة عظيمة ربما فاقت منفعة تحرك الجيش.

أما هي - رحمها الله ورضي عنها - فكانت تتحمل رغم ضعفها طعنات أبي بكر - رضي الله عنه - فقد طعنها بيده رغم قوته وضعفها، ولم يمنعها من الحركة غير مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم منها، فقد كان نائماً مستريحاً على فخذهما، فكيف تتحرك فيصبح منزعاً بعد راحة؟! إنها نظرية فريدة في الحب النبوي الذي صدره رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى زوجاته وإلى كلها حتى ينصلح حالها في الدنيا والآخرة.

بل اخترتك يا رسول الله:

كان هناك خطر يهدد المدينة من قبل غسان، وكان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - نائماً فجاءه رجل يطرق الباب بشدة يخبره بأمر عظيم فقال له عمر رضي الله عنه: أ جاءت غسان؟ فقال: لا، بل طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجاته. فانطلق عمر - رضي الله عنه - يبحث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجده في المسجد، بل وجد بعض الصحابة يبكون عند المنبر، فأخذ يبحث عنه حتى وجده في مكان يسمى ((المشربة)) فاستأذن عليه فدخل غلام يسمى رباحاً فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم فلم يردّ عليه، فانتظر فترة وجيزة ثم عاد يستأذن فذكره رباح للنبي صلى الله عليه وسلم فصمت، فعاد عمر - رضي الله عنه - فناده رباح وأخبره بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد أذن له، فدخل عليه وكان نائماً على حصير أثر في جسده الشريف، فسأله عمر: أطلقت زوجاتك يا رسول الله؟ فنظر إليه صلى الله عليه وسلم وقال: ((لا)) فأخذ عمر - رضي الله عنه - يحدثه ليخرجه مما هو فيه، فقال له: يا رسول الله، كنا في مكة نغلب نساءنا، فجيئنا إلى المدينة فإذا نساؤها يغلبن أزواجهن، وإني حدثت زوجتي فراجعتي، فلما ههمت بها لأعنفها قالت، إن زوجات النبي صلى الله عليه وسلم يراجعنه ويهجرنه من الصباح حتى المساء، فابتسم النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بأن ذلك صحيح، فلما انفرجت أساريره وهدأ شيئاً ما سأله عمر رضي الله عنه أن يدعو ربه عزّ وجلّ أن يوسع عليه في الدنيا بعد أن رآه ينام على الحصير وكسرى وقيصر وأمثالهما يتنعمون في الحرير فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ((أو في هذا أنت يابن الخطاب؟! تلك أقوام عجلت لهم طبيباتهم في الحياة الدنيا)).

وبعد مرور تسعة وعشرين يوماً عاد النبي صلى الله عليه وسلم إلى السيدة عائشة، وكان قد أقسم أن يغيب عن نساءه شهراً بعد أن سأله التوسيع في النفقة، فلما دخل على عائشة - رضي الله عنها - خيراً بين البقاء معه وأن يوسع عليها في النفقة وأمرها أن تسأل أبايها عن ذلك، وتلا قوله تعالى: ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُمْ وَأَسْرَحْكُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ وَإِنْ

كُنْتُمْ تُرَدْنَ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالذَّارِ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا (الأحزاب: ٢٨)،
[٢٩]؛ فردت عليه بأنها اختارته هو وأنها لا تساوي به شيئاً من الدنيا الفانية، ودخل على زوجاته
كلهن فسألهن فقلن مثل ذلك.

يا له من منهج عجيب يجعل الهجر وصلاً، ويتعلق فيه المحبون بلا علائق، فزوجاته يحببته دون
شيء ويرجون أن يبقين معه ويفضلنه على متاع الدنيا، بل إنهن ظلن على هذا الحال بعد وفاته
صلى الله عليه وسلم؛ فالسيدة عائشة - رضي الله عنها - قسمت نصيبها من الغنائم على الفقراء،
وكان مائة وثمانين ألف درهم، حتى إنها ظلت توزعه من الصبح حتى الغروب، فقالت لها
صاحبته: لو أبقيت درهمين فأفطرنا عليهما! فقالت رضي الله عنها: لو ذكّرتني لفعلت!
فلكان النبي صلى الله عليه وسلم هجر زوجاته ليعلمهن الحب والوصل بالله عز وجل، فالحب في
المنهج النبوي عبادة لا تتعلق بالمحسوب، بل تبقى بعده، وهو ما حدث بعد وفاة النبي صلى الله
عليه وسلم.

أحسن ختام:

وإذا نظرنا إلى ختام حياة النبي صلى الله عليه وسلم وجدناه قد توفي ورأسه على كتف السيدة
عائشة رضي الله عنها تقول: ((مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحري ونحري)) أي بين
ضلوعي ورقبتي.

وعاش يحب ومات يحب

لا شك أن أحسن ختام هو ختام خير البشر محمد صلى الله عليه وسلم، قد يتمنى بعضنا أن يموت
وهو ساجد أو وهو يجاهد في سبيل الله، ولم يطلب أحدنا أن يموت على كتف زوجته كما حدث
للنبي صلى الله عليه وسلم؛ فقد عاش يحب زوجاته وبالأخص عائشة رضي الله عنها فمات عندها،
على كتفها، وهذا يذكرنا بمقولة أن: ((من عاش على شيء مات عليه))؛ فقد عاش على الحب
ومات عليه، فقد كان كثير التودد إلى أهله، فهو خير الناس لأهله كما قال: ((خيركم خيركم لأهله
وأنا خيركم لأهلي)) (1) فعاش صلى الله عليه وسلم يحب ومات يحب.

قوانين الحب:

من هذه المواقف السابقة وهي قطرة في بحر حب حافل بالمواقف التي تدرس - نستطيع أن نخرج
بعدة قوانين للحب وهي أطر عامة يمكن لكل منا أن يملأها بما يتفق معه؛ ولذا فهي مطروحة في
عدة أسئلة: كيف أستطيع أن أعبر عن حبي؟ كيف أخاصم؟ كيف أصلح؟ كيف أتغاضى عن توافه
الأمر؟ كيف أعطي وأخذ؟ وما إلى ذلك من قوانين الحب التي ترمي إلى الاستقرار في بيوتنا،
حتى تكتمل الصورة الجميلة لحياتنا، فبالحب تكتمل الأشياء.

هيا نحب، حتى لو قولنا بمشاعر جافة، فلنصبر على من نحب حتى يتعلم الحب، فالحب عبادة؛
ولذا ينبغي أن نفهم معنى ((النساء)) في قوله صلى الله عليه وسلم: ((حُبِّبْ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ الطَّيِّبِ
وَالنِّسَاءِ وَجُعِلَتْ قَرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ))، على أن النساء - هنا - أي الحلائل: أي زوجاته صلى
الله عليه وسلم وكذلك بناته، لا النساء المحرمات عليه، وبهذا يكون الحب عبادة حقاً، ولا ينبغي
التقصير فيه، حتى ندخل إلى الله عز وجل من باب واسع عظيم؛ هو باب حب الزوجات.

الخلاصة

- حُب النساء شيء مرتكز في تكويننا البشري، فالمرأة جزء من الرجل خلقها الله من ضلع من الرجل.
- كان النبي صلى الله عليه وسلم يستشير زوجته أم سلمة رضي الله عنها في قرار مصيري يخص المسلمين عامة.
- كان صلى الله عليه وسلم يراعي السيدة سودة بنت زمعة لكبر سنها ويحرص على صالحها ويضحى من أجلها.
- كذلك السيدة سودة كانت تبادلته صلى الله عليه وسلم نفس المشاعر وتؤثر رضاه حتى إنها تنازلت عن ليلتها للسيدة عائشة.
- أمنا عائشة - رضي الله عنها - أكثر زوجات النبي صلى الله عليه وسلم قرباً منه، وأحبها أكثر ما أحب من نسائه، وسئل عن أحب الناس إليه فقال عائشة.
- كان صلى الله عليه وسلم يرفض أن يدعى إلى مرق دون أن تكون معه عائشة رضي الله عنها.
- أوقف صلى الله عليه وسلم الجيش رغم ما يحتويه ذلك من خطورة فقط ليبحث عن عقد السيدة عائشة عندما فقدته.
- إذا هجر النبي صلى الله عليه وسلم زوجاته فهو يهجرهن ليعلمهن الحُب والوصل بالله عزَّ وجلَّ.
- الحب في المنهج النبوي عبادة لا تتعلق بالمحبوب، بل تبقى بعده، وهو ما حدث بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.
- لا شك أن أحسن ختام هو ختام خير البشر محمد صلى الله عليه وسلم. قد يتمنى بعضنا أن يموت وهو ساجد أو وهو يجاهد في سبيل الله، ولم يطلب أحدنا أن يموت على كتف زوجته كما حدث للنبي صلى الله عليه وسلم.
- هيا نحب، حتى لو قوبلنا بمشاعر جافة، ولنصبر على من نحب حتى يتعلم الحب، فالحب عبادة.

* * *

(1) رواه البخاري رقم (5067).

(1) صحيح ابن حبان رقم (4238)

15- الحبُّ في مواقف الحرب

إننا لا نختار الحرب إنما نختار الحب:

لم تكن الحرب هي اختيار سيدنا محمد الأول، بل كان اختياره دائماً نشر الحب، كما أن أغلب غزواته صلى الله عليه وسلم – ولو شئت قلت كلها – كانت اختيار عدوه... بدر، أحد، الخندق، فتح مكة... إننا لا نختار الحرب.. إننا نختار الحب، ونشر دين الحب. ((المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)) (1) لكنَّ خيار أعداء النبي صلى الله عليه وسلم: أننا سنحاربك، ونريد دمك ودم أصحابك.

وقد يكون من في مواجهتك لا يعرف مصلحته، فكان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يرفع راية في الحرب اسمها راية الحب، وإن حبَّ النبي صلى الله عليه وسلم لربنا جعله يتخلق بصفاتٍ لربنا عزَّ وجلَّ ويعامل الناس بصفاته؛ فمن يحب أحداً يتصف بصفاته، فكان براءً، ورحيماً، ومسامحاً وقوياً في نفس الوقت؛ لأن الله كريم معنا، عفوٌ عنا، رحيم بنا، وهو في نفس الوقت الجبار القهار، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرى كيف يعامل الله الذين كفروا به، ويحلم عليهم ويكرمهم ويهبهم من ممتلكاته وملكه، سبحانه وتعالى، في نفس الوقت أحياناً ينالهم عقابه، في الوقت الذي يحاربون فيه الله ويحاربون فيه أحبائه المؤمنين الصالحين..

لكن، هل رأيت حرباً لا ظلم فيها؟ هل رأيت أحداً يحاربك أحناً عليك من نفسك؟ رأيت حرباً ليس بها تدمير للبيوت؟ أن يحاربك من يخاف على ممتلكاتك أكثر مما تخاف أنت عليها.

إلى أي مدى لم تكن في النبي صلى الله عليه وسلم – والله المثل الأعلى – صفة تطغى على صفة؟ أتدرون؟ عندما يعاملنا الله فإنه يحن علينا ويكرمنا ويرحمنا وأحياناً ينالنا القهر حتى يربينا على أمور معينة، لا صفة تطغى على صفة، كذلك لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يحارب في وقت ما بقوة، فتختفي رحمته، أو يرحم صلى الله عليه وسلم حتى تختفي حكمته التربوية من الحرب،

كلاً، ولكن ((أدبني ربي فأحسن تأديب))، ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4]. كان

صلى الله عليه وسلم يحارب، ومعه صفتا الرحمة والقوة.. وهنا معلومة مهمة لا بد أن نتبينها، مرتبطة بالحرب في الإسلام، وهي هل انتشار الإسلام بالحب أم بالحرب؟ لقد كان مسعى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم دائماً هو أن ينشر حب حبيبه، ونحن جنود الله في الأرض، أرسلنا الله - عزوجل - لنشر السلام والإسلام، وتصور ديناً شعاره عندما يُسأل النبي صلى الله عليه وسلم من

المسلم؟ ((المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)). بل من سلم الناس جميعاً من لسانه ويده، كما

علمنا صلى الله عليه وسلم، فكان صلى الله عليه وسلم بعد أن نشر الإسلام في بلده بين عشيرته الأقربين ﴿وَلْتُنذِرْ أُمَّ الْقُرَىٰ﴾ [الشورى: 7] مكة ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ يوفد رسولاً – عندما راح ينشره

في أرض الله وملكه - إلى صاحب الدولة والجيش، المسئول عن شعب يعيش في الكفر، يبلغه أنه يريد نشر الإسلام وأن أمامه خياراتٍ ثلاثة، إما أن يسلم لله - عزوجل - فيسلم، ويخلي بينه وبين

شعبه لينشر الدين، حتى لا يعيش شعبه في ظلام الكفر واستعباده، وإن الآخرة عند الله للمتقين،

وإما أن يدفع ما يسمّى الجزية، ملايم من أجل حمايته وحماية شعبه ليحيا تحت عز وخير الإسلام،

فلو شاء أحد أن يحاربهم حاربه جيش الإسلام الذي يتولى حمايتهم، وإما أن يخوض مع المسلمين

– إذا أبى وأبرز جيشه وهمّ بمحاربتهم – الحرب التي اختارها ولم يختار الإسلام أو الجزية، تحت

راية الحب لنشر الإسلام دين الله عزَّ وجلَّ الذي لا بد من نشره، ومن يقرأ التاريخ يدرك أنه عندما انتشر الإسلام عمَّ السلام بعد أن كان الناس يداس عليهم، قبل الإسلام، لولا مجيء النبي صلى الله عليه وسلم رحمة الله المهداة: ولذا لم يكن الحب دائماً رقة وضعفاً فأحياناً لا يدري من يحب بمصلحته ويريد أن يضر نفسه، وساعتها أنت ترفع راية الحب، حتى لو تطلَّب الأمر الحرب، ولكن انظر إلى الذي يرفع سيفه على النبي صلى الله عليه وسلم ويقول له: لو نشرت الإسلام دين السلام فسوف أقتلك وأقتل من معك !! وانظر إلى سلوكيات النبي صلى الله عليه وسلم معه، وتأمل الحبَّ الذي كان يبثه في قلوب أعدائه وهو يحاربهم، وعندما نذكر الحرب فإنما نذكر سلوكيات النبي صلى الله عليه وسلم، وحبه لأصحابه الذين يحاربون إلى جانبه، والأعدائه الذين يحاربونه. ولم نذهب بعيداً؟ فلنر سيدنا علي بن أبي طالب وهو يقول كنا وكنا في غزوة بدر. لقد كان يقول ما معناه أننا كنا نحارب وراء النبي وهو أمامنا ونحن من ورائه ((لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وكان أقربنا إلى المشركين)). في أول الصف سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، والصحابة يحتمون به، وكان أشد الناس بأساً؛ ذلك معنى كلام سيدنا عليّ الذي كان يفتحم الحصون بيديه، يقول: كان النبي أشد الناس بأساً، هو في المقدمة وكأنه صلى الله عليه وسلم يبلغ أصحابه رسالة حب للشجاعة أن اجعلوني في الأمام، بحيث أرد عنكم لو كانت الهجمة قوية، أنا جسمي يرد عنكم، وكأنما يبلغ المشركين رسالة فيها حبُّ أن لو أحبوا وهم يحاربوننا أن يتراجعوا ويتخذوا قرار السلام، فأكون أنا في المقدمة متخذ القرار الحكيم، قبل أن يتورط أحد في الحرب بحماس، فتحدث إراقة للدماء، بحيث تقضي حكمتي في الموقف، وكأنما يعني اجعلوني في الأمام حتى أتصرف **(وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ)** [الأنفال: 61] وكأنما يرسل صلى الله عليه وسلم إلى الكفار الذين يحاربونه ويريدون حنقه، إنني لا أريد ملكاً ولا جاهاً ولا سلطاناً ولا أي مطلب، وإنما يقف في مقدمة الصفوف حتى إذا انتصروا كان هو أول من يقتلونه، وأنه لا يبتغي شيئاً سوى قلوبهم، وهو ينشر رسالة الحب التي أرسله الله بها للعالمين، ولو فكروا يوماً من الأيام وهم يتقاتلون أن يتراجعوا عن الحرب فهو معهم، وجهه الشريف صلى الله عليه وسلم في وجوههم، وأمر آخر: أليس من الجائز عندما يرونه ويرون عليه الهداية تدب الهداية في قلوبهم؟ وهم يرون نور وجه النبي الشريف، وهو ما حدث في كل غزوة؛ إذ كان أناس يخرجون من جيش المحاربين فينضمون للنبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنهم عندما رأوه صدقوه، كان أقرب الناس إلى العدو، حتى إذا رأوه يمكن أن تقذف الهداية في قلوبهم، ولو حدث أمر شديد الوقع على أصحابه حمله عنهم صلى الله عليه وسلم.

وكان صلى الله عليه وسلم – والمسلمون 30 ألفاً – في غزوة تبوك يتفقد أصحابه، يطمئن عليهم، وتبين أنه لم ير شخصاً معيناً بين الثلاثين ألفاً، تعوَّد أن يراه، فيقول: أين كعب بن مالك؟ لقد تخلف كعب بن مالك عن الحرب، رأيت إلى أي مدى كانت نظرة الاطمئنان عليهم في وسط الحرب؟ وفي إحدى الحروب انكسر سيف سالم بن أسلم، أحد صحابته صلى الله عليه وسلم وهو يحارب ووقع منه، فنظر حوله فوجد النبي صلى الله عليه وسلم يحارب بسيفه، وفي يده جريدة من نخل، فيبلغه سالم بن أسلم أن السيف انكسر، فإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم الذي خول له الله التصرف في الأكوان، وليس ذلك بعزيز على ربنا، يعطيه الجريدة التي بيده، خذ هذه فقاتل بها، فتنقلب سيفاً في يد النبي صلى الله عليه وسلم، فيأخذها سالم ويقاوم بها، لتظل معه هذه الجريدة، وتعيش معه

لتبقى أطول من عمره؛ إذ كانت في يد النبي صلى الله عليه وسلم فلو أن الله - عزوجل - قلب الطين في يد سيدنا عيسى طيرًا يطير بإذن الله، فما بالك بسيدنا محمد سيد الأنبياء والمرسلين؟! (يا سالم خذ هذه فقاتل بها))، فتقلب سيفًا ببركة إمساك النبي صلى الله عليه وسلم إياها بيده، إلى أن يستشهد سيدنا سالم بعد ذلك في إحدى المعارك، فيظل السيف بعده.

ويا حظك لو كنت أسيرًا في يد النبي صلى الله عليه وسلم يالحظك لما ستراه من النبي صلى الله عليه وسلم ستري ما لم تره في حرب ولا سلم..

كان لأحد المشركين - ويدعى عبدالله الجمحي - خمس بنات وهو يحارب النبي صلى الله عليه وسلم، فأسره صلى الله عليه وسلم، وإنه ليدي تحت أي يد أسر، فراح يشكو للنبي صلى الله عليه وسلم أن بناته مسكينات، ليس لديهن من ينفق عليهن، وأن يتصدق به عليهن، فإذا بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يتصدق به عليهن، فيرجع إلى بناته، وكأنه يبلغه وهو الذي كان يحاربه ويحاول أن يقتل أي أحد من أتباعه، إنك إن تحاربتني فسوف تلقى صلابة وقوة، ولأنني أحاربك بقلب المحبين لله فلو كنت أسيرًا تحت يدي لعاملتك أحسن مما يعاملك أهلك، حيث أخاف عليك أكثر مما تخاف على نفسك الأمانة بالسوء، والتي أغرتك بأن تترك بناتك وتخرج للقتال وأنت تدري أنك يمكن أن تقتل، فيتشردن بعدك، وإنه لتحت يد الله، القائل: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: 107].

غير أن النبي صلى الله عليه وسلم انتبه إلى ذلك، أخذ عليه العهد قبل أن يطلقه، أخذ عليه العهد ألا يقاتله مرة أخرى أو يكثر عليه، أي ألا يعبىء الناس ضده، فهو إن يحارب النبي فكأنما يحارب رب العالمين، ويحارب أولياء الله الصالحين الذين في صحبة الرسول.

إن حرب الرسول صلى الله عليه وسلم حرب عزم وقوة وشدة وصلابة، تحت راية، كلها حب، فإن قدر عليه ذلك الذي يُريد الحرب، فليس بالضعيف.. إنه قوي، وقوي لينشر حب الله ورسالة حب الإسلام التي بعثه الله بها للعالمين، فإن مانعه وأراد قتاله وجده واقفًا له، ولكن لو ملك صلى الله عليه وسلم رقبته لوجده أحق عليه من نفسه، صلى الله عليه وسلم وبارك على سيد المحبين والمحبوبين.

والغالب في الحروب أن الأسرى يعاملون معاملة غير الأدميين، فإنك عندما كنت تقاتله منذ قليل كان يريد قتلك، فلا تملك إلا أن تغير شعورك تجاهه، حتى بعد أن تأسره وتملكه بلا سلاح؛ ولذلك يقتل الكثيرون من الأسرى في الحرب، ولا يعاملون - إذا أسروا - معاملة الأدميين، ونحن نسمع عن فضائح التعذيب التي تقع للأسرى. ولو كنت تعرف النبي صلى الله عليه وسلم إمام المحبوبين والمحبين لعرفت أنه لو ملكك أسيرًا بعد أن كان يحاربك بكل صلابة وقد كنت مختارًا الحرب لعلمت أنه كان سيحميك ويرعاك ويطعمك من طعامه وقد يكون خيرًا من طعامه، كما حكى الأسرى، فقالوا: كانوا يعطوننا الخبز ويأكلون هم التمر، وقد كان الخبز أحسن من التمر وقتها، ويقول قائلهم: ولا تسقط كسرة خبز في يد أحدهم إلا نفحنى بها. كم من قوانين للحب أسسها النبي خلال الحرب، وكأنها راية للحب تُرفع! يوم أن انكشف الجيش وتراجع الصحابة في غزوة أحد، وقد كانت غزوة عسيرة، من أشد الأوقات التي مرت على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وبقي معه قليلون، وقد تبين لثلاثة آلاف مقاتل من الكفار أن النبي لا يزال حيًا، وكانوا حريصين على قتله، فإذا به يقول: ما من رجل يشري لنا نفسه؟ أي من يبيع لنا نفسه ويحميني، أي يحمي الإسلام

ويحمي رسالة الحبّ المرسلّة من رب العالمين. يومها وقف زياد ابن أبي السكن أمام النبي صلى الله عليه وسلم مع خمسة من الصحابة كما في الرواية وهو يقاتل دون النبي قتالا على قدر حبه له صلى الله عليه وسلم ، ثم يقع، يقع على الأرض، وجهه في التراب، بالدم والعرق، والنبي واقف وراءه على صخرة وقد كان الكفار يستهدفونه، فإذا به يرى صاحبه وحببيه واقعا على الأرض في وسط الحرب، فيوسع بين الناس وينزل، فيضع بيديه الشريفتين رأس زياد ابن أبي السكن على رجله صلى الله عليه وسلم، ويقول: ((لا تضعوا وجهه أو رأسه على الأرض)). وينفض عنه التراب لأنه يموت الآن وتفيض روحه إلى ربها، ينفض عنه التراب، كأنه أب يحمل ابنه على رجله، ويربت عليه، حتى إذا نامت عيناه، نامتا بسلام.. هنيئاً لك يا زياد، يا من كنت تحمي سيدنا محمداً في وسط الحرب، فما هي روحك تصعد إلى الله ويد النبي صلى الله عليه وسلم تربت عليك وقلبه ولسانه يدعوان لك.. ((اللهم إني أمسيت راضياً عنه فارضَ عنه)).

**اللهم إني
أمسيت
راضياً عنه فارضَ
عنه**

قصة الإيمان هي قصة الحب:

إن الإسلام دين الحب بحق، والحب لله هو حب للبشر؛ أي أن حبك لله ينتهي بك إلى محبتك على الأرض، ومن الأمور المدهشة جداً والمشرقة في السيرة النبوية، وكلها إشراق ونور، أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم لا يجد غضاضةً في استخدام اسمه مقروناً بكلمة الحب، يقول حباً⁽¹⁾ رسول الله، يعني أسامة بن زيد محبوب رسول الله، أو حب رسول الله و ابن حب رسول الله، في جملة مركبة مفعمة بالحب، فيها إعلان عن هذا -الحب، فلم يكن صلى الله عليه وسلم يحب فقط، ولكنه كان يعلن عن هذا الحب، وهذه نقطة بالغة الأهمية، ويبقى السؤال طبيعياً ومنطقياً في المفاضلة بين المحبين، يسألون النبي صلى الله عليه وسلم: من تحبه أكثر؟ أو من تحب؟ وهو سؤال مجازي لرسول الله، هي كلها قصة حب، وكذلك قصة حبه صلى الله عليه وسلم للسيدة عائشة - رضي الله عنها - وهي قصة بالغة الأهمية في جمالها وروعها، فنحن أمام حب، وأمام إعلان عن الحبّ بمنتهى الفخر والوضوح والشفافية المطلقة، ويبقى الحب موزعاً مع الأطراف المختلفة، فلا تملك أن تقول إنه موقف على الزوجة وحدها، فقد أحب مولاه زيد بن حارثة الذي جعله كابنه، وكذلك أحب ابن ابنه، أي أسامة بن زيد.

قصة الحب واردة، قوية، واضحة، ولم تقف هذه الحضارة الإسلامية كلها على قدميها إلا بالحب.

الحب شرط دخول الجنة:

قصة الإيمان، بحذافيرها، بتفاصيلها، بغروعها، بأصولها، بجذورها هي قصة حب.

من لا يحب فلا مكان له في الدين.. تلك هي الحقيقة، فلا أظن أن من لا يحب ولا يعرف الحب يمكن أن يدخل الجنة، فما لم تكن تحب الأنهار الجميلة وشكل الخضرة، ففيم دخولك الجنة؟ لو لم تكن تحب وجوه الحسان، أي الجمال، ففيم دخولك الجنة؟ لا بد أن تكون محباً وتحسّ حتى يدخلك الله الجنة، إذن فالحب شرط دخول الجنة، بل هو شرط الإيمان؛ لأن الجنة هي المكافأة عن

الإيمان، الحب هو الأصل والفصل في الإسلام، وليس في التاريخ الإسلامي قصة حب عظيمة رائعة، مدوية، مشرقة، منيرة، هائلة، كبيرة، راقية، نبيلة، تفوق حب الانصار؛ فقد فعل الأنصار ما لا يفعله إلا المحبون، الكلفون في الحب، الكلفون به.. حب الله، وحب رسول الله الذي أنتج حبهم للمهاجرين، فمنهم من استغنى لهم عن نصف ممتلكاته و منهم من استغنى عن أرضه، و من استغنى عن زوجته الثانية، وعن، وعن... فأعلى صور المحبة على مدار التاريخ رقيًا وسموًا هي محبة الأنصار.

وحدث يوم غزوة أحد أن الصحابي وهبًا المزني كان خارج المدينة، فرجع ليجد المدينة خاليةً والناس يحاربون، أين النبي صلى الله عليه وسلم وأين الصحابة؟ لقد ذهبوا للقتال، فإذا به يجهز نفسه، ويعدو، ليصل إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وقت أن كان خالد بن الوليد يهجم بكتيبته، فإذا بالنبي يقول: من لهم؟ من يدفعهم عنا؟ فيقوم وهب المزني يرجعهم وحده بالسهم، فإذا بكتيبة أخرى تأتي فيقول النبي صلى الله عليه وسلم من يدفعهم عنا؟ فيهب لها سيدنا وهب المزني، بما يضم في نفسه من حب للنبي صلى الله عليه وسلم، وبذله نفسه في سبيل الله ورغبته في نشر رسالة الحب التي أرسلها الله للعالمين؛ رسالة الإسلام، فيخوض ويقاتلهم ويردهم بسيفه، وإذا بكتيبة ثالثة أكبر.. من يدفعهم عنا؟

والصحابه ما بين قتيل وجريح، فيبرز سيدنا وهب المزني ليحارب، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول له: ادفعهم عنا وأبشر بالجنة، فيذهب فيحارب وهو فرحٌ ببشرى النبي صلى الله عليه وسلم، فيتجمعون عليه، فيقتلون، وإن بجسمه لبضعًا وعشرين طعنة، وبعدها انتهت الحرب يقول راوي القصة، وقد حدث للنبي صلى الله عليه وسلم ما حدث من كسر ربايعته، وكسر البيضة أي الخوذة، في وجهه الشريف، يقول الراوي: وإن القيام ليشق عليه، أي إنه ليصعب عليه الوقوف، فإذا به يبحث عن وهب المزني، فيجده وينظر إليه ويكفنه ببردة كانت عليه، لو غطي بها وجهه تكشفت رجلاه ولو غطيت رجلاه تكشفت وجهه، فغطي بها صلى الله عليه وسلم وجهه، فانكشف بعض رجليه، ولكن ما كان ليتركه صلى الله عليه وسلم، فإن يكن قد عبر عن الحب الذي يكنه الله ورسوله، فإن الحب الذي يكنه صلى الله عليه وسلم له أكبر، مع أنه يشق عليه الوقوف وهو في السادسة والخمسين، ولكنه لن يتركه صلى الله عليه وسلم إلا بعد أن يطمئن عليه، وتكون يداه الشريفتان صلى الله عليه وسلم آخر يدين تلمسانه قبل أن يدخل قبره تحت الأرض؛ اليدان المتصلتان بقلب كله حب للعالمين.

وقبل نهاية الحرب يرى الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم، وإنهم ليحبونه حبًا جمًا، قاعدًا على الأرض، وبعض أسنانه مكسور والدم في فمه الشريف وعلى وجهه ولحيته وقد أغرق ملابسه لدخول الحديد في خده الشريف صلى الله عليه وسلم، وأنت تعلم أنك إذا أحببت أحدًا أحببت أن تراه في أحلى صورة، ويكون أسوأ يوم في حياتك أن ترى دمعته أو أن تراه مريضًا، يتوجع أو أن تراه على حالٍ غير التي تود ان يكون عليها فإذا بالصحابه يقولون: يا رسول الله ادع عليهم إننا نعلم من أنت، ونعلم أنك عندما كنت تنظر في السماء دون أن تتكلم، أو تدعو يقول لك ربنا سبحانه وتعالى: ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾ [البقرة: 144] أي فلتنظر فقط يا حبيبي ﴿ فَلَنَوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾ [البقرة: 144] وإذا بالرسول ﷺ يقول للصحابه، وقلبه عامر بما يقول: ((لم أبعث لعائنًا)). أي أنها ليست وظيفتي، إنما بعثت رحمةً وداعيًا، وإذا بأجمل

وأشرف وأنعم وأكرم وسأطيب يدين تمتدان لرب السماء: ((اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون)).
ولسان حاله صلى الله عليه وسلم: غفرانك يا رب، يا من جعلت مقاليد الأمور في يديّ، ولو شئت
لأنزلت العذاب عليهم، وقد كنت تخيرني: إن شئت يا محمد أطبق عليهم الأخشبين.. إنني لأذكرها
يا رب، ولكن غفرانك؛ فإنهم لا يعلمون.. وقد قال صلى الله عليه وسلم: ((اشتد غضب الله على
قوم كسروا البيضة على رأس نبيهم وهو يدعوهم إلى الله)) ولكن الله أوكل إليه الأمر في أن يعذبوا
أو لا، فاستسمحه صلى الله عليه وسلم؛ لأنهم لا يعلمون، لا يعلمون ما يكنه داخله من حب الخير
لهم، ولا يعرفون الله، وفي الأنبياء من دعا على قومه في أقل مما فعلوا، فاستجاب الله لدعائه، إذ
استحقه قومه بما آذوا نبيّه، ولكن دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم أبقى عليهم فدخل في دين الله
أمثال أبي سفيان وخالد ابن الوليد وعمرو بن العاص من ذوي الأسماء الكبيرة في تاريخ الإسلام،
وعشرات الألوف دخلوا في دين الله أفواجًا بعد ذلك؛ بحنان النبي صلى الله عليه وسلم وصبره
عليهم.

فتحوها بالحب :

تخيّل سيدنا محمدًا صلى الله عليه وسلم وهو يجهز أمراء الجيوش، فيقول لهم: ((بشّروا ولا
تنفّروا)) (1)، ((يسّروا ولا تعسّروا))، أيتحدث إلى دعاةٍ بجلايب بيضاء أم إلى مقاتلين أشداء،
فتحوا الدنيا؟ لقد فتحوها بالحب.. أمر هو يا رسول الله، فلا نحارب غير من يحاربوننا؟ سمعًا
وطاعة.. لا تقطعوا شجرة.. لا تهدموا بيتًا، كما نهى صلى الله عليه وسلم عن قتل الطفل الصغير
والمرأة التي لا تحارب والشيخ، فهو لا يحارب، ففيم يكون قتله؟
فلتحارب من يحاربك ولترفع راية الحب، فإن قاتلك أحد؛ فلتدافع عن نفسك، ولتكف عمّن لا
يحاربك.

وما أرحب قلب النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: ((ومن دخل بيته فهو آمن)).
ولا أدري كيف أقول! فإنني أغبط المشركين الذين كانوا في وقت النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنهم
رأوا من النبي ما لا يحيط به الوصف، وتخيّل أنّ من يحاربك يخاف على بيتك وشجرك واكلك
وزوجك وعيالك وابيك الشيخ أكثر منك، وإنها لدعوة لدخولهم في حب الله أفواجًا، وهو ما حدث،
فما إن انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى حتى انتشر الإسلام.
لقد رفع النبي صلى الله عليه وسلم راية الحب في الحرب.. ((من دخل بيته فهو آمن)).. تلك قصة
الحب التي كان النبي يمارسها في الحرب، وسوف نعلم كيف نتعامل بالحب مع غير المسلمين،
وكيف كان تعامله صلى الله عليه وسلم مع غير المسلمين معاملةً أدخلتهم في دين الله أفواجًا، وفي
بلادنا الكثيرون من غير المسلمين، ونحن نريد أن نضبط الحب بيننا وبينهم.

الخلاصة

- لم تكن الحرب هي اختيار سيدنا محمد الأول، بل كان اختياره دائمًا نشر الحب.
- كان النبي أشد الناس بأسًا، هو في المقدمة وكأنه صلى الله عليه وسلم يبلغ أصحابه رسالة حب
للشجاعة أن اجعلوني في الأمام، بحيث أرد عنكم لو كانت الهجمة قوية.
- لو ملك النبي صلى الله عليه وسلم أسيرًا لأكرمه وحماه ورعاه وأطعمه من طعامه، كان أحسن
على الأسرى من أنفسهم.

• رغم ما تعرض له النبي صلى الله عليه وسلم من أذى فإنه لم يدع على المشركين بل كان يدعو لهم.
• لقد رفع النبي صلى الله عليه وسلم راية الحب في الحرب.. ((من دخل بيته فهو آمن)).
* * *

(1) رواه البخاري رقم (10).

(1) والحبُّ: المحبُّوبُ. والجمع: أحابُ، وحبَّانٌ، وحبَّبةٌ. المعجم الوسيط.

(1) رواه البخاري رقم (69).

16- النبي صلى الله عليه وسلم وغير المسلمين

قد وسعت رحمته كل شيء:

المسلمون في الخارج يعيشون في بلاد فيها المسلمون وغير المسلمين الذين لا يعرفون شيئاً عن الإسلام، ولم يقرأ أحدهم عن النبي وسيرته وصحابته. وهم لن يتم لهم ذلك إلا عن طريقك أنت أخي المسلم. ونحن أتباع النبي محمد صلى الله عليه وسلم تصرفاتنا وتعاملنا مع غير المسلمين – مسيحيين كانوا أو غيرهم – تدل على منهجنا الذي أخذناه عن النبي صلى الله عليه وسلم وشريعته التي أمره الله بإبلاغها إلى الناس جميعاً – وأي تصرف منا اتجاه غير المسلم – حباً أو كرهاً – إنما يعبر عن شرع الله وهدى النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

وهؤلاء القوم لن يعرفوا شيئاً عن الإسلام إلا عن طريقنا وعن طريق المحبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهدية الذي تلقاه عن المولى، جل وعلا، وعند النظر إلى معاملة الله لمن كفر به نجد أن الله – سبحانه وتعالى – قد وسعت رحمته كل شيء، المسلم وغير المسلم، ورزقه وعطاؤه يعمان المسلم وغير المسلم ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: 126] فأجاب المولى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا﴾ [البقرة: 126] ولو ظل على كفره ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: 126].

وإليك قصة الرجل (الكافر) الذي نزل ضيقاً على سيدنا إبراهيم عليه السلام فحينما رآه يوقد ناراً ليشوي العجل بادر بالسجود للنار. فما كان من سيدنا إبراهيم عليه السلام أمام هذا المشهد إلا أن طرده ولم يتم إكرامه. فيوحي المولى، سبحانه وتعالى إلى سيدنا إبراهيم: يا إبراهيم: أنا صبرت عليه في ملكي وهو على الكفر ستين سنة، أفلا تصبر عليه يوماً واحداً؟ فما كان من سيدنا إبراهيم إلا أن أسرع بالحق بهذا الكافر وردة إليه وأكرمه وأخبره بما كان من عتاب الله، عز وجل، على تصرفه معه، فما كان من هذا الكافر إلا أن آمن برسالة سيدنا إبراهيم عليه السلام وهي التوحيد وترك السجود لغير الله.

ولا ننسى موقف سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقد كان سبب إسلامه دعوة النبي صلى الله عليه وسلم. اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين: عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام (أبو جهل). فقد كان عمر بن الخطاب قبل إسلامه شديد الكفر شديد البطش بالمسلمين. فهل يا أخي المسلم فكرت يوماً وأنت في صلاتك أو في ليلة يستجاب فيها الدعاء مثل ليلة القدر القريبة أن تقول: يا رب اهد فلاناً غير المسلم، يارب أدخله في الإسلام؟ ولو أنك تحب الله بصدق فأنت تحب كل ما أوجده ربنا: لحكمة يعلمها هو وحده ويجعلها غيره. ومنهم الكافرون. وحبى لهم ليس على إطلاقه فان حاربني الكافر ووقف في طريق دعوتي ورفع علي السيف أحاربه، وحين يقع في الأسر أعامله مثلما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعامل الأسرى فكان أحسن على الأسرى من أنفسهم.

في قصص الأنبياء السابقين حينما كان الكفار يطلبون من نبيهم أن يأتي إليهم بمعجزة من المولى عز وجل وبعد أن يروها ويصروا على الكفر كانوا يؤخذون أخذ عزيز مقتدر. قوم عيسى عليه السلام طلبوا منه أن ينزل الله عليهم مائدة من السماء وأمام إصدارهم هذا ما كان من سيدنا

عيسى إلا أن قال: ﴿اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ۝﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿المائدة: 115، 114﴾.

وفي معجزة الناقة مع سيدنا صالح حينما دعا الله فأنت إليهم الناقة لها شرب ولهم شرب يوم معلوم، فضاقوا بها وعقروها فأخذهم الله بالصيحة بعد أن تمتعوا في دارهم ثلاثة أيام. وقوم النبي محمد صلى الله عليه وسلم طلبوا منه أن يجعل جبل الصفا ذهباً فخيره الله بين أن يحيق بهم ما حاق بالأمم من قبلهم بعد تحقق المعجزة أو أن يفتح لهم باب التوبة إلى يوم القيامة، فما كان من النبي إلا أن اختار لهم باب التوبة مفتوحاً إلى يوم القيامة، وها هو ملك الجبال – حينما اشتد إيذاء المشركين للنبي – يقول للنبي: لو شئت أن أطبق عليهم الأخشبين (جبلان بمكة) لفعلت. فقال له النبي: ((عسى الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله ويوحده ولا يشرك به شيئاً)) (1).

وهذا الذي فعله النبي صلى الله عليه وسلم كان من منطلق الحب الذي استمده من الله بأن جعله رحمة للعالمين ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107] والرحمة هي أساس الحب، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان طاقة متجددة من الحب تمشي على الأرض.

هناك شجرة.. هذه الشجرة استظل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في رحلته إلى الشام التي التقى فيها بالراهب بحيرا - هذه الشجرة موجودة الآن في الصحراء الأردنية في المملكة الأردنية الهاشمية، فذهب بعض العلماء بألة تحسب الطاقة لينقبوا عن بعض الأمور هناك فوجدوا شيئاً غريباً عند هذه الشجرة، وجدوا أن هذه الآلة تشير إلى طاقة عظيمة جداً في هذه الشجرة، وبالبحث وجدوا أنها الشجرة التي استظل تحتها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن طاقة الحب التي كانت في المصطفى صلى الله عليه وسلم أثرت في الشجرة وأثارها باقية إلى الآن، وما زالت مزاراً يُزار إلى الآن في الصحراء الأردنية.

**أشعر برسول
الله صلى الله
عليه وسلم
في طاقة حبه**

هذا مثال حسي، ولكننا لسنا بحاجة إلى هذه الشجرة وقصتها، ومع عدم رؤيتها، نشعر برسول الله صلى الله عليه وسلم في طاقة حبه. لو قرأت السيرة لوجدته خير زوج وخير أب ومعلم وقائد وخير إمام ومفتٍ وعالم ومدرس وخير جار. سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الخلق أجمعين، سيدنا محمد أسر القلوب بطاقة الحب التي علمنا إياها فهو حبيب يحبه الله تعالى ويحبه الخلق أجمعون، بل كل الأكوان تحبه. رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما ترك جذع النخلة الذي كان يخطب عليه إلى المنبر سمع الصحابة للجذع أنيناً، فنزل صلى الله عليه وسلم من على المنبر وضم هذا الجذع إلى صدره وهمس له بكلمات فسكت ودفنه تحت منبره الشريف، وقال له الصحابة - رضوان الله عليهم - ماذا قلت له يا رسول الله؟ قال: قلت له: أترضى أن تكون رفيقي في الجنة؟ فسكت.

طاقة الحب أن أحداً لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وأحبه حتى أبو لهب أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة مولده فحين بلغه الخبر بذلك وبشر به أعتق ثويبة حينما بشرته بمولده

صلى الله عليه وسلم. طاقة الحب حينما أصر أبو لهب على أن يتزوج ولداه السيدتين رقية وأم كلثوم. كان رسول الله جوادًا وكان أجود ما يكون في رمضان، وكان صلى الله عليه وسلم كالريح المرسلة.

عاش عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين وسط الصحابة والكل يعلم أنه منافق، والنبي صلى الله عليه وسلم يعلم أنه منافق وحين عرض عليه بعض الصحابة قتله رفض وقال: ((أخشى أن يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه)) (1). لدرجة أن ابنه عبدالله عرض على النبي أن يقتل أباه بنفسه، فقال له النبي: لا، ولكن نترفق به ونحسن إليه ما بقي معنا.

وعندما حضرته الوفاة طلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يكفنه في قميصه، فإذا بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يخلع قميصه ويكفنه فيه. وحينما يحين وقت الصلاة عليه يقوم سيدنا عمر بن الخطاب ويقف أمام صدر النبي قائلاً: أتصلي على هذا المنافق وقد فعل كذا وكذا؟ خاصة في حادثة الإفك وما كان منه. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر: عني يا عمر. لقد خيرني الله ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: 80] وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لو أعلم أني لوزدت فوق السبعين غفر له لفعلت)). ويصلي عليه النبي صلى الله عليه وسلم. ويقول سيدنا عمر بن الخطاب: عجبت من جرأتي على رسول الله. فنزلت آية: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّا تَأْتِي الْقُبُورَ وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة: 84] نزل القرآن على القلب المحمدي المحب: يا محمد ما دام قد مات وانتقل إلى الآخرة، والآخرة عند ربك للمتقين، وأنت أحسنت إليه حال حياته بما فيه الكفاية فلا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره.

ولو أننا لم نفعل مثل ما فعل النبي صلى الله عليه وسلم مع غير المسلمين لما عرفوا جمال الإسلام وسماحته. ونحن حين نخالف ما فعله النبي مع غير المسلمين نكون قد آذينا الإسلام بسلوكنا غير السديد. في عملنا: فلو أحسنت إلى غير المسلمين وابتسمت في وجوههم فكأنما تقول لهم: إن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم كان إمام المحبين والمحبوبين.

الخلاصة

- عند النظر إلى معاملة ربنا لمن كفر نجد أن الله - سبحانه وتعالى - قد وسعت رحمته كل شيء، المسلم وغير المسلم.
- الرحمة هي أساس الحب، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان طاقة متجددة من الحب تمشي على الأرض.
- لو قرأت السيرة لوجدت النبي صلى الله عليه وسلم خير زوج وخير أب ومعلم وقائد وخير إمام ومفتٍ وعالم ومدرس وخير جار.
- رفض النبي صلى الله عليه وسلم قتل عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين وقال نترفق به ونحسن إليه ما بقي معنا.
- لو أننا لم نفعل مثل ما فعل النبي صلى الله عليه وسلم مع غير المسلمين ما عرفوا جمال الإسلام وسماحته.

(1) رواه البخاري رقم (3075).

(1) رواه البخاري رقم (3348).

17- حب النبي صلى الله عليه وسلم لفاطمة

أم أبيها :

تعالوا بنا ندخل بيت النبي صلى الله عليه وسلم لنقف عند قصة حب بعنوان ((أم أبيها))، وحينما نعرض لكلمة حب إنما يتبادر إلى الذهن مفهوم الحب الضيق الذي يقف عند حب الجنس للجنس الآخر؛ لأننا حصرنا الحب في هذا المفهوم الضيق، لكن الحب الذي نحن بصدد الحديث عنه ربما كان مفتقداً في بعض البيوت التي غاب عنها الحب نظراً للعلاقات المتوترة بين الزوجين والخلاف الذي يدب بينهما لأسباب؛ قصتنا مع بيت امتلاً حباً وملئاً ودّاً هو بيت النبي صلى الله عليه وسلم، وهو حب الأب لأبنائه والأبناء لأبائهم، نجد ذلك واضحاً في بيت النبي الذي لم يعيش فيه الذكور؛ القاسم - وعبدالله - وإبراهيم، ماتوا صغاراً فعاش الحب في هذا البيت مع بنات النبي صلى الله عليه وسلم، وفي هذا البيت المكون من النبي وسيدة نساء العالمين السيدة خديجة، وأربع بنات هن زينب ورقية وأم كلثوم، ثم صاحبة هذه القصة (السيدة فاطمة الزهراء) أم أبيها التي كانت أكثر بناته قرباً منه وملاصقة له وأطول بناته بقاء معه، فكلهن قد متن في حياته إلا فاطمة التي ماتت بعد النبي صلى الله عليه وسلم بستة أشهر، وهي أصغر بنات النبي، أبوها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الموصوف بأنه ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة 128] فما بالكم برأفة ورحمة النبي ببنته التي يحبها أو ببنااته كلهن. بعدما شق صدر النبي صلى الله عليه وسلم مرتين واستخرج منه سيدنا جبريل عليه السلام العلقة السوداء وملأ قلبه حكمة وعلمًا، وكما جاء في الأثر أنه وضع يده على كتف النبي صلى الله عليه وسلم فأحس ببردها بين ثدييه، وتجلى له كل شيء علمه الله إياه.

من الذي رباها؟

رباها الذي وصف تأديب الله إياه بقوله حين سئل؛ من أدبك؟ قال: ((أدبني ربي فأحسن تأديبي)) (1). رباها النبي بما اتصرف به من علم وحكمة ورحمة وجمال وسمو قلب وروعة منطق وحسن حديث، وربتها سيدة نساء العالمين، المرأة الكاملة التي وصفها النبي بأنها كاملة، ربته السيدة خديجة بنت خويلد التي غمرت بحبها النبي صلى الله عليه وسلم وكل من بالبيت النبوي، أحن مخلوق على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، نشأت في هذا البيت المليء بالحب وفي هذا الجو المفعم بالود، ولدت قبل بعثة النبي بخمس سنوات والدنيا هادئة؛ إذ كان التاجر الناجح الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم؛ فمكة كلها تكبره وتجله وتحترمه وتوقره؛ فزوجته السيدة خديجة أغنى امرأة في مكة، سيدة عظيمة صاحبة قرار، وعندما وصلت سن فاطمة إلى خمس سنوات تغير كل شيء وتبدلت الأوضاع إذ بعث النبي صلى الله عليه وسلم نبياً لآخر الزمان داعياً إلى التوحيد محطماً الأوثان والأصنام فتحول الهدوء والاستقرار إلى خوف واضطهاد وعدم استقرار، وهم الدعوة أصبح شغل النبي صلى الله عليه وسلم الشاغل، يخرج حاملاً إياه في الصباح ويرجع مثقلاً به في المساء فقريش تكذبه وتطارده وتؤذيه وتؤلمه، لكنه يجد جنة في البيت تخفف عنه آلام اليوم وتذهب عنه همومه هي السيدة خديجة - رضى الله تعالى عنها - وكل ذلك بمراى من السيدة فاطمة التي لاحظت وشاهدت هذا الحب الذي تفيضه خديجة أمها على رسول الله صلى

الله عليه وسلم. والحب درجات على حسب الأحوال، فأكثر ما تجده في أوقات الشدة واللحظات الصعبة وهذا ما كانت عليه السيدة خديجة - رضي الله عنها. ومعلوم أن الشركات حينما تصاب بمحن أو خسارة مادية فإن القائمين على أمر هذه الشركات يزيدون من ضخ الأموال حتى تتغلب الشركات على المشكلات والصعوبات التي تواجهها للعمل على أن تبعث من جديد وتقف على قدميها مرة ثانية. وكذلك الشراكة البيئية - أقصد شراكة بيت النبوة - عانت ما عانت وقت المقاطعة التي قررتها قريش (مقاطعة بني هاشم و بني عبد المطلب) وإجبار المسلمين على أن يعيشوا في شعب أبي طالب وبيقوا في حصار لمدة ثلاث سنوات، لا يتاجر معهم ولا يؤاكلون ولا يشاربون ولا يتزوج منهم وأن يعيشوا في صحراء جرداء لا زرع فيها ولا ماء، يتقاسمون قليل الماء ويعانون من ضيق العيش وسوء المأوى حتى أكلوا أوراق الشجر وجلود الحيوانات.

النبى صلى الله عليه وسلم وزوجه وبناته في شعب أبي

طالب :

وتشاهد السيدة فاطمة أمها الغنية صاحبة القرار إلى جنب النبى نور حياتها إلى أن ينجلي الكرب وتنزاح الشدة وتمر الأزمة، وشاهدت أمها واقفة إلى جانب النبى صلى الله عليه وسلم تخفف عنه وتشد من أزره وتقوي من عزيمته فيبثها أحزانه و يكشف لها عن همومه، فيجد عندها كل عون ونصرة. وتمضى سنوات المقاطعة الثلاث فيعانى فيها البيت المحمدي ما يعانى.

موت خديجة - رضي الله عنها - :

عانت الأم ما عانت، فتأثرت بهذه المقاطعة فما كادوا يخرجون من الشعب وتنقضي فترة المقاطعة حتى نقص البيت واحداً من أعمدته الركينة، فاختمت من حياة النبى أجمل مخلوق وأقوى عون للنبى صلى الله عليه وسلم وأول من أسلم على يديه وسجد معه، اختفت خديجة زوجة النبى صلى الله عليه وسلم بموتها ولكن الله كان أحن على النبى من أي أحد؛ فإذا كانت خديجة قد ارتقت إلى قصرها في الجنة، الذي بشرت بأنه قصر من قصب لا صخب فيه ولا نصب، لكن الله - تعالى - قد أبقى إلى جواره ابنته التي ستأخذ لقب ((أم أبيها)) لأنها مصدر الحنان ومكملة المسيرة والماشية على خطى أمها في إسعاد قلب النبى صلى الله عليه وسلم.

فضضة النبى صلى الله عليه وسلم لفاطمة الزهراء

(ابنته) :

بعد أن فاضت روح السيدة خديجة إلى بارئها وجد النبى صدر الابنة الحنون يبثه همومه. وتتزوج زينب وتذهب إلى بيتها وتبقى فاطمة ورقية وأم كلثوم مع النبى صلى الله عليه وسلم، لكن أقربهن إلى النبى صلى الله عليه وسلم كانت فاطمة التي لازمتها. و ذات مرة ذهب النبى صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الحرام ليصلي ويسجد عند الكعبة فتراه السيدة فاطمة من بعيد وقد أطال السجدة (والتي وصفت السيدة عائشة قدرها بأنها قدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية) وقد امتلأ ظهره صلى الله عليه وسلم دمًا من أمعاء جمل ميت منتفخ.

فعلة عقبة بن أبي معيط:

كان عدو الإسلام عقبة بن أبي معيط هو الذي ألقى بأمعاء الجمل الميت على ظهر النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساجد وكان ذلك على حسب اتفاقه مع كفار مكة أن يضحكهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وإذا بفاطمة تنطلق كالسهم من غير تفكير فترفع القاذورات والأوساخ والدماء التي ألقاها الشقي على ظهر النبي صلى الله عليه وسلم والتي يتعفف. عن لمسها أو شمها أو الاقتراب منها لقذارتها وعفونتها وثقلها، فظل النبي ساجدًا لتقل ما ألقى على ظهره ولأنه لو رفعه ربما لوث وجهه الشريف ولحيته الطاهرة، وإذا بمن ترفع ذلك عنه ويراهها أمام عينيه؛ ابنته الحبيبة ويدها ملوثتان بالدماء، وملطختان بهذه القاذورات فيرى الحب في عينها والذي كان يشاهده كثيرًا في أوقات الشدة في عيني زوجته السيدة خديجة، رضى الله عنها.

أكانت فاطمة تقول لماذا يحدث مع أبي كل هذا وهو أحب الناس إلى الله؟ يا رب، أبي بدلاً من الناس؟ لماذا تركتهم يفعلون به هذه الأفاعيل؟ ما قالت فاطمة شيئاً من ذلك، لأنها تعلمت أن الذي يحدث مع أبيها إنما هو لحكمة أرادها الله وشيء يريد به لبعض الناس، أن يفهموا مدى صبر النبي على أذى هؤلاء الكفار، ورغبته - رغم ما فعلوه - في هدايتهم ورغبته في أن يهديهم الله، عز وجل، و كانت تفهم أن ذلك لرفع قدر النبي علو شأنه وتربية الناس على حب سيد المحبين والمحبوبين، وليبيان مدى حب فاطمة الزهراء - رضى الله عنها - لأبيها صلوات الله وسلامه عليه.

حسن فهم فاطمة لهذه الابتلاءات:

كانت تقول للنبي صلى الله عليه وسلم: اصبر يا أبي فسيرفع الله قدرك ويعلي مقامك، اصبر فأنت النبي صلى الله عليه وسلم، فلا عجب أن يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((فاطمة بضعة مني (أي قطعة مني) يرييني ما رابها ويؤذيني ما آذاها ويرضييني ما يرضيها)) (1). وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم الأمة أن الحب يولد لو كان البيت مستقرًا هادئًا.

الحب يولد الحب

اسمحوا لي أن أدخلكم داخل بيتي، فأولادي صغار، يا ترى عندما يرتفع صوتي هل سيصبحون مثلي، عيالي هم الذين يربونني، فلا بد أن يغمر البيت الحب ويشمله العطاء لأجل أن ينشأ الأولد على هذا الحب؛ فالحب ليس كلامًا يقال ولكنه عطاء وحنان وصبر وتسامح وهذا ما شاهده السيدة فاطمة من أبيها النبي تجاه أمها السيدة خديجة سيدة نساء العالمين ومن أمها تجاه أبيها النبي فنشأت في بيت كله حب في حب، الحب يولد الحب وهذا ما نطلبه من آبائنا ومن الشباب أحبائنا الذين سينشئون بيوتًا في المستقبل ينبغي أن تكون حبًا في حب لأجل أن ينتقل الحب من جيل إلى جيل كما انتقل إلينا من سيد المحبوبين والمحبين. فوصلتنا سنته وأفعاله التي كلها حب فعليك أن تنتقله لأولادك وبناتك.

خطبة فاطمة الزهراء - رضى الله عنها - :

ويقدم العروس الجميل الذي تربى على يد النبي صلى الله عليه وسلم والذي كان قريب السن من السيدة فاطمة، ليس بغني ولكنه فقير يحمل قلب أمير، إنه علي بن أبي طالب الذي ألق فراشه ونام في ليلة عصبية؛ يوم هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ولم يهب الموقف ولم يخش الموت إذ جمعت القبائل من كل قبيلة فتى شابًا جلدًا ليقتلوا النبي صلى الله عليه وسلم فيتفرق دمه

في القبائل إذا قتلوه قتلة رجل واحد. ونام مكانه ليؤدي الأمانات إلى أصحابها بعد هجرة النبي إلى المدينة المنورة فيلق ليلة، وينعم بعد ذلك لسنين طويلة بزواجه من فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين.

اختيار علي لفاطمة وخطبته لها:

عروسها تربي في بيت النبوة، ربه النبي صلى الله عليه وسلم وخديجة - رضى الله عنها - لاحظته النبي صلى الله عليه وسلم عن قرب فاختره لابنته لأنه يستحقها حتى ولو كان فقيرًا لكن قلبه مليء بالإيمان ومستقبله مشرق؛ فهو تربية بيت النبوة ويتقدم علي لفاطمة طالبًا يدها من رسول الله صلى الله عليه وسلم في موقف من أعز المواقف عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ونسأل الله أن يرينا في الجنة موقفًا كهذا الذي وقفه علي بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم خاطبًا ابنته فاطمة الزهراء.

مهر فاطمة الزهراء:

أتعلم أخي ما هو مهر فاطمة؟ إنه 480 درهمًا ثمن درع علي الذي باعه ليمهرها وهو مهر يسير وقليل لكنه يثقله ويكثره أنه من علي بن أبي طالب الذي تربي مع فاطمة في بيت واحد وعلى يد أمها وأبيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ابتاع بنصف المهر روائح وعلطورًا للسيدة فاطمة وابتاعت بعض الحاجات بالنصف الآخر.

جهاز فاطمة:

تكون الجهاز من: سرير من فرو الخراف، وقيل مرتبة من الليف، ومخدة محشوة من الليف، وقربة لشرب المياه، ومنخل لنخل الدقيق بعد طحنه، ورحى لطحن القمح والشعير.. وغيرهما، وقدح مثل طبق اليوم، وجرابين، الجراب مثل الثلاجة الآن ليعلق عليهما الطعام، وكوز لشرب الماء.

هذا هو جهاز بنت بشير الحق وسيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم، سيدة نساء العالمين.

فرحة المدينة بهذا الزواج:

فرحت المدينة كلها بهذا الزواج الذي تم في البيت النبوي؛ زواج علي بفاطمة، فقام حمزة سيد الشهداء وعم النبي صلى الله عليه وسلم بذبح الجمال التي أولم بها في هذا العرس، واستقبل الرسول المهنئين بهذا العرس من كل مكان في المدينة، وبعد توديعهم ذهب إلى العروسين مهنيًا.

أثم أخي؟

يطرق الباب صلى الله عليه وسلم ثم يقول: أئنم أخي؟ أي أهنا أخي؟ إنه يسأل عن علي زوج ابنته بقوله: أئنم أخي؟ والأخ لابد أن يكرم بنت أخيه، وابنته لا بد أن تكرمه في أخيه، فليكن في فكرهما دائمًا وهو أبوها وابن عم زوجها، وهو منه بمنزلة الأخ حتى تظل العلاقة بينهما وطيدة وقوية لا يمكن أن تنال منها الأعاصير. ثم يحضر النبي صلى الله عليه وسلم إناء به ماء ويضع يده في الإناء ويباركه ويسمي الله تعالى عليه ويكثر من ذكر اسم الله تعالى، ثم يمسح بالماء وجهه علي وصدرة (محل قلبه) كي يبارك الله لهما (يهدي سرهما)، ثم ينادي فاطمة ولشدة حيائها تتعثر في مشيتها، فيمسح وجهها ويضع عليها بعضًا من الماء المبارك ويقول لها: يا فاطمة يا بنتي إنني لم

ألوك - أي لم أقصر في حقك - أن أنكحك أحب أهلي إليّ ثم يقول لعلي: يا علي، فاطمة بضعة (قطعة) مني، يوصيهما بأن يتحابا في الله.

وتبدأ سنوات الحب في بيت الحب، هذا البيت الصغير الذي خرج من البيت النبوي الكبير.

إنشاء جمعية للتزويج:

أذكر أن صديقي عمرو مهران وهو شاب عمره 27 سنة يعمل مديرًا للمبيعات في إحدى الشركات منذ أكثر من ثماني سنوات وكان يحضر درسًا للشيخ تحدث فيه عن حديث في صحيح البخاري تناول فيه بعضًا من إنفاق النبي صلى الله عليه وسلم وأنه كان كالريح المرسلة، كما تحدث عن سيدنا عمر بن عبد العزيز وأنه كان يزوج الشباب. يقول عمرو: نظرًا لأهمية هذا الموضوع فإنه لاقى نجاحًا وقبولًا شديدًا جدًّا في قلبي وفكري، فأعجبتني الفكرة وانبهرت بها رغبة في مساعدة الفقراء على الزواج، فالزواج مجهد متعب للأغنياء، فما بالكم بالفقراء المحتاجين إلى تقديم يد العون لهم في كل أمر من الأمور الحياتية سيطر الموضوع على كياني، وحين ذهبت إلى الجامعة عرضت الفكرة على زملائي الشباب فتحمسوا لذلك، وتحمس كذلك للفكرة زميلتان، واتفقنا على أن نبدأ التنفيذ بجمع عشرة جنيهات كل شهر.

بث الحب في القلوب:

نعود إلى فاطمة وعلي رضي الله عنهما وتمضي الأيام وتمر الشهور على العروسين اللذين ربيا في بيت النبوة، وستنقل العروس إلى بيت جديد، أفنتذكر كيف كان يعاملها أبوها؟ أتذكر كيف كان يقوم لها عندما تدخل عليه، ويقول: مرحبًا يا بنتي. ويقبلها بين عينيه، بث للحب كل الـ 24 ساعة فكيف يكون قلب النبي من قلوب الناس، وهذه ابنته، حبيبته، فما أخبارها في بيتها الجديد وقد انتقلت إلى بيت إنسان يحبها ويحب النبي صلى الله عليه وسلم.

وجع يديها وصدرها من العمل البيتي:

وتمر الأيام فتجهد فاطمة في خدمة البيت وكدًا وتوجعها يداها من أثر الطحن على الرحي كما يوجعها صدرها من أثر الدخان أثناء الخبز لعودها أمام الفرن.

رغبتها في خادم للمساعدة:

طلب منها علي - رضي الله تعالى عنهما - أن تذهب إلى أبيها لتطلب خادمًا من الغنائم التي وصلت إليه، لكنها تذهب إليه، فيرحب بها وقبلها بين عينيه ويستفسر عن مطلبها، فتقول: إنما جئت للسلام عليك. ويقول لها وعليك السلام. ثم تخجل أن تطلب الخادم من أبيها، فتلقي عليًا فيسألها: لم لم تطلبي منه، أرفض طلبك؟ فتقول: أنا استحييت أن أقول لأبي؛ رأيتُه مشغولًا وحوله الفقراء يوزع عليهم الغنائم فاستحييت، فاطلب منه أنت.

اعتذار عن تلبية الرغبة:

بعد أن أبدى الرغبة في الخادم اعتذر الرسول صلى الله عليه وسلم عن تلبية المطلب وتحقيق الرغبة بطريقة غاية اللطف وحسن التأني للأمر فقال: لا أريد أن أعطيكما وأدع أهل الصفة (الفقراء المجاورين للنبي صلى الله عليه وسلم) الذي تتلوى بطونهم من الجوع، ولكن أبيع وأنفق عليهم⁽¹⁾، ولو أعطيتك خادمًا من الغنائم فإني محتاج لبيع نصيبي من أجل هؤلاء الفقراء الذين لا يجدون ما يأكلون.

وكانه يقول لها: إنني المسئول عنهم، وأنا أحبك لكني لا أستطيع تلبية رغبتك فيعودان إلى بيتهما.

الترغيب فيما هو خير من الخادم:

وبعد عودتهما إلى البيت واستعدادهما للنوم لدخول وقته؛ إذا بالباب يطرق، والطارق هو النبي صلى الله عليه وسلم الذي جاء في أثرهما ليدلها على ما هو خير لهما ثم يقول لهما: ((ألا أدلكما على خير مما سألتماه؟)) وكانه لا يريد أن يكسر خاطرهما بل تحقيق الرغبة بهذا الذي هو خير لهما.

قال: ((إذا أويتما إلى فراشكما فسبحا الله ثلاثاً وثلاثين، واحمداً الله ثلاثاً وثلاثين، وكبراً الله أربعاً وثلاثين، ذلكما خير لكما من خادم)) (2).

خير لكما من خادم

ذكر الله هذا ليبقى المؤمن قوياً ويعينه على متاعب الحياة، وهذا يجعلنا حينما نفتقد أسباب المساعدة نلجأ إلى الدعاء الذي يقوينا ويعيننا على متاعب الحياة، حينما نفتقد القدرة على مواجهة أعبائها ومتاعبها فلنستعن على ذلك بالأذكار.

شدة حرص فاطمة على أبيها:

وتمر الأيام على العروسين إلى أن يحين أوان غزوة أحد ويصاب النبي صلى الله عليه وسلم في أسنانه وتكسر رباعيته وتدخل حلقات خوذة المغفر في وجهه الشريف ويجلس النبي على الأرض يجتمع الصحابة حوله لينزعوا الحديد من وجهه الشريف صلى الله عليه وسلم وإذا بوجهه ينزف دمًا وإذا بالسهم ينطلق، وإذا بفاطمة تنطلق كالسهم في وسط الحرب التي جمع لها أعداء الإسلام ثلاثة آلاف مقاتل ضد مئات من الصحابة، وسط ذلك كله كان يطبب النبي صلى الله عليه وسلم فما الذي أتى بفاطمة في هذا الجو؟ إنه الحب لأبيها الذي جعلها تظهر في الحرب أو في السلم أو في أي موقف صعب على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ظهرت يوم الاعتداء عليه بإلقاء كرش البعير المذبوح وهو ساجد أمام الكعبة، إنها حبيبة أبيها وأم أبيها كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يلقبها بذلك.

غضب فاطمة من علي - رضى الله عنهما:

تعالوا بنا نرجع إلى البيت الصغير لنعلم أنه كأي بيت يمكن أن يحدث فيه خلاف، حتى تقول فاطمة لعلي: أنا سأذهب لأشكوك إلى أبي، وكأنها تقول له: أبي هو النبي صلى الله عليه وسلم، لن أشكو إلى أي أحد، بل سأشكوك إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فيسبقها علي ليمنعها، لكنها تدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فتشكو إليه، فقول لها: ((يا فاطمة إنه لا يحق للرجل أو ليس للرجل سلطان على زوجته إذا أطاعته)) (كلام مناسب للثنتين) أي أنه ليس من حق الرجل أن يغضب زوجته إذا كانت تسمع كلامه، وكانه يقول لعلي: إذا لم تخالف كلامك فكيف تغضبها؟ ويوصيها بسماع كلامه لأجل ألا يغضب، وكأنه يعرفهما بالحقوق والواجبات تجاه بعضهما فلا يغضبها. وهذا هو السور الذي يحمي البيت ويحمي الحب، فما لم تقصر فلا يغضبها.

أين ابن عمك؟

يطرق النبي صلى الله عليه وسلم بيتهما ذات يوم، فتفتح له السيدة فاطمة الزهراء، فيقول لها: أين ابن عمك؟ وكأنه يقول لها: على ليس زوجك فقط لكنه قريبنا فهو ابن عمك، فتبلغه أنه قد غضب منها، فلم يقل عندها، تعني لم ينم القيلولة التي هي وقت نوم ما بين الظهر والعصر، لم ينم في البيت اليوم فيبحث عنه النبي صلى الله عليه وسلم حتى يجده نائمًا في المسجد النبوي وثوبه أو قميصه على الأرض وجسمه مترب، فيضرب على جسده بخفة ويقول له: ((قم يا أبا تراب، قم يا أبا تراب))⁽¹⁾، ويوقظه ويقول له: يا أبا تراب، فصارت كنية لعلي - رضي الله تعالى عنه - فالناس جميعًا مخلوقون من التراب والتراب مصدر البركة.

زيارة فاطمة للنبي صلى الله عليه وسلم في مرض الموت:

وتمضي السنون فتذهب فاطمة للسؤال عن أبيها، فتجده في بيت عائشة وهو في شدة التعب، وتدخل عليه فلا يستطيع أن يقوم لعا كما كان يفعل لكونه في مرض الموت، ثم يناديها لتقترب منه، فيسر إليها شيئًا فتبكي، ثم يسر إليها شيئًا آخر فتضحك، فسئلت عن ذلك فيما بعد فقالت: أخبرني أنه قريبًا سيلحق بالرفيق الأعلى، فبكيته، ثم أخبرني أنني أقرب أهله لحوقًا به وأني سيدة نساء العالمين ففرحت؛ لأنه لو فرق بيننا الموت فساكون أقرب أهله لحوقًا به.

تألم فاطمة لمرض أبيها ثم لموته:

تألمت أولًا لمرضه لافتقادها حفاوته بها وتقيله إياها بين عينيها، ثم تألمت ثانيًا لموته والتحاقه بالرفيق الأعلى، وراحت تقول:

**وا كرب أبتاه، أجاب ربًا دعاه
وا كرب أبتاه، إلى جنة الفردوس مأواه
وا كرب أبتاه، إلى جبريل نعاها**

نعزي جبريل الذي لن ينزل ثانية بعد النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يدفن النبي صلى الله عليه وسلم فتقول لأنس رضي الله عنه: أطابت نفوسكم أن تحثوا التراب على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ (كيف استطعتم وقدرتم أن تدفنوا النبي صلى الله عليه وسلم؟).

حزنها على أبيها:

وما إن مرت الشهور الستة حتى ذاب جسمها ونحل بدنها، نوبان المحب المتفجع على فقد حبيبه، وفي 30 رمضان سنة 11 هـ تنتقل روحها الشريفة إلى جوار روح أبيها رسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم وتموت السيدة فاطمة الزهراء - رضي الله عنها - بعد أبيها بستة أشهر فتكون أول أهله لحوقًا به.

الخلاصة

- السيدة فاطمة الزهراء أم أبيها التي كانت أكثر بناته قربا له وأطول بناته بقاء معه.
- رباها النبي صلى الله عليه وسلم بما اتصف به من علم وحكمة ورحمة وجمال وسمو قلب وروعة منطق وحسن حديث.
- ربته سيدة نساء العالمين، المرأة الكاملة التي وصفها النبي بأنها كاملة.
- ربته السيدة خديجة بنت خويلد التي غمرت بحبها النبي صلى الله عليه وسلم وكل من بالبيت النبوي.

- بعد أن فاضت روح السيدة خديجة إلى بارئها وجد النبي صدر الابنة الحنون بيثه همومه.
- كانت فاطمة تواسي أباه صلى الله عليه وسلم وتقول له اصبر يا أبي فسيرفع الله قدرك ويعلي مقامك.
- تزوج علي ابن أبي طالب فاطمة الزهراء وفرحت المدينة كلها بزواجها ووصى النبي صلى الله عليه وسلم كلا منهما على الآخر.
- ذكر **الله** يعيننا على متاعب الحياة ويقوينا ويعطينا القدرة على مواجهة الصعاب.
- تألمت أولاً لمرضه لافتقاده حفاوته وتقبيله إياها بين عينيها، ثم تألمت ثانيًا لموته والتحاقه بالرفيق الأعلى.
- وما إن مرت الشهور الستة حتى انتقلت روحها الشريفة إلى جوار روح أبيها النبي صلى الله عليه وسلم فتكون أول أهله لحوقًا به.

* * *

- (1) الجامع الصغير رقم (310).
- (1) رواه البخاري رقم (4588)
- (1) مسند أحمد رقم (596)
- (2) رواه البخاري رقم (2962)
- (1) مسند أحمد رقم (18320)

18- حب النبي صلى الله عليه وسلم لبناته

رمضان شهر العبادات والطاعات، ولا بد للمسلم من نبيدا هذه العبادات والطاعات في هذا الشهر الكريم بنية الاستمرار فيها بعد انقضائه؛ فيواصل قيام الليل، ويستمر في قراءة القرآن، وفي ذكر الله - عز وجل - .

ولنتفق جميعاً أن كلَّ مسلم منا سيتخذ خطوة يتقرب بها إلى الله - عزَّ وجلَّ - فقد يبدأ أحدنا بأداء الفروض بانتظام، ثم يتخذ إلى جوارها خطوة أخرى، وهى أداء السنن، وقد يبدأ أحدنا في قيام الليل بركعتين كل أسبوع أو كل يوم على قدر استطاعته، وبعد فترة يزيد من الركعتين ويزيد من معدله.

وإذا شعر أحدنا في شهر رمضان أنه بدأ يتفقت منه سريعاً، فليغتتم العشر الأواخر منه، وليبدأ العبادة فيها وكأنها أول يوم في هذا الشهر الكريم، ولتكن هذه الخطوة بنية الاستمرار فيما بعد رمضان.

والأصل في رمضان الاستقامة، والتي هى أعظم كرامة، وليس الهدف من رمضان أن نؤدي هذه العبادات المباركة في نفس هذا الموسم من العام، ولكن الهدف التعود على حياة القرب من الله - عزَّ وجلَّ - فكل واحد منا سيأخذ خطوة يتقرب بها إلى الله، عزَّ وجلَّ، وبعد رمضان يأخذ خطوة أخرى، وهكذا، وهذا هو دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، كان يحب الاستزادة من الدين، والزيادة من الدين تزيد من الثبات، وأحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم.

قد يشعر البعض منا أنه عندما بدأ يحب أحس أن الدنيا كلها تضحك له، والمرء عندما يحب شيئاً ما سيراه بعين الحب فقط، ونتذكر جميعاً قول الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه: 39] والله المثل الأعلى. وإذا أردنا أن ندخل الحب فلا بد من الدخول من بوابته الكبرى وهى بوابة حب النبي صلى الله عليه وسلم، وعندما يحب المرء النبي فإنه يجد نفسه يقلده في كل شيء، والمتأمل لحياة النبي صلى الله عليه وسلم يجد أنه عاش أجمل قصة حب مع كل من حوله، ومع كل ما حوله، وإذا أحببنا النبي صلى الله عليه وسلم فإننا سنتأثر به، وسنرى الدنيا كلها بعينيه صلى الله عليه وسلم عيني الحب.

أحب كل شيء
بعين حب النبي
صلى الله عليه
وسلم

وقد لا يشعر بعض الناس بالحب، فيقول: لا أشعر بالحب في بيتنا، وقد يقول البعض الآخر: قلبي يمتلئ بحب النبي صلى الله عليه وسلم ولكن أتمنى أن أتغير من داخلي، ولكن الجو المحيط لا يساعد على هذا التغيير، ودائماً أكون عصبياً ولا أدري ماذا أفعل؟!!

وأقول لهؤلاء: كُنْ أنت الحب، واعلم أن الظروف لا تتيسر دائماً لعمل الخير، والنبي في بداية أمره كان في ظروف لا تساعد على نشر رسالة الحب، ولكنه بعد فترة - ليست بالطويلة - أصبح حُباً يسير على الأرض في وسط الناس، وأصبح يُصَدَّر هذا الحب لكل من حوله، ويبثه في قلوب

المحيطين به؛ وبالتالي بدأ كل مَنْ حول النبي صلى الله عليه وسلم يحب. فعلينا الصبر جميعاً، وسيساعدنا **الله** - عز وجل - لأننا سننشر حب النبي في أوساط الناس جميعاً؛ فإذا كانت علاقتي بوالديّ على غير ما يرام، فعلىّ أن أشعر بالندم وأتمنى التخلص من ذلك، ولنجعل من أنفسنا أصحاب رسالات سامية، ولنحاول جاهدين ملء طاقة الحب بداخلنا؛ فإذا امتلأت فاضت على كل مَنْ حولنا.

وهدية المسلم للنبي صلى الله عليه وسلم في اتباعه لأوامر **الله** - عزّ وجلّ - واتباع سنته صلى الله عليه وسلم فلا شك أن كل حرف نقرؤه من القرآن الكريم هو - في حد ذاته - هدية للنبي صلى الله عليه وسلم فالنبي هو المعلم والمربي والقائد والداال على كل خير؛ وقد حُرّمنا رؤيته في الدنيا والصلاة معه، ولم نشتك له أيّاً من همومنا، ولكنه صلى الله عليه وسلم يعيش في قلوبنا ونهديه كلّ ثواب نحصل عليه؛ لأنه صلى الله عليه وسلم ربّانا على حب **الله**، وحُبّ القرآن الكريم؛ ونحن بدورنا من شدة حبنا للنبي صلى الله عليه وسلم أحببنا كلّ عين رآته، وكل شيء رآه هو صلى الله عليه وسلم، فالرسول هو رسول الحُبّ الذي علّم الكلّ الحُبّ.

الحب في بيت النبي صلى الله عليه وسلم (بيت خديجة):

تعلمنا كيف كان الحب الأبوي في قلب النبي صلى الله عليه وسلم تجاه ابنته السيدة فاطمة والتي كان لها النصيب الأوفر في كتب السيرة لقربها الشديد من أبيها صلى الله عليه وسلم، فقد عاشت معه حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى، وماتت بعده بستة أشهر فقط، أما بقية بناته فقد توفين في حياته صلى الله عليه وسلم. وقد روت كتب السيرة هذه العلاقة الحميمة بين النبي وابنته السيدة فاطمة، وليس معنى ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن عادلاً في حبه بناته جميعاً. وإذا كان أي إنسان طبيعي عادلاً مع أولاده، فما بالنابا بالقلب المحمديّ المُحبّ!.

كانت أسرة النبي مكونة من ستة، وهنا نتكلم عن أسرة النبي مع السيدة خديجة فقط، ولا نقصد هنا إبراهيم ابن النبي من السيدة مارية المصرية الذي وُلد بعد سنوات من وفاة السيدة خديجة، ولا بقية زوجاته صلى الله عليه وسلم ولكن نتكلم عن أسرته في بيت السيدة خديجة، فقد كانوا ستة هم: القاسم، وعبد **الله**، وزينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة، وقد سبق لنا الحديث عن فاطمة باستفاضة.

وفي البداية نريد التعرف على حال البيت من داخله، وهذا البيت الذي سنبدأ الحديث عنه بذكر محنة، وهي محنة موت الولدين الصغيرين، وهذا بلا شك، له حكمة عند رب العالمين؛ فأولاد النبي الذكور لم يعيش منهم أحد، والحقيقة أن الأب عندما يموت أولاده الذكور يكون محتاجاً للحب والحنان من بقية أسرته، ولكن في بيت النبي كان مصدر الحب والحنان هو النبي صلى الله عليه وسلم، فهو الطاقة الكبرى للحب، وأحوج ما كان إلى الحنان بسبب موت أولاده، كان هو الذي يحن على زوجه السيدة خديجة وبناته حتى إنها كانت تستشعر ذلك حتى جاء في حديثها إليه: ((يا رسول الله إنك تصل الرحم، وتقري الضيف، وتحمل الكلّ، وتعين على نوائب الدهر)) (١). يعني أنك تقف إلى جانب كل مبتلى بمصيبة، ولو تخلى الجميع عنك.

زواج بنات النبي صلى الله عليه وسلم:

وتكبر بنات النبي صلى الله عليه وسلم زينب، ورقية، وأم كلثوم، ويُصبحن في سنّ الزواج، ويبدأ الحُطّاب في التقدم لهنّ للزواج منهن. ويتقدم لزينب الكبرى ابن خالتها أبو العاص بن الربيع،

وكان يحبها وستحدث بعد قليل عن قصة الحب الرائعة هذه التي كان يديرها النبي صلى الله عليه وسلم. وعندما يتقدم أبو العاص بن الربيع لزینب يذهب النبي إليها ويقول: ((أبي بُنَيَّتِي إِنْ ابْنِ خَالَتِكَ جَاءَ لَخَطْبَتِكَ)) فتسكت إعلاناً للقبول، وتتم الزيجة الجميلة، وتفرح مكة كلها بزواج بنت الحسب والنسب وبنت التاجر الكبير، الصادق الأمين، وابنة أعظم امرأة في قريش وأغناهم وأكثرهم تأثيراً في قريش السيدة خديجة بنت خويلد.

ويبدأ الخُطاب في التوافد على أعظم وأجمل وأحب بيت، فالبنات فيه قد رُئِين في بيت الحب على يد النبي والسيدة خديجة زوجه سيدة نساء العالمين، ويتقدم خاطبان لابنتيه رقيه وأم كلثوم، وذلك قبل البعثة المحمدية، وهما عتبة وعتيبة ابنا أبي لهب عم النبي.

وفي هذا الوقت لم يكن هناك أية مشاكل بين أبي لهب وامراته أم جميل من جانب وبين النبي من جانب آخر، فالنبي لم يُبعث بعد، والنبي يعرف حسب ونسب الخاطبين جيداً، ولم تكن بينه وبين أحد من أقاربه خلافات، والكل يحترم ويقدر محمد بن عبد الله (التاجر الأمين الصدوق).

ويعقد القرآن قبل أن يتم البناء ويحدث أعظم موقف في الدنيا والآخرة، وهو عودة النبي صلى الله عليه وسلم - وكان يتعبد في غار حراء - وفؤاده يرجف، وقد خشى على نفسه، والقصة باختصار أن النبي كان معتاد التعبد في غار حراء الليالي ذوات العدد، وقد رجع في إحدى الليالي وهو يرتجف ويقول لزوجته خديجة: ((زَمَلُونِي دَثْرُونِي)) (1) لقد تحوّل من محمد (التاجر الصادق الأمين) إلى محمد (رسول الله صلى الله عليه وسلم) وتبدأ بعثة النبي وزینب متزوجة من أبي العاص بن الربيع، ورقية وأم كلثوم متزوجتان من عتبة وعتيبة، وفاطمة في الخامسة عشر من عمرها، وكان النبي محبوباً من كل الناس وكذلك بيته، وعندما يعلن النبي دعوته. ((إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ)) [هود: 2]، وأنه نبي آخر الزمان؛ ويدعو إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام حينئذ يبدأ الإيذاء للنبي صلى الله عليه وسلم ودعوته، وإذا بالحال يتغير، وتصبح قلة هي التي تنصر النبي وتدعمه، بعدما كان الكثيرون يحبونه، ولكن حدث للنبي أعظم وأسرع تغير، فبعد أن أعلن دعوته جاء أبو لهب ثائراً وقال له: تَبّاً لَكَ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ وينزل القرآن: ((تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ [المسد: 1 - 5]، وإذا بأبي لهب يتوعد، وأم جميل تكيد للنبي، ويقرران الإيعاز لولديهما عتبه وعتيبة بتطليق رقيه وأم كلثوم بنتي النبي صلى الله عليه وسلم، من أجل صرف النبي عن دعوته وإغضابه صلى الله عليه وسلم، وكان هذا الطلاق رحمة من الله - عزَّ وجلَّ - فكثير من المواقف الغريبة تحدث للمرء ثم يكون الخير في حدوثها، ونحمد الله على طلاقهما، فلنا أن نتخيل حجم الصراع الذي كان يمكن أن يحدث بين النبي من جانب وأبي لهب وأم جميل من جانب آخر. فأبو لهب وزوجته كافران يحاربان النبي صلى الله عليه وسلم، وابنتا النبي رقيه وأم كلثوم زوجتان لعتبة وعتيبة ابني أبي لهب وما يمكن أن يخلفه هذا الصراع في نفس رقيه وأم كلثوم أينحازان إلى الوالد الأب الحنون، أم ينحازان إلى زَوْجِيهِمَا. وجاء الطلاق لإنهاء هذا الصراع، وعادت البنات إلى بيت الحب والحنان.

وهذه رسالة لبنات كثيرات يمكن أن تضحي الواحدة منهن بحب الأب والأم من أجل حب شاب، وغالبًا ما يكون هذا الحب بدون علاقة رسمية. ويحن الأب والأم على البنت التي حوّلت حبّها كله

إلى هذا الشاب. ولا شك أن هناك تفصيلاً من الأب والأم، فلو بذل الأب والأم قدرًا كبيرًا من الحب ما استغنت هذه البنت عن والديها أبدًا وما نسيت هذا الحب الذي دام أيامًا وشهورًا وسنين. إذن طُلِّقت رقية وأم كلثوم. أما بالنسبة للسيدة زينب - رضي الله عنها - فقد عاشت قصة حبٍ كبيرة جدًا مع زوجها (أبو العاص بن الربيع). وقد عرض كفار مكة عليه أن يطلقها، ولكنه أبى: وألحوا عليه ليزوجه أعظم وأجمل وأغنى بنت في مكة. فتمسك بها. وعندما عرضت عليه زينب الإسلام؛ فوجئت برفضه قائلاً: إن أباك ليس عندي بمتهم، ولكني أخشى أن يتحدث الناس أنني فارقت دين آبائي وأجدادي مرضاة لزوجتي، وإرضاء لكلام الناس لا يدخل في الإسلام ويظل متمسكًا بها في نفس الوقت ولم تكن الآيات القرآنية قد نزلت وقتها في التفريق بين الزوجة المسلمة والزوج الكافر.

عثمان بن عفان يتزوج رقية

وتظل شجرة الحب في بيت النبوة صلى الله عليه وسلم، تمد هؤلاء البنات، وفجأة يحدث موقف جميل تحلم به أية فتاة في الدنيا.. عروس حنون.. من عائلة، ثري حيي.. يخير النبي أن الملائكة تستحي منه.. إنه عثمان بن عفان.. يطلب يد رقية ويتزوجها بعد فترة وجيزة من طلاقها من عتبة بن أبي لهب.. يعوضها الله بشخص لا مثيل له في الحنان والغنى والجمال.

وفاة السيدة خديجة، رضي الله عنها

وفي هذا الوقت يشتد الإيذاء بالمسلمين، ويأمر النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان وزوجته رقية والمسلمين بالهجرة إلى أرض الحبشة؛ لأنه يخشى على أرواحهم وعلى دينهم، لأن بها ملكًا لا يُظلم عنده أحد. وقبل أن تستقر الحياة في بيت رقية يفقد بيت النبي خديجة.. تموت أثناء الهجرة.. يفقد البيت أجمل وأحن قلب على النبي صلى الله عليه وسلم. فقد كانوا خارجين وقتها من شغب أبي طالب بعد حصار قريش لهم.

شائعة غريبة وجميلة

يسمع المسلمون المهاجرون إلى الحبشة أن مكة كلها أسلمت. وحقيقة الأمر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ قول الله تعالى عند الكعبة: ﴿أَقْمِنْ هَذَا الْحَدِيثَ تَعَجُّبُونَ (٥٩) وَتَضَحَّكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (٦٠) وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ (٦١) فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا (٦٢)﴾ [النجم: 59 - 62]. آيات قوية سمعتها مكة كلها، فسجد الكافر والمسلم على حد سواء، لم يتمالكوا أنفسهم فانتشرت هذه الشائعة الجميلة ووصلت إلى الحبشة (إثيوبيا الآن)؛ فعاد كثير من المسلمين الذين كانوا في الحبشة، ومن هؤلاء السيدة رقية وزوجها عثمان بن عفان، ولكن المفاجأة كانت لهؤلاء العائدين أن مكة أشد صلابة وإيذاء للنبي صلى الله عليه وسلم واتباعه.

وترجع رقية فتلتقي بأبيها وأختها أم كلثوم وأختها فاطمة وأختها زينب، ولم أمها موجودة حينئذ وقد أصبحت الآن في قصر من الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب، ولكن يكفيها حب النبي صلى الله عليه وسلم لها.

ماتت الأم الحنون خديجة، وجاء الأمر من رب العالمين للنبي بالهجرة. يهاجر النبي بأسرته الجميلة فاطمة وأم كلثوم، ورقية مع زوجها عثمان، وتبقى زينب مع زوجها (أبو العاص بن الربيع) الكافر وقتها، كان يحبها من كل قلبه، وهي أعلى شيء عنده في الدنيا، ولم ينزل القرآن وقتها بحكم التفريق بين المشرك والمسلمة.

وبعد سنتين جاء اليوم الذي فرّق بين أشياء كثيرة، فرّق بين الحقّ والباطل، وسُمّي يوم الفرقان، يوم التقى الجمعان، يوم غزوة بدر.

أسر ((أبو العاص بن الربيع)) وفداء زينب له

خرجت قريش بأكابرها وعظائمها تحارب النبي صلى الله عليه وسلم. لم يعد هناك مبرر لأبي العاص بن الربيع أن يتعاس عن الإسلام، ولكن أبا العاص بن الربيع زوج زينب بنت النبي يضطر إلى أن يحارب والد زوجته ومن معه من المسلمين، وكان الخير صعباً على زينب، وبدأت تفكر: مَنْ ستفقد اليوم، أبها الحبيب أم زوجها القريب؟ مَنْ سيقتل ومن سينتصر؟ وتبدأ الحرب وتنزل الملائكة بقيادة جبريل عليه السلام، وينتصر حزب النبي صلى الله عليه وسلم حزب المؤمنين أولياء الرحمن وأحبابه، ويتم أسر سبعين شخصاً من قريش، ويقتل سبعون آخرون، ويأتي الخبر السعيد لزينب أن أبك انتصر ولم يمسه أحد، والخبر الآخر بأن زوجها لم يقتل ولكنه أسر، وقع تحت أرحم يد في الكون.. يد النبي صلى الله عليه وسلم.

وإذا بأكابير قريش وأغنيائها يرسلون الآلاف لفداء أسراهم. ولكن زينب لا تمتلك من أموال الدنيا شيئاً، وإذا بها تفتح قماشة وتضع بداخلها شيئاً وترسله للنبي لفداء زوجها.. ويفضها النبي، ويُعاد شريط الذكريات الجميلة.. ذكريات 25 سنة.. أحلى 25 سنة.. تصبح أمام عينيه، إذ كان بداخلها عقد السيدة خديجة صاحبة الحب الأكبر في قلب النبي بعد رب العالمين.. العقد الذي كانت تملكه خديجة.. وورثته لابنتها زينب.. ولسان حالها يقول: خذوا هذا العقد وخلوا سبيل زوجي.. وإذا بالذكريات تتوارد عليه.. ذكريات الحُب.. فيقول النبي للمسلمين حوله: ((إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها مالها، فافعلوا)).

وذلك حتى يستبقي عقد الحب فيما بينهما. ويُفكّ أسر (أبو العاص بن الربيع) ويؤمر بأن يرجع إلى زوجته ومعه العقد، على أن يفارقها فقد فرّق الإسلام بينهما.. فيجهزها ويُركبها الجمل، وإذا بأشرار قريش الذين لا يحبون النبي، وقد أثرت فيهم هزيمتهم في بدر، يضربون جملها وهي حامل فتقع من فوقه وتنزف دمًا ويسقط حملها، وترجع إلى مكة وتطيب وتُمرّض ثم ترجع مرة أخرى وتهاجر من مكة للمدينة إلى بيت أبيها مرة أخرى وبه بعض أخواتها.

من بنات النبي صلى الله عليه وسلم

رأت هذه البنت المسلمة أن الله أقامها في مقام ما، وأرادت أن تخدم دين النبي صلى الله عليه وسلم، وترضي ربها وتفرح نبيها، وأحبت أن تكرم الناس بالمجال الذي تعمل فيه. وقد سألنا هذه الفتاة عدة أسئلة:

- متى بدأت هذه الفكرة؟ وما حقيقتها؟

- بدأت الفكرة في سنة 2003م في كلية هندسة عين شمس، حيث كنا نقوم بأنشطة خاصة بالكلية؛ فنوزع وجبات على الأسر الفقيرة، وكان معانا المدرسون والمحاسبون والأطباء. وكنت ألاحظ أن دورنا كمهندسين يقتصر على توزيع الوجبات والبطاطين على الناس. أما أصحاب التخصصات الأخرى كالأطباء والمحاسبين والمدرسين فقد تخطى دورهم هذا الدور البسيط، فمثلاً يمكن أن يصحب الأطباء المريض إلى أحد المستشفيات ويقوموا بإجراء اللازم له، وإعطائه الدواء المناسب، وبدأت أشعر بالغيرة - كمهندسة - لماذا لا تفحص بيوت هؤلاء الفقراء من الناحية الهندسية؟

- ما تخصص حضرتك؟

- هندسة مدنية، وبالفعل شهدنا إبطارًا، وقدمنا لإحدى الأسر وجبات، وكان رب هذه الأسرة مصابًا بسرطان الرئة، وكانت المشكلة أن بيته ليس له سقف، تحدث الجميع كيف نوفر له العلاج والحقن، ولم يتحدث أحد كيف نبني له السقف. فقلت لهم: لا بد أن نبني له سقفًا حتى تنتهي مشكلة الرطوبة التي تؤثر على رئتيه.

وكان هذا الموقف بداية تنفيذ هذه الفكرة، التي استغربها الجميع، حيث لم يكونوا معتادين على الإنفاق في مثل هذه المجالات؛ فقد كان الجميع يوجهون أموالهم في رمضان بالذات إلى التموين. أمام هذه الفكرة وكيف نفنح الناس بالإنفاق عليها، بدأت أؤكد الفكرة بكل قوة حتى أوصِل للناس أن هذه أيضًا صدقة جارية.

- يا مهندسة منار.. أي إنسان يقوم بشيء فيه إصلاح أو بناء، سواء بناء النفوس أو بناء البيوت لا بد أن يواجه صعوبات. أريد أن أسألك: ما الذي شجّعك على إكمال 16 بيتًا إلى الآن؟ هذا إنجاز كبير، فما الذي شجّعك؟

- لقد وضعت نفسي مكان هؤلاء الناس، وشعرت بهم جدًّا، وتذكرت حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: ((مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)) (1). وكنت طوال حياتي أشعر بمعنى هذا الحديث، أشعر به عند دخولي أحد المستشفيات، وعندما يأتي الليل أشعر أنني أنام مكان المريض في المستشفى، وعندما أرى صاحب بيت متهدّم أشعر أنني أنام بجوار هذا الجدار المتهدّم.

- هل نجاحك في هذا العمل الخيري كان له تأثير على علاقتك بالله - عزَّ وجلَّ - وصلتك به؟
- شعرت أنني أصبحت قريبة منه أكثر؛ فقد كانت علاقتي بربي في أداء العبادات، العبادات الصريحة فقط: الصوم - الصلاة - الحجاب .

- بينك وبين ربك فقط؟

- باحتكاكي بهذه الأسر تأكدت أن هناك أشياء كثيرة فعلها خطأ، فيمكن أن نشترى أشياء لا حاجة لنا بها، تكون ضرورية في بيوت أخرى يحتاج إليها أولئك الفقراء فوق حاجتنا، فهذا الأمر له ثيق عملي وآخر روحاني أكثر.

- بعد أربع سنين من العمل، بدأت من عام 2005 حتى 2009 في بناء كامل أو ترميم 16 بيتًا - ما إحساسك الآن؟

- أشعر بشيء من الرضا، ليس رضا كاملًا. ولكن المهم أنني أخيرًا شعرت أنني حققت جزءًا من حلمي، وسأتقرب به إلى الله - عزَّ وجلَّ - وهو تقديم خدمة حقيقية للناس، ولكن أتمنى أن تُعمَّم هذه الفكرة على مستوى مصر ومستوى العالم، وتتناها جميع الدول، ويكون هناك اهتمام بالأسر البسيطة، كيف لنا أن نقيها من الفقر والاحتياج والعوز؟

تخيل أن النبي صلى الله عليه وسلم الآن أمامنا، ونحن نحكي له ما قمنا بإنجازه كيف سيكون ردُّ فعله؟ السنون قادمة، فما الكلمة التي سيقولها لنا النبي صلى الله عليه وسلم إذن؟

لا استطيع أن أتصور إحساسًا مثل هذا. فلو استدعيت هذا الشعور.. شعور أنني واقفة أمام الرسول صلى الله عليه وسلم أحكي له فإنني سأسأله: هل الله راضٍ عني؟ هل أنت يا رسول الله راضٍ عني؟ ولكن الحلم الذي أحلمه لنفسي كبير.. أقوله لنفسي منذ درست وفهمت، وهو وصف نهر

الكوثر.. والرسول صلى الله عليه وسلم يسقي الناس يوم القيامة بيده الشريفة.. هذا هو الذي أتمناه.. وكثير من الناس يتمنى ذلك.. وأنا أيضًا أتمنى أن يسقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة من نهر الكوثر يوم القيامة، بعد وقت من العطش ووقت من الحر الذي وقفت فيه كثيرًا.. تصوّر أن النبي صلى الله عليه وسلم يسقيك من يده الشريفة.. يا رب.. يا رب..

- شكرًا يا مهندسة منار عقل، وأتمنى أن يتحقق حلمك، وتكون هناك مؤسسات كبيرة لترميم البيوت، ويسير الجميع على خطاك، وتتحول مبادرتك الفردية إلى مبادرة جماعية.

نسأل الله أن يتقبل من كل فرد يحب النبي صلى الله عليه وسلم ويخدم المسلمين أحباب النبي صلى الله عليه وسلم.

عودة للسيدة زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وموقف عثمان بن عفان من غزوة بدر:

رجعت السيدة زينب إلى بيت النبي صلى الله عليه وسلم، وتركت بيت زوجها (أبو العاص بن الربيع) لأنه كان كافرًا وقتها. وفي هذه السنة.. سنة 2 هـ يخرج المسلمون لقتال المشركين في غزوة بدر.. ويحدث موقف حب جميل.. لم يخرج سيدنا عثمان بن عفان للجهاد مع المسلمين في هذه الغزوة.. شيء عجيب.. هذه أعظم غزوة انتصر فيها المسلمون في تاريخهم.. المسلمون 313 فردًا.. والمشركون 1000 فرد. لماذا لم تحارب يا عثمان وتكون ذراعك بجوار ذراع النبي صلى الله عليه وسلم: لأن زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت مريضة، وأمره النبي صلى الله عليه وسلم بتطبيبها والبقاء معها، ما أجمله من حُب! وما أروع من إخلاص ووفاء! ماذا لو عطشت ليلًا؟ مَنْ يقوم ليسقيها؟ مَنْ يجلس بجوارها يُطَيِّب خاطرها؟ مَنْ يعينها على الوضوء إذا لم تستطع الوضوء للصلاة؟ مَنْ يكون بجوارها يرعاه؟ وَمَنْ يرعى مصالحها وهي مريضة؟

نعم لم يخرج عثمان بن عفان مع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في أكبر وأعظم وأول غزوة.. هكذا علمنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نحب الخير لكل مَنْ حولنا ونجبر خواطر أحبائنا.. وراح النبي صلى الله عليه وسلم ومعه المسلمون يحاربون وينتصرون.. وكان مرض السيدة رقية هذا هو مرض الموت، وغسلها سيدنا عثمان وصلّى عليها ودفنها.. ويرجع النبي صلى الله عليه وسلم من الغزوة، فيسأل عن ابنته.. عن حبيبته.. ماتت.. ماتت يا سيد المحبين.. يأخذ النبي صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة ويذهب بسرعة عند قبرها زائرًا إياها، وتبكي فاطمة، ويجفف النبي صلى الله عليه وسلم دموعها بثوبه الشريف.. ويذهب النبي صلى الله عليه وسلم إلى عثمان بن عفان طارقًا بابه، ويحمل معه الغنائم والأموال ويقول له: هذا نصيبك يا عثمان.. أنت كنت معنا.. وكان جلوسك بجوار زوجتك المريضة بمثابة الخروج للحرب.. وكأن النبي صلى الله عليه وسلم يذكر عثمان بالحديث الشريف: ((درهم أو دينار أنفقته في سبيل الحرب، ودينار تصدَّق به على مسكين، ودينار أعتقت به رقبة، ودينار أنفقته على أهلك وعيالك، أعظمه أجرًا عند الله الذي أنفقته على أهلك)) (1).

إنه عثمان بن عفان الحبيب المحب، تربية النبي صلى الله عليه وسلم، وإنه لمن أثنى وأغلى الدروس في الحب.

أسر (أبو العاص بن الربيع) وفداء زينب له مرة أخرى:

وتمر الأيام، وقبل صلح الحديبية يخرج أبو العاص بن الربيع في قافلة، فيأسره المسلمون والقافلة التي كان يقودها.

وتدخل الغنائم مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، إذا بالسيدة زينب المحبة لزوجها تدخل المسجد على أبيها ومعها المسلمون من حوله فتصيح قائلة: لقد أجزتُ أبا العاص بن الربيع. ومعنى أجزتُ أي هو في حمايتي. فيقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((**والله** ما سمعت بهذا من شيء ولا علمت منه شيئاً. ولكن يجير على المسلمين أدناهم)) يعني لا فرق في الإجارة بين صغير وكبير أو رجل أو سيدة، فلا أحد يقترب من المُجار ولا يمسه بسوء.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعرف مدى الحب الذي تكنه لزوجها فأشار صلى الله عليه وسلم على صحابته الكرام مخيّرًا إياهم بأن يأخذوه وأمواله غنيمة لهم، أو يقبلوا إجازة زينب له، وإذا بالصحابة المحبين تلامذة النبي صلى الله عليه وسلم يقولون: لا يا رسول **الله** نتركه لك. فيطلق النبي صلى الله عليه وسلم إيساره ويرجه بأمواله إلى مكة.. ولكن بقلب آخر.. قلب مشرق مستنير.. فيسأل قومه: ما رأيكم في؟ قالوا عهدناك سيدًا وفيًا كريمًا.. ما رأيناك تسرق أموالنا فقال لهم: هذه أموالكم خذوها. أما أنا فأشهد أن لا إله إلا **الله** وأن محمدًا رسول **الله** صلى الله عليه وسلم. ويرجع أبو العاص بعد أسر حب السيدة زينب قلبه.. هذه الزوجة المحبة الوفية.. مع هذا الحب الفيّاض من النبي صلى الله عليه وسلم.. ويرجع ويعلن إسلامه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم. ويرد النبي صلى الله عليه وسلم أبا العاص بن الربيع إلى حبيبته المحبة زينب بنت النبي صلى الله عليه وسلم من غير عقد ولا مهر جديدين، يرده بالعقد الأول، فيعيشان معًا مرة أخرى، ولكن زينب لا تعيش كثيرًا، بل تعيش سنة واحدة، وتموت في سنة 8 هجرية بعد أن أسلم زوجها: 18 سنة من إسلامها، و18 سنة وأبو العاص على الشرك، ولم تئنس، وقد أسلم فعاش معها سنة واحدة، وتموت السيدة زينب ويأتي النبي صلى الله عليه وسلم ويقول: ((غسلناها ثلاث مرات أو خمس مرات)) يعني وترًا. ويأمرهن ألا يكفننها حتى يأمر بذلك، فيأتي النبي صلى الله عليه وسلم ويخلع إزاره الشريف، فيقول: ((أشعرنها إياه)) يعني كفننها فيه، وتلقى رب العالمين وهي مكفنة في ثوب أبيها، سيد المحبين والمحبوبين.

الخلاصة

- تعلم من النبي صلى الله عليه وسلم المعاملة الطيبة مع زوجاته وبناته ومع غيره من المسلمين.
- صبر النبي صلى الله عليه وسلم على وفاة أحب زوجاته إليه السيدة خديجة رضي الله عنها.
- اعلم أن **الله** إذا أبعد عنك شيئًا تحبه فإنه سيُكافئك خيرًا منه.

(1) سبق تخريجه.

(1) مسند أحمد رقم (14287)

(1) مسند أحمد رقم (18373).

(1) رواه البخاري.

19- حب النبي صلى الله عليه وسلم للأطفال

قبل ان نتحدث عن محبة الرسول صلى الله عليه وسلم للأطفال، نود ان نعرض لطفولة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

يقول رب العزة - سبحانه وتعالى - مخاطباً نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: 48]. ما بالكم بمن حفظه سبحانه وتعالى بحفظه الذي لا يضام، وجعله بأعينه، سبحانه وتعالى؟

لقد ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتيم الأب، ولم يلبث وهو في السادسة من عمره أن أصبح يتيم الأم، ومنذ أن كان على هذا الحال فهو في أشد الحاجة إلى مساعدة الناس، ولكن رب العزة - سبحانه وتعالى - جعل جميع من حوله في حاجة إليه، لقد قذف الله - سبحانه وتعالى - محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قلوبهم.

وللتدليل على هذا فسوف أسوق لكم قصة حليلة السعدية؛ مرضعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، التي كانت قد جفت اللبن في ثدييها، والتي كان حمارها لا يقوى على المسير، فما إن هممت بإرضاع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فاض اللبن في ثدييها، وما إن ركبا الحمار حتى دببت فيه الحياة.. إنها البركة التي وضعها الله سبحانه وتعالى في رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وينتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت جده عبد المطلب، ويمتليء قلب جده عبد المطلب بالحب نحوه صلى الله عليه وسلم، لدرجة أنه كان صلى الله عليه وسلم الوحيد الذي له الحق في الجلوس على فراش عبد المطلب؛ ذلك الفراش الذي كان عند الكعبة، وعندما كان ينهره أحد لجلوسه على هذا الفراش كان يقول لهم عبد المطلب: ((اتركوه، إن ابني هذا سيكون له شأن)).

وينتقل عبد المطلب إلى جوار ربه، فيذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم لبيت عمه أبي طالب، ويفيض قلب أبي طالب حباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا يخرج ولا يرجع ولا ينام إلا ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ملأ بيت أبي طالب ((حباً)) وبركة.

وفي يوم من الأيام يأتي جفاف شديد وقحط، فيطلب الناس من أبي طالب أن يستسقي لهم، ويذهب أبو طالب إلى الكعبة ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو لم يبلغ العاشرة بعد، ويبدأ في الدعاء من أجل سقوط المطر، ويداه في يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيتجمع الغمام فوق النبي صلى الله عليه وسلم، ويمطر على مكة وما حولها.

لقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نفسه: ((أدبني ربي فأحسن تأديبي)) (1)؛ أي أنه لا أحد له فضل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بل الكل يتنافس على استضافة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وتمر الأيام، وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مبلغ الرجال، ثم تأتته النبوة، فتجده يفيض ((حباً)) على الأطفال، وهذا أمر طبيعي بعد ما وجده صلى الله عليه وسلم في طفولته من رعاية ربانيه.

ذات يوم جاء أحد أحفاد النبي صلى الله عليه وسلم إليه، فأجلسه النبي صلى الله عليه وسلم على فخذة وقبّله، فلما رأى أحد الأعراب ذلك قال له: أتقتلون الأطفال؟! إن لي عشرة أولاد لم أقتل واحداً منهم قط! سبحان الله! إن حب الآباء لأبنائهم شئ غريزي، ولكن العرب لم يكونوا يحسنون التعبير عن مشاعرهم بالأفعال، لما في حياة البادية والصحراء من الخشونة والقسوة.

الأطفال أحباب الله

إن الأطفال ((أحباب)) الرحمن؛ لأنهم ذوو فطرٍ سليمة، لم يرتكبوا أية معصية، ولذلك كانوا ((أحباب)) رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ذات يوم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي، وقد جعلت قرّة عينه صلى الله عليه وسلم في الصلاة، وإذا به يسمع صراخ طفل صغير من صفوف النساء، فيقصر في الصلاة حتى تستطيع أمه العناية به.

أي ((رحمة)) هذه وأي ((حب)) وضعه الله – سبحانه وتعالى - في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم تجاه الأطفال؟!

وفي يوم آخر يتأخر الرسول صلى الله عليه وسلم على جموع المصلين، ويتساءل الناس: أين رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وإذا بهم يجدونه وقد دخل المسجد حاملاً على كتفيه حفيدته أمامه بنت زينب، ليس هذا فقط بل يدخل في الصلاة هكذا، ولو كان هذا الأمر لا يرضاه الله سبحانه لم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم ليفعله.

النبي صلى الله عليه وسلم يقف على المنبر يخطب خطبة الجمعة، وإذا بالحسن والحسين يدخلان المسجد ويتعثران في خطوهما ويقعان على وجهيهما وهما صغيران فإذا برسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل من على المنبر متوجّها إليهما وهو يقول: ((صدق الله ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾)) [التغابن:15]، ويأخذهما ويكمل خطبته وهما على كتفيه صلى الله عليه وسلم.

إن ما يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وحي رباني، ورب العزة، سبحانه وتعالى يحب أن ييرانا ونحن نكرم أحبابه؛ أي الأطفال، فيحب أن ييرانا ونحن نحملهم ونلعب معهم وغير ذلك مما يدخل البهجة إلى قلوبهم.

إلى الأمهات اللاتي قد فقدن بعض الأفعال والأوراد التي كن يلتزمن بها بسبب تربية أطفالهن.. لا تبتئسن واصبرن فلكنّ إن شاء الله في تربية أطفالكن أجر الصائم القائم.

ذات يوم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مدعوًا للطعام في أحد البيوت، وما إن دخل هذا البيت حتى وجد الحسين يلعب مع بعض الأطفال، فركض صلى الله عليه وسلم وراء الحسين حتى أمسك به وقبّله، وكان ذلك أمام جمع من الصحابة – رضوان الله عليهم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم إنما فعل ذلك؛ لأنه سيد الخلق صلى الله عليه وسلم الذي يفيض حبًا وحنانًا على كل أولاد المسلمين، فما بالكم بابن ابنته الحسين – رضي الله عنه؟

ذات ليلة، بينما كان يبيت صلى الله عليه وسلم عند زوجه ميمونة؛ خالة عبد الله بن عباس رضي الله عنه؛ ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان عبد الله صغيرًا، قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي، فلما رآه عبد الله يصلي، توضأ وجاء ليصلي معه لكنه وقف على يساره، فإذا برسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ بيده برفق حتى جعله على يمينه.

إن الأطفال الذين يتربون في بيوت بها حب، عندما يكبرون تجد الحب يملأ حياتهم وقلوبهم، فاملئوا بيوتكم بالحب.

ذات يوم أتى لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعباءة جميلة، فأراد أن يهديها، فبدأ النبي صلى الله عليه وسلم يفكر لمن يعطيها، ثم قال صلى الله عليه وسلم: ((أين أم خالد؟)).

أتدرون من هي أم خالد؟ إن أم خالد طفلة صغيرة؛ وقد اعتاد العرب إطلاق كُنَى على الأطفال. إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف أولاد الصحابة – رضوان الله عليهم - بالاسم. أرايتم كيف يكون حب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته؟
يا حبيبي يا رسول الله.

وتأتي أم خالد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتروي هي هذه القصة بعد أن كبرت فتقول: ((فألبسنيها بيديه الشريفتين، ثم ينظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أعلام الخميصة (الخميصة: أي الشال أو العباءة، والأعلام هي النقوش التي عليه)، ويقول: سنة سنة.. سنة سنة (بلغة الحبشة) ومعناها بالعربية: حسنة.. حسنة). أئى حنانٍ وحبِّ هذا يا رسول الله تجاه الأطفال؟! اللهم صل وسلم وبارك عليك يا إمام المحبين، يا حبيب الرحمن.

إن من معاني الحب أن تأخذ الحق لمن تحب؛ فها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في مجلسه ذات يوم، وجاءه قدح فيه شراب، وكان عبد الله بن عباس طفلاً صغيراً يجلس عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم، وكبار الصحابة جالسون عن يساره صلى الله عليه وسلم، وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشرب جميع الحاضرين من هذا القدح، والسنة النبوية الشريفة تقتضي البدء باليمين، فماذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

لقد استأذن النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عباس في أن يبدأ بالسقيا لكبار الصحابة؛ لأن من حق عبد الله بن عباس وهو طفل صغير أن يكون هو البادئ بالشرب من القدح.. قد يقول البعض: كان من الممكن ألا يلتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه فهو مازال طفلاً صغيراً، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يُعَلِّم الأمة جميعاً أن أصحاب الحقوق أولى بحقوقهم، ويجب الاستئذان منهم، حتى لو كانوا أطفالاً صغاراً، كما أنه في الوقت نفسه يريد أن يُعَلِّم عبد الله بن عباس وهو صغير أن يوقر الكبير، فهو القائل صلى الله عليه وسلم: ((ليس منا من لم يوقر كبيرنا، ويرحم صغيرنا))(1).

ولكن عبد الله بن عباس – رضي الله عنه – لم يأذن وقال: ((لا أوثر بثغرك أحداً)) لأنه يريد أن يأتي فمه على الموضع الذي شرب منه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث رسالة إلى العالمين، بالألا تحتقروا الأطفال الصغار، بل أعطوهم حقوقهم، واجعلوا لهم شخصيتهم المميزة. أرايتم إلى أى مدى يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأطفال الصغار؟!
وهذا موقف آخر عن عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين يأتي إليه والد النعمان بن بشير، ويريد أن يشهده على أنه قد أعطى النعمان جزءاً من ماله، فسأله النبي صلى الله عليه وسلم: وهل لك أولاد آخرون؟ فرد والد النعمان بالإيجاب، فسأله ثانية رسول الله صلى الله عليه وسلم: وهل أعطيتهم جميعاً مثل ما أعطيت للنعمان؟ فرد والد النعمان بالنفي، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ((أشهد على ذلك غيري، فإني لا أشهد على جور)).

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرر مبدأ العدل والمساواة بين الأبناء.. هذا هو العدل النبوي. هكذا مَلَك النبي صلى الله عليه وسلم قلوب جميع الناس بالحب والعدل والمساواة، وأصبح مَلِكهم صلى الله عليه وسلم .

يحكي سيدنا أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير في الشارع، ويلقي السلام على أنس - وكان ابن عشر سنين - ويلقي السلام أيضًا على عمير؛ أخي أنس الصغير، ويسأله عن حال عصفوره الصغير.

أي مودة هذه يا رسول الله؟!!

إن ((الحب النبوي)) لم يكن يفرِّق بين الكبير والصغير، إنه حب للعالمين جميعًا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلم علم اليقين أن هذا الحب يُورث من جيل إلى جيل، فكان يبعث صلى الله عليه وسلم بـ((طاقة الحب)) إلى أهله وأقاربه وأحبابه وأزواجه، وللأطفال من حوله صلى الله عليه وسلم؛ سواء أحفاده أو أبناء الصحابة، كل ذلك كي يُعلِّم الناس جميعًا قيمة الحب.

فهل نعي الرسالة ونبدأ في حب أطفالنا، وحب جميع الأطفال الذين هم أحباب الرحمن؟ اللهم أدم علينا حبَّك، وحبَّ من أحببت، وحبَّ إمام المحبين.. رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الخلاصة

- تعلم الحب من سيد المحبين صلى الله عليه وسلم .
- النبي صلى الله عليه وسلم كان محبًا للأطفال؛ لأنهم أحباب الرحمن.
- ربِّ أولادك على الحب، فيملاً الحب حياتهم بعد كبرهم.

(1) الجامع الصغير رقم (310).

(1) صحيح ابن حبان رقم (458).

20- حب النبي صلى الله عليه وسلم لأقاربه

لقد أوصى الله - سبحانه وتعالى - بأولي القربى، وأمر بصلة الأرحام؛ فلفظة ((الأرحام)) مشتقة من ((الرحمة)).

إن الله - سبحانه وتعالى - عندما يوصي النبي صلى الله عليه وسلم بشيء فإن هذه الوصية تكون عامة على جميع أفراد أمة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿وَأَنْزَلَ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:214] ثم تتسع الدائرة بعد ذلك لتشمل مكة.. أم القرى ثم من حولها ثم رحمة وحباً للعالمين جميعاً ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:107].

إن نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم كان قريباً جداً إلى أقاربه؛ فقد كان يعرف تفاصيل حياتهم. ففي يوم من الأيام مرت بأبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم ضائقة مادية فطلب منه النبي صلى الله عليه وسلم أن يعطيه واحداً من أولاده كي يتربى في كنفه هو والسيدة خديجة - رضي الله عنها - وكان عليّ - رضي الله عنه - هو هذا الولد.

إن ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن رداً لجميل عمه أبي طالب الذي تعهد بتربيته عندما كان صغيراً، ولكنه تصرف نابع من ((الحب)) الذي يملأ قلبه صلى الله عليه وسلم نحو أقاربه.

وإليك مشهداً آخر من ((بيت الحب)).. بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجه خديجة - رضي الله عنها.

عندما قرر رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوة أقاربه إلى الإسلام.. ماذا فعل؟ لقد أعد لهم وليمة.. ثلاثون فرداً من أقاربه.. وبعد ذلك بدأ يدعوهم إلى الإسلام بعد أن عبّر لهم صلى الله عليه وسلم عن حبه لهم، ولكن للأسف لم يستجب له إلا عليّ - رضي الله عنه -.

وكان من ضمن الحاضرين العباس بن عبد المطلب. والذي أعلن إسلامه فيما بعد. (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) [القصص:56]، ولكن نحن نتعلم من سلوكيات رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن سننه وأفعاله فقد قال صلى الله عليه وسلم عن نفسه: ((أدبني ربي فأحسن تأديبي)). ومن حسن صحبته و((حبه)) لأقاربه صلى الله عليه وسلم، موقفه مع عمه أبي طالب في لحظة احتضاره، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحثه أن ينطق بالشهادتين ((محبة)) فيه ويقول له إنه سوف يحاج له عند ربه.. أرأيت ((حبه)) صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب الذي تربى في كنفه؟ لا يريد له أن يكون من أهل النار.

ورغم ذلك ظل رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لعمه أبي طالب إلى أن أنزل الله سبحانه وتعالى قوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ﴾ [التوبة:113].

إن أحدنا عندما يمن الله عليه بشيء من نعمه يبدأ في الابتعاد عن أقاربه الذين قد يختلف معهم في بعض المسائل، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبتعد عن عمه أبي طالب رغم أنه كافر؛ فهل لنا فيه صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة؟

إن ((الحب)) الذي جمع بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه علي بن أبي طالب هو الذي جعل علياً يسلم من فوره بمجرد أن عرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الدخول في الإسلام رغم أن الرسول صلى الله عليه وسلم طلب منه أن يستشير أباه أبا طالب ولكن علياً لمحبتته

لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يريد أن يستشير أحداً، كان يريد أن يلبي فوراً لأنه يعرف مدى حب رسول الله صلى الله عليه وسلم له، وأنه لن يريد له إلا خيراً، وهذا بالضبط ما قاله له أبوه أبو طالب عندما أصر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يسأله، فلم يكن أبو طالب قد رأى من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ((حباً)) ولم يكن له إلا أن يبادلَه حباً بحب. موقف آخر يدل على حب أبي طالب لابن أخيه محمد صلى الله عليه وسلم، فذات يوم دخل أبو طالب ومعه ابنه عقيل فوجد الرسول صلى الله عليه وسلم يصلي وبجانبه علي - رضي الله عنه - فطلب من عقيل أن يصلي على الجانب الآخر للرسول صلى الله عليه وسلم كي يحميه.. إن أبا طالب يخاف على رسول الله صلى الله عليه وسلم.. إنه يحبه.. لا غرابة إذن بعد كل ذلك أن نجد علياً رضي الله عنه يفدي محمداً صلى الله عليه وسلم بروحه وينام في فراشه ليلة الهجرة.

دلالة الحب الخالص

إنه ((الحب)) الذي يجعل ((المحب)) يفعل أي شئ من أجل ((حبيبته)) ويأتي بتصرفات فيها من الشجاعة ما لا يصدق عقل.. هذا فعلاً هو ((الحب الخالص)).

وتمر الأيام ويتقدم علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - لخطبة فاطمة - رضي الله عنها - بنت محمد صلى الله عليه وسلم، وتزيد أواصر القرابة و((الحب)) أكثر وأكثر بهذا النسب، وعندما يدفع عليٌّ مهرًا قيمته 480 درهماً يأخذ رسول الله نصف هذا المبلغ ويشترى به عطوراً لفاطمة - رضي الله عنها - ((حباً)) لعلي - رضي الله عنه - فالرسول صلى الله عليه وسلم كان ((يحب)) علياً، و((الحب)) عطاء وتضحية.

ويوم صلح الحديبية، وعندما كان عليٌّ رضي الله عنه يكتب نص الصلح، طلب سهيل بن عمرو مندوب قريش من علي رضي الله عنه أن يمحو عبارة ((محمد رسول الله)) بعد أن كتبها، ويأبى علي رضي الله عنه ويقول إنه لن يمحو اسمه صلى الله عليه وسلم أبداً، ورغم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أذن له بذلك إلا أنه لم يقدر أبداً على محو اسمه صلى الله عليه وسلم، إلى أن محاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وقال له: ((اكتب: محمد بن عبد الله)).

أرأيت ((حب)) علي رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن الأهم هو ((حب)) رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس جميعاً، وأنه يريد لهذا الصلح أن يتم كي ينتشر الإسلام في الجزيرة العربية كلها.

وينقضي عام وتأتي غزوة خيبر في السنة السابعة للهجرة، ويمتد حصار المسلمين لليهود لمدة ((15)) يوماً إلى أن يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول: ((غداً سأعطي الراية لرجل يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يفتح الله عليه)).

إن أول ما يتبادر إلى الذهن هو أن يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه سيعطي الراية لأقوى أو أشجع أو أمهر رجل، ولكن ((الحب)) هو الحل، وهو الذي سيكون سبب الانتصار في هذه الغزوة.

إن ((الحب)) طاقة خلاقية قادرة على فعل المعجزات،؛ ف((الحب)) تضحية وفداء. لكن من هو هذا الرجل؟ إنه علي - رضي الله عنه - ((المحب)) لله - سبحانه وتعالى - و((المحب)) لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)).
قد يبدو هذا الحديث بسيطاً في مبناه لكنه في مضمونه قوي للغاية؛ لأن الحب في نهاية الأمر هو الطاقة الوحيدة القادرة على منع الإنسان من التوصل إلى أو العودة إلى حيوانيته.
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المثل الأعلى في الحب والعطاء؛ حبه لزوجاته؛ وحبه لأولاده، وحبه للبشر جميعاً، وحبه صلى الله عليه وسلم لسائر المخلوقات.
قدرته صلى الله عليه وسلم على الصفح، وعلى العفو، وقدرته اللانهائية في العطاء؛ فيجب علينا نحن المسلمين أن نبادله صلى الله عليه وسلم حباً بحب، فلا يؤمن أحدنا حتى يكون الله - سبحانه وتعالى - ورسوله صلى الله عليه وسلم أحب إليه مما سواهما.

إنه صلى الله عليه وسلم سيكون شفيعنا يوم القيامة، وهو من سيقول: ((أمتي أمتي)).
يجب أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو قدوتنا ومثلنا الأعلى، وأن نستلهم العبر والعظات من سيرته صلى الله عليه وسلم ، فعندما تُوقِّي والدي تأملت سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما فقد ابنه إبراهيم، ورأيت كيف كان تعامله صلى الله عليه وسلم مع هذا الحدث الكبير.

عندما تسافر إلى المدينة المنورة تشعر بحالة من السكينة والطمأنينة في هذه الأرض الطيبة التي عاش فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفن فيها، وعندما تذهب إلى الروضة الشريفة تهتز بداخلك المشاعر والعواطف لإحساسك بأنك قريب من الحبيب.

((حب)) الرسول صلى الله عليه وسلم يجب أن يكون ((حالة)) في قلوبنا؛ لأنه ((حب)) رفيع الدرجات؛ ((حب)) من يعرف باسم ((مفتاح الجنة))؛ ((حب)) سيد الخلق صلى الله عليه وسلم ((حب)) خاتم المرسلين؛ ((حب)) الشفيع يوم القيامة.

حب الحبيب صلى الله عليه وسلم مفتاح الجنة

ذات يوم، في بداية الدعوة، وعند الكعبة المشرفة، تهجم أبو جهل على النبي صلى الله عليه وسلم، وأهال عليه التراب، ولم يرد النبي صلى الله عليه وسلم: لأن هذا الوقت كان وقت صبر ولم يكن وقت جهاد، فعلم حمزة بن عبد المطلب بذلك - ولم يكن قد أسلم بعد - فذهب إلى أبي جهل ونهره على ما فعله مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، وشج رأسه بالقوس، ثم نطق بالشهادتين.
لم يكن حمزة - رضي الله عنه - عندما غضب لما حدث لرسول الله صلى الله عليه وسلم مسلماً، ولكنه ((الحب))؛ ((حبه)) لابن أخيه صلى الله عليه وسلم : الصادق المصدوق الأمين.
ويأتينا سؤال يمس حياتنا المعاصرة: فهناك من يقول إنه يريد أن يمد أواصر المحبة مع أقاربه، لكنهم لا يستحقون ذلك.

قبل الإجابة عن هذا السؤال أسوق هذه القصة التي حدثت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي سفيان لقد سامحه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة - وكان هو قائد جيش قريش - رغم أنه حارب الرسول صلى الله عليه وسلم عشرين عاماً. لكن بمجرد أن أعلن إسلامه سامحه رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل ما بدر منه.

ألم تتعلم التسامح بعد من إمام المحبين والمحبوبين صلى الله عليه وسلم؟
إذا أردت أن ((تحب)) فيجب أن ((تسامح)) و((تعفو))، ولا تقل إن أقاربك لا يستحقون منك ذلك،
واجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوةً لك في جميع أمور حياتك : حينها ستشعر بمعنى
((الحب)) و((السعادة)).

الخلاصة

- اجعل النبي - صلى الله عليه وسلم - هو قدوتك في الحياة.
- حب الله وحب النبي - صلى الله عليه وسلم - يجب أن يكون مقدمًا على حبك لأي شيء في الدنيا.
- إذا أردت أن تحب فيجب أن تسامح وتعفو.

21- الحب النبوي لنساء الأمة

أريد في هذا الموضوع توضيح ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يريده في قلوب الرجال تجاه النساء، وليس تجاه الزوجات..

**تقييم النظر من
منطلق الفكرة،
فلتحسن فكرتك**

إنها نظرة حب جديدة، فكل منا ينظر إلى أي شيء من منطلق قاعدة بيانات ومن منطلق فكرة أخذها عن الشيء، فأنت تنظر لأولادك من منطلق الرحمة والحرية، وتنظر لأهلك من منطلق الانتماء والحب والحماية، تنظر للكبار من منطلق الاحترام، وتنظر لعملك من منطلق التركيز، لكن يا ترى ما هي نظرتك حينما ترى امرأة؟! ماذا ترى فيها حينما تقع عليها عينك؟! نحن أمرنا بغض البصر، لكن قريباتنا، ومن نراهن في الشوارع، ومن نراهن في المواصلات، وزميلاتنا بالكلية وبالعامل، حينما تقع عينك على واحدة من هؤلاء، ما الشعور الذي يعتريك؟ وما هو الشعور الذي يريده النبي صلى الله عليه وسلم أن يظل في قلب الرجل تجاه النساء؟ هل المرأة هي مجرد شهوة مخلوقة في جسدها؟ هل المرأة مجرد خادمة وجزء من ممتلكاتك؟ هل المرأة ((بونوناية)) لذيدة تملأ الدنيا ضحكاً وهزاراً وسهراتٍ؟

سنتحدث في هذا الموضوع من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار فيه، أما أقصى اليمين وأقصى اليسار فهو التطرف، لكن أحسن الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فخير الأمور الوسط.

فأقصى اليمين الزوجة بالنسبة له خادمة ويظهر ذلك حينما يتزوج فتكون الزوجة بالنسبة له خادمة مسئولة عن ملابسه، وعن مأكله ومشربه وأبنائه، وحينما يحتاجها فلشهوته، ولا يحق لها أن تجادل في أي من هذه الأشياء لأنها جزء من ممتلكاته، وهو السيد المطاع، وفي نفس الوقت واجهة اجتماعية حينما أركب السيارة أو أمشي والزوجة معي.

وربما لو كان متدينًا فإنه لا يتعامل مع النساء مطلقًا أو يتعامل في حدود المسموح لكنه تعامل في عنف، لأنه يرى أنها مصدر الشر والضرر، فالمرأة هذه درجة ثانية.

أما أقصى اليسار، فانفتاح رهيب ويشترك مع الصنف الأول في أن المرأة ((بونوناية)) لذيدة تملأ الدنيا ضحكاً وهزاراً وسفريات وسهرات، لكن هنا من الممكن أن تستغل جسمها في الإعلانات والأفلام، فهي للمتعة ووسيلة لجلب الأموال، ومتعة للعين والنفس، انفتاح رهيب في التعامل بغض النظر عن كرامة المرأة أو نفسيته وكيانها أو سمعتها أو مظهرها الآخرين.

لكن أحسن الهدي هدى سيد المرسلين، لا يسار ولا يمين، نريد أن نعلم أن النساء لسن من المجتمع فقط لكنهن أغلب المجتمع، وأصبح مجتمعنا يجمع بين النساء والرجال في كل مكان وأصبح التعامل الدائم واقعًا لا مفر منه، لو لم يكن هناك سلام بين المرأة والرجل فلن يعيش المجتمع في حب، فالمرأة خُلقت من ضلع سيدنا آدم ففيها رقة الطبع مختلفة عن الرجل، أما آدم فقد خُلقت من تراب الأرض؛ لذلك فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حثنا على حسن التعامل وحسن الخلق وعلمنا أن ذلك من الدين وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:10].

فتعالوا بنا لنبدأ في تعرّف مفهوم جديد للحب والمعزة؛ المعزة الأخوية يمين النساء والرجال؛ المعزة الأخوية التي تملأ الدنيا سلامًا. وتجعلك تقول هذه بنت فلا يحق لي أن أستغلها أو أجعلها درجة ثانية بعدي.

تعالوا بنا نضرب مثالًا:

لو أن أختك، وأنا إنسان غريب عنك، وهي في محل تباع أو تشتري، ماذا تحب أن توصيني به في طريقة كلامي معها وفي نظراتي؟ لو أنها في عمل معي ماذا تحب أن توصيني؛ أن أحدثها في أي موضوع وأي موضوع لا أكلمها فيه، وطبيعة علاقتي معها داخل العمل وخارج العمل؟ ماذا تحب أن توصيني بأختك أو زوجتك أو ابنتك وأنا غريب عنها وهي معي في محل العمل أو في الكلية لأن المجتمع كله عبارة عن رجال ونساء؟

تعالوا ننظر في معنى ضروري وهام ألا وهو أن بنات المسلمين ونساء المسلمين كلهن بنات لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وقد علمنا علماؤنا ذلك ولنتذكر قصة سيدنا لوط، حينما جاءه قومه متربصين ببناته ماذا قال لهم؟ ﴿قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [هود: 178] ومعنى الآية: اذهبوا فتزوجوا بناتي ولا يقصد بناته خاصة وإنما النساء من أمته فهنّ أزكى وأطهر، لذلك فكل امرأة مسلمة تمشي في الشارع لها حرمة؛ فهي ابنة النبي صلى الله عليه وسلم ولا يجوز لأي رجل مهما كان أن يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم في بناته.

لقد خلق الله الجمال وخلق الجلال ووصف نفسه بهما، وخلق مخلوقاته فوزع عليهم من صفات الجمال والجلال ولكن بقدر، فليس لأحد الكمال المطلق والجمال المطلق إلا الله - سبحانه وتعالى - ثم النبي صلى الله عليه وسلم كماله وجلاله بشريان، فالنساء فيهن الجمال، فيهن الرقة أكثر من الرجال، لكن الرجال فيهم الجلال والانضباط والقوة، ومطلوب من النساء ستر هذا الجمال سواء جمال شكلها أو جمال رقتها قدر استطاعتها.. وعند حديثها لا تخضع بالقول في الكلام ولكن تقول الكلام على قدر المطلوب بلا زيادة أو ميوعة، كذلك مطلوب من الرجل أن يكون أكثر رجولة بضبط النفس وأن يعلم أن كل البنات بنات لنبيه وحببيه صلى الله عليه وسلم ويحتاط لعلاقته بالنساء من حوله ويقننها وينظر فيها، ويحاسب نفسه كيف ينظر لبنات نبيه، كيف يحافظ عليهن، كيف يركب وسيلة المواصلات معهن، ويتذكر حب النبي صلى الله عليه وسلم وعطفه وشفقته على العالمين، فنحن قد حصرنا الحب بيننا في الحب الشهبواني للرجل والمرأة، وليس ذلك هو الحب المقصود، إنما المقصود الحب الأبوي النبوي الذي كان يشمل أبا بكر وعمر وأصحابه صلى الله عليه وسلم كان يشمل رجال الأمة ونساءها، وانظر ماذا كان يفعل أهل الجاهلية حينما يرزق أحدهم الأنثى، كان يفزع ولا يهدأ له بال حتى يدفنها حية، ما هذا العنف وما هذه القسوة؟!!

لكن جاء الحبيب الرحمة وقال: ((من عال جاريتين حتى تبلغا كان معي يوم القيامة كهاتين)) وأشار بأصبعيه. ومعنى الحديث أنه من رزق ابنتين ورباهما حتى سن البلوغ لم يقل حتى تتزوجا أو حتى يطمئن عليهما ولكن المطلوب حتى تبلغا، تسع أو عشر سنوات، كان مع النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة، فكيف ينظر الأخ إلى أخته التي سوف تدخل أباه الجنة؟ ليس الجنة فقط ولكن سيرافق الحبيب صلى الله عليه وسلم في الجنة، كيف سينظر إلى أخته بل كيف سينظر إلى أي واحدة من النساء وهي سبب دخول الجنة؟ وكيف أنا أنظر إلى زوجتي أو ابنتي؟ ليست هناك ابنة

تمشي في الأرض إلا وهي طريق للجنة لأحد الرجال، إلا وهي بنت من بنات النبي صلى الله عليه وسلم، إلا وهي فاتحة باباً من أبواب الجنة لأحد؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم هو الذي قال ذلك. تعالوا بنا ننظر هدي النبي صلى الله عليه وسلم في تربية الصحابة على احترام النساء. كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في المسجد بأصحابه وكان يأمرهم بالانتظار بعد الصلاة قليلاً.. لماذا؟! كان يأمرهم بعدم النظر إلى الخلف.. لماذا؟!

لقد كان يصلي الصحابة مؤتمين بالحبيب صلى الله عليه وسلم ووراءهم الأطفال ووراء الأطفال النساء ولم يكن هناك حوائط ولا أسوار؛ لذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر صحابته بالانتظار لختم الصلاة حتى ينصرف النساء لئلا يحدث اختلاط أو تزاحم. انظر للتوازن الذي فعله صلى الله عليه وسلم: لقد سمح للمرأة بالصلاة خلفه، وسمح لها بالتعامل مع المجتمع، وأن تسأل الشيوخ وتبيع وتشتري لكن طلب منها أيضاً أن تضبط نفسها في زيّها وفي نفسها وفي طريقتها، كذلك أمر الرجال بغض البصر وضبط النفس.

انظر إليه صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع، كان صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت ركباً دابته وكان يركب خلفه الفضل بن العباس وكان جميلاً، فجاءت امرأة ((وضيئة)) أي جميلة، فجاءت تسأل النبي صلى الله عليه وسلم في أن أباه رجل كبير ولا يستطيع الحج، أفتحج هي عنه، والفضل ينظر إليها، ونظرت هي أيضاً إليه، فحوّل النبي صلى الله عليه وسلم وجه الفضل. وعلمه أنه يخشى عليه من الفتنة وأمره بضبط النفس، ولا بد أن نعلم أنها كشفت وجهها لأنها كانت محرمة في الحج والفضل كان صغيراً أيضاً. ولم يعاتبها النبي صلى الله عليه وسلم لأنها غير مقصرة ما دامت منضبطة في ملابسها وفي طريقتها. والفضل هو الذي نظر إليها فهو بشر فانظر كيف أدار النبي صلى الله عليه وسلم وجه الفضل بلطف وعلل له لماذا أدار وجهه.

ولعل هذا يذكرنا بموقف المرأة المسلمة النقية الطاهرة التي ذهبت إلى سوق الذهب عند اليهود، وجاء رجل من اليهود فربط طرف عباؤها بأعلاها فلما قامت انكشفت عورتها فقام واحد من المسلمين فقتل اليهودي الذي كشف عورة المسلمة فقتل اليهود هذا المسلم الذي قتل اليهودي، فحاصرهم المسلمون وطردهم النبي صلى الله عليه وسلم.

فالمراة لها أن تخرج من بيتها وتشتري وتبيع، فلربما تخرج مضطرة لأنها لا تجد من ينفق عليها، أو لأن دخلها لا يكفيها، أو ربما لحاجة من حوائج الدنيا كعلاج ونحوه، لكن الأصل أن تخرج منضبطة ويؤدب غير المنضبط، فنحن مجتمع يحترم المراة فالمجتمع المسلم يقدر المراة ويجلها ويحترمها، لكن هناك الكثير لا يفهم ذلك.

في إحدى المرات أخذت زوجتي وذهبتا للمسجد، فدخلنا من باب المسجد ولا نعلم أن هناك باباً للسيدات، وسبقت زوجتي بخطوة وهي خلفي فهتمت أن تدخل المسجد فإذا برجل ينهرها قائلاً: لا تدخل من هنا اذهبي هناك باب لمسجد النساء.

ومرة أخرى دخلت أنا وزوجتي مسجداً نصلي ولم يكن فيه مكان للسيدات ولم يكن هناك حواجز فوقت زوجتي في آخر المسجد وظهرها للحائط وصلت مثل الصحابيات لكن أحد المصلين عاتبها في ذلك.. فهو لا يعلم، فكيف يتحدث فيما لا يعلم؟

النبي صلى الله عليه وسلم علمنا السلام، سلام بين الرجل والمرأة واحتراماً لبنات النبي صلى الله عليه وسلم، ((وأفشوا السلام بينكم)) ((لن تؤمنوا حتى تحابوا -أولاً أدلكم على شيء إذا فعلتموه

تحاببتهم - أفشوا السلام بينكم)). أفشوا السلام، لا يعني أن تقول السلام عليكم فقط ولكن لابد أن يكون هناك سلام بينك وبين الكون كله، فأفشوا السلام بينكم ليس بين الرجال فقط، فامة محمد ليست رجالاً فقط.

تعالوا معاً أقص عليكم قصة حب من واحدة تحب النبي صلى الله عليه وسلم تقول: حينما أردت أن أتحدث عن الحب وأخذت أفكر فيمن كان له فضل في تشغيل أهم عضو من أعضاء الجسم وهو القلب، فوجدت أن الله - سبحانه وتعالى - قد هدانا أجمل هدية وهو محمد صلى الله عليه وسلم الرحمة للعالمين وننظر إليه صلى الله عليه وسلم وهو يتعامل مع أبنائه وزوجاته وأصحابه وأعدائه، فنتعلم الكثير منه ونتعلم منه الحب، الحب للعالمين.

أنت إلى ذهني فكرة وهي مشكلة عامة، أنا أقصد أن أقول عامة؛ لأنه فعلاً لا يوجد بيت في مصدر - وانتقلت العدوى منه إلى الوطن العربي - إلا ويشكو من مديري المنزل ومن المربيات، فمن قائل: هذه تتركني وتمشي، وهذه سرقتني ومن قائل: هذه ليس لها أصل، لأنها تركتني وذهبت لمن أعطاهما أكثر مني بعد خدمة سنوات طويلة.

لماذا كل هذه الشكاوى؟

وفي نموذج أعرفه شخصياً هذا النموذج لسيدة تعمل في بيت أسرة وربت الأولاد حتى كبروا وتزوجوا وذهبت مع ولد من الأولاد وربت أولاده والآن هي تربي أحفاده بعد أن تزوج أولاده فسبحان الله العظيم، ما هذا الاستقرار؟!

وحينما سألت عرفت أنهم يعاملونها معاملة خاصة جداً، وفجأة قفز إلى ذهني الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يعامل زيد بن حارثة - حتى إن أهل زيد جاءوا ليأخذوه فرفض زيد أن يذهب معهم وفضل أن يبقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فسبحان الله، نحن الذين بأيدينا أن نجعلهم يسرقوننا و يهربون منا ونحن بأيدينا أن نجعلهم يحبوننا ويفضلون البقاء معنا عن الذهاب لأهلهم. ولنا الأسوة الحسنة في رسول الله صلى الله عليه وسلم. في نفس الوقت الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: ((ما تركت على الرجال فتنة أضر من النساء)) وكلمة فتنة تعني اختبارة، ترك النساء يتعاملن في الأسواق ويتكلمن لأن لهن كياناً في المجتمع فلم يحجر عليهن الإسلام لكن ذلك الخروج بمعايير لأن الله تعالى خلق الرجال والنساء بينهما انجذاب فطري وهذا هو محك الاختبار، لكن الانضباط هو المسيطر وهو المتحكم. يقول سيدنا عبدالله بن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لعن الله الواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة والفالجة والمتفلجة للحسن المغيرات خلق الله)) (1).

حينما قال هذا الحديث ابن مسعود جاءت امرأة وقالت: ليس هذا في كتاب الله فقال: ﴿وَمَا أَتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: 7]، وتناقش معها وهي تراجعها ويرد عليها ولم يتكبر عليها ويقول أنا من أكبر علماء الصحابة، بل احترمها ما دام ذلك في حدود العلم، وهو قد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ بالرأي في أمور مصيرية، وكذلك اتخاذه يوماً منفصلاً لتعليم النساء وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((النساء شقائق الرجال)).

ويجلس النبي صلى الله عليه وسلم والنساء حوله يتكلمن معه، أصواتهن عالية ويسألنه ويجيبهن فدخل سيدنا عمر فابتدرن الحجاب فضحك النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له سيدنا عمر: أضحك الله سنك يا رسول الله! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((عجبت من هؤلاء النساء يستكثرن

عليّ (أي يكثرن الحديث معي)، فلما رأيته ابتدرن الحجاب))، فقال سيدنا عمر: أي عدوات أنفسكن أتتهنني ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقلن: نعم إنك أفظ وأغلظ. فهن متعودات على لطفه صلى الله عليه وسلم وعطفه فكن يحدثنه يحب وود وهو يحادثهن بحب أبوي نبوي وطلب منا جميعاً أن نفشي السلام بيننا وأن نتحاب كأهمل، كزوجة، كأخت، كزميلة، نتعامل معها أنها بنت لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

حينما أتى الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة جاءت أم سليم وقالت للرسول صلى الله عليه وسلم: إنني بحثت عندي عن أعلى شيء فلم أجد إلا أنسأ ابني فاستخدمه؛ يعني اجعله خادماً. وهذه أم عمارة السيدة نسيبة بنت كعب في غزوة أحد لما انكشف المسلمون عن النبي صلى الله عليه وسلم وظنوا أنه قد قتل تقف أمامه أم عمارة بالسيف، ويأتي عبدالله بن قمنة فيضربها بالسيف على كتفها ويأتي إليها ابنها حبيب بن زيد فنقول له: ارجع دونك رسول الله الحق بالنبي حبيبنا... ويأتي إلى النبي فيقول له النبي الرحيم: دونك أمك أي ارجع إلى أمك، هذا المعلم صلى الله عليه وسلم يعلمنا الحب، ويعلمنا السلام.

وانظر إلى هذه المرأة المؤمنة حينما جاء المسلمون من غزوة أحد فقيل لها: مات زوجك وابنتك وأخوك فقالت: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: إنه بخير، فقالت: لن يهدأ لي بال حتى أراه، فلما رآته اطمأنت وقالت له: كل مصيبة تهون بعدك يا رسول الله. يا رسول الله أنت الذي أنرت قلوبنا وجعلت للنساء قيمة كن يفقدنها، فأنت يا رسول الله مصدر الحب للإنسانية وأنت الذي شرف الله بك النساء يا سيد المحبين والمحبوبين.. صلوا على النبي صلى الله عليه وسلم.

الخلاصة

- بنات هذه الأمة هم بنات للنبي محمد صلى الله عليه وسلم.
- على كل رجل أن يحسن معاملة نساء الأمة؛ لأن منهن أمه وأخته وزوجته وابنته.
- الإسلام كرم المرأة وصان عفتها وأعلى من قدرها.
- على رجال هذه الأمة غض البصر عن النساء حتى لا تقع فتنة بينهم.

(1) رواه البخاري رقم (2238).

22- حبّ الخدم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحبّهم لهم

وقصة الحب هنا هي حب الرسول صلى الله عليه وسلم لخدمه وحب الخدم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، أي أن العلاقة بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين خدمه هي علاقة قائمة على الحبّ وقصة الحبّ هذه التي عاشها الرسول صلى الله عليه وسلم مع رب العالمين أولاً، أثمرت أجلاً الثمار وأعظمها متمثلةً في هذا الحب الكبير الذي أفاض به الرسول صلى الله عليه وسلم على من حوله من العاملين معه والخدم الذين يخدمونه.

السر في إفشاء الحب والرحمة

وعندما نتحدث عن مفهوم الحب نجد أن الكثير من الرؤساء في العمل أو أصحاب البيوت قد يفقدون ولاء العاملين والخدم وانتماءهم لفقدان الحب وغيابه أثناء إدارته العاملين وتوجيهه وإرشاده الخدم عند وقوعهم في الأخطاء، بمعنى أنّ المدير في مصنعه والرئيس في مصلحته والسيد في داره وربة البيت في منزلها قد تفقد ولاء المرءوسين والخدم لعدم قيام العلاقة بينهم على الحب والوئام كما كانت بين الرسول صلى الله عليه وسلم والمحيطين به والعاملين معه والقائمين على خدمته.

واقتضت المشيئة الإلهية والحكمة الربانية أن يرفع الله أقواماً ويخفض آخرين ويجعل بعض الناس أغنياء وبعضهم فقراء حتى يكونوا في حاجة إلى بعضهم البعض وحتى تكون العلاقة قائمة على الحبّ والمودة كما علمنا رسول الله وليست قائمة على التعالي والزجر والنهر والتعنيف والتقريع. يقول الله تعالى: **وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا [الزخرف:32]**.

ومعنى ذلك أن الله - سبحانه وتعالى - سخر بعض الناس لمنفعة البعض في الهيكل الوظيفي نجد الرئيس والمرءوس وصاحب مصنع وعمالاً يعملون في مصنعه، وربة منزل وخدمة تساعدها في أعمال البيت.

والسؤال الذي يطرح نفسه: كيف يعيش هؤلاء جميعاً قصة الحب التي عاشها الرسول صلى الله عليه وسلم مع خدمه والعاملين معه والمحيطين به؟

مفهوم الحب الذي حكم العلاقة بين الرسول صلى الله عليه وسلم والمحيطين به كان دافعاً قوياً لتحريك الخير في نفوس المسلمين المحيطين بالرسول صلى الله عليه وسلم فلقد تناول المفسرون قول المولى عزّ وجلّ على لسان سيدنا لوط: **قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ... [هود:78]**، فقد قصد سيدنا لوط ببنااته هنا نساء أمته ومن هنا بيّن المفسرون أن نساء الأمة هن بنات النبي صلى الله عليه وسلم وأصبح النبي أباً لبنات المسلمين.

هذا المفهوم الذي وضحته هذه الآية الكريمة غير الكثير من مفاهيم الشباب والفتيات وبلور علاقة الحب القائمة بين الرسول صلى الله عليه وسلم ومن يحيطون به وكان ذلك محرّكاً للخير في نفوس المحبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن صور الخير التي تحركت في الشباب المحبّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

1- بعض الشباب قرروا ألا يعاكسوا الفتيات، وكيف يعاكسون فتيات هن بنات الرسول صلى الله عليه وسلم؟ ولن يكتفوا بذلك بل سينصحون أصدقاءهم ومعارفهم بألا يعاكسوا البنات ومن هنا نحافظ على بنات المسلمين وبنات العالمين.

2- صارت بعض الفتيات يفتخرن بهذا الحب النبوي الأبوي وكيف لا تفتخر الفتاة وهي بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وتتعم بحبه الأبوي؟!]

3- أخذت بعض الفتيات على أنفسهن عهدًا ألا يفعلن شيئًا إلا بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن كيف تستأذن الرسول وهو ليس موجودًا بيننا؟! إذا كان الرسول غير موجود بيننا؛ فإن سنة الرسول وأوامره ونواهيه موجودة وكلامه ووصاياه موجودة بيننا. يقول الله تعالى: وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب: 71] ويقول سبحانه أيضًا: وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ [الفتح: 17].

4- بسبب هذا الحب بدأت الفتيات يخشعن في صلاتهن إحساساً منهن بحب الرسول صلى الله عليه وسلم وأصبح الحب محرِّكاً لكل دوافع الخير بداخلنا وتختلف صور الخير باختلاف قدرات الفرد المحب فالقائد خالد بن الوليد تجلّت قدرته في الجهاد فأصبح قائداً عظيماً يحرك الجيوش ويخوض المعارك ويحقق الانتصارات، وأبو هريرة عبّر عن حبه في باب تحديث الأمة بكلام النبي وهذا يعني أنه عندما يسود الحب سيتحرك الجميع تجاه الله، كلٌّ حسب قدراته.

السؤال الذي يطرح نفسه لدى الكثير منا عندما نتحدث عن رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم بخدمته؛ وهو: كيف يستطيع الإنسان أن يصل في رحمته بالخدم والمرعوسين إلى رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم؟ فلسنا بأنبياء حتى نصل في رحمتنا إلى رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم وليس خدمنا ومرعوسونا في مرتبة خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من ناحية ومن ناحية أخرى يعتقد البعض أن الرحمة قد تؤدي إلى خلل ما في الإدارة والعلاقة بين الرئيس والمرعوسين وبين ربة المنزل والخدمة؛ ولكننا نستطيع أن نقول ونخاطب هؤلاء جميعاً بأن الحب لا بد أن يسود بينهم جميعاً حتى يكون كلٌّ حبيب قريباً من حبيبه وتزول كل الفوارق بين المحبين؛ بين رئيس العمل وعماله وبين الرئيس والمرعوس وبين ربة البيت والعاملة والله المثل الأعلى نتعلم كيف يكون الحب بين المحبين وكيف تذوب الفوارق وتتلاشى فيتحرك الخير في النفوس. ونسوق الأمثلة لهذا الحب الرباني:

- الله - سبحانه وتعالى - يتقرّب من عباده ويزيل الوساطة بينه وبين العباد فيقول: وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ... [البقرة: 186].

- من صور التنزل الإلهي لعباده واستشعاراً للعباد بهذا الحب أن الله يقترض من عباده. انظر إلى قوله تعالى: (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ...) [الحديد: 11]، ومنه قوله تعالى: (إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ..) [التغابن: 17].

وهذا قد يدفع البعض إلى السؤال: كيف يقترض المولى - عز وجل - منّا وهو مالك السماوات والأرض؟ ولكننا عندما نلمس رد فعل الصحابة للخير نجد أنه لا مجال لهذا التساؤل فقد قام أحد الصحابة وهو أبو طلحة الذي تصدّق ببستان به ستمائة نخلة كان من الممكن أن يكون به ثرياً غنياً لأنه فهم هذا التنزل الرباني على أنه حبٌّ من الله لعباده فدفعه هذا الحب وحرك فيه ذلك الخير الذي تمثل في هذه الصدقة.

من صور التنزل الرباني أيضاً ما ورد في حديث البخاري ((عبدِي مرضت فلم تعدني)) حديث البخاري، قال: كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: ((مرض عبدِي فلان فلم تعده ولو عدته لوجدتني عنده))⁽¹⁾؛ فالحديث يكشف لنا عن مدى حبِّ الله لعباده؛ ينسب لنفسه المرض وهو العلي الكبير؛ فإذا زار العبد أخاه المريض لوجد الله عنده برحمته وحبه وحنينه وهذا يشجع الناس على زيارة المرضى.

من صور الحب الرباني لعباده أيضاً عفوهُ عن عبده المذنب المسيء ما لم يشرك بالله وبالرغم من خطأ العبد ومعصيته لله - عزَّ وجلَّ- فإن الله يخاطب عبده قائلاً له في سورة الزمر: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ... [الزمر: 53]، أنا أسرفت على نفسي وبالرغم من ذلك تدعوني إلى عدم الإسراف في تأنيب النفس وتقريعها وعدم القنوط من رحمة الله؛ لأن الله يغفر الذنوب جميعاً ولا يغفر أن يشرك به، كما أن الله - سبحانه وتعالى - يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل. هذا هو الحب الرباني الذي استلهمه الرسول صلى الله عليه وسلم في حبه لخدمه ولمن يعملون معه وفي طريقة تعامله مع المحيطين به؛ وهذا ما دفع خادم الرسول صلى الله عليه وسلم أنس بن مالك الذي خدم الرسول منذ أن كان عمره عشر سنوات عندما حكى عن ذكرياته مع الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: عندما جاء الرسول أضاء من المدينة كل شيء - وكان يقول: ((خدمت النبي عشر سنين فما قال لي شيء فعلته لم فعلت ذلك وما قال لي شيء لم أفعله هلاً فعلت ذلك))⁽²⁾.

إن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن ليسأل خدمه لم فعلت هذا، ولم لم تفعل هذا، ولعل سائلاً يسأل: هل هذه المعاملة تصلح في زمننا هذا؟ فالرئيس إذا لم يوجه ولم يرشد فلن يحدث شيء؛ فالدنيا تختلف عن دنيا الرسول صلى الله عليه وسلم. نحن نعلم ذلك ولكن تعالوا نضع قاعدة تحدد لنا أنواع الخطأ فهناك أخطاء تفسد الحب وتقطع العلاقة وهناك أخطاء مبنية على الطبيعة البشرية؛ ولذلك سوف نجد أناساً طيبين، أخلاقهم كريمة، وسنجد عكس ذلك فالخدم في المنزل والعمال في المصنع ما هم إلا من هؤلاء البشر منهم من يعترف بالجميل ومنهم من ينكره ومنهم من يعترف بالفضل ومنهم من لا يعترف، ومنهم من يسمع الكلام ومن لا يسمع ومنهم من يحاول الإساءة إليك مع أنك تحسن إليه؛ ولذلك علمنا الرسول صلى الله عليه وسلم في سنته الكريمة إذا كان الخطأ متعلقاً بالطبيعة البشرية؛ كأن يكسر الخادم شيئاً في المنزل أو أساء معاملة ابنك؛ أن يكون العلاج بالتوجيه والإرشاد والحب والحنان بمعنى: عامل الناس كما تحب أن يعاملوك. فلو كنت أنت الخادم أو المرءوس كيف كنت تحب أن يعاملك الآخرون؟ فلو عاملت خادمك أو مرءوسك عند الخطأ البشري بالتعنيف والشتيمة فقد انتماه وحبه لك وقد حماسه في العمل وكان عطاؤه وأداؤه بلا روح، ولو كان الطريق إلى معالجة الأخطاء البشرية بالحب والتوجيه والإرشاد لاستطعنا معالجة الكثير من الأخطاء البشرية أما الأخطاء الأخرى التي تقع دون قصد وتعتمد أو نتيجة للنسيان وعدم القصد فيجب التسامح والعفو عنها؛ أما إذا كانت الأخطاء في أصل العلاقة فلا يمكن التسامح فيها كما يتكبر البعض من البشر مع أنه ضعيف على المولى - عزَّ وجلَّ. فهذا خطأ في أصل العلاقة في حاجة إلى وقفة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر))⁽¹⁾.

فلو كان العامل أو الخادم خائنًا أو سارقًا فلا بد من الحزم في مثل هذه الأمور ولا بد من وقفة وأن يبحث عن حقه المسروق كما أوصانا الرسول صلى الله عليه وسلم عندما سرقت امرأة مخزومية: ((والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)) (2) فالحزم في مثل هذه الأمور من شأنه أن يمنع انتشار الجرائم وفيه تربية ورحمة للسارق.

ونحن نقرر هذه القاعدة؛ لأن الأخطاء التي تحدث في بيوتنا نفقد فيها ولاء الخادم أو الخادمة أو العامل بسبب أننا عند الأخطاء البشرية المرتبطة بالنسيان وعدم القصد يكون رد الفعل أكبر من الخطأ، فلو عالجنا الأخطاء بحب؛ لأصبح عند الخادم ولاء وحب لنا.

لقد حكى لنا سيدنا أنس حكاية مؤداها ومفادها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يراعي طبيعته عندما كان طفلاً يحب اللعب وأمره الرسول صلى الله عليه وسلم بقضاء بعض الحاجات ولكن سيدنا أنسًا دون قصد منه انشغل عما طلبه الرسول صلى الله عليه وسلم باللعب مع الأطفال فأمسكه الرسول صلى الله عليه وسلم من قفاه وقال: ((أي أنيس هل ذهبت إلى ما أمرتك به؟)) فقال له: إني ذاهب يا رسول الله. فضحك النبي (3) ومن هذه الحكاية يتبين لنا:

– أولاً: أن النبي صلى الله عليه وسلم مدرك طبيعة سيدنا أنس أنه طفل صغير عمره حينذاك عشر سنوات ويخدم النبي صلى الله عليه وسلم ومن الطبيعي أن ينشغل باللعب عما طلبه الرسول صلى الله عليه وسلم: فالنبي راعى ثقافته وسنه وطفولته ومن هنا لو اقتدينا بالرسول صلى الله عليه وسلم في مراعاة خدمنا وعمالنا لاكتسبنا حبهم وجمال عشرتهم.

– وموقف آخر نسوقه للدلالة على مدى فهم الرسول صلى الله عليه وسلم ومراعاته لنفسية العاملين معه؛ لقد كان خالد بن الوليد أميرًا للجيش وبأمر من الرسول صلى الله عليه وسلم للجنود الذين كانوا خلف قيادة خالد أن من يقتل مشرغًا يأخذ سيفه ودرعه وحصانه وفي يوم من أيام المعركة تمكن أحد المسلمين الشجعان من قتل عدد كبير من المشركين فأصبح نصيبه من الأسلاب كبيرًا فأمر سيدنا خالد بتوزيع هذا السلب على غيره من الجنود فذهب هذا الصحابي وشكا خالدًا إلى رسول الله فأمّر الرسول خالدًا بإعطائه حقه كاملاً كما وعدوا بذلك. وحدث أن جذب هذا الرجل سيدنا خالدًا من عباة قائلاً له: ألم أقل لك إني سأخبر محمدًا وما هو قد حكم إلى بذلك؟! فلما رأى الرسول صلى الله عليه وسلم هذا التجاوز في معاملة الجندي لقائده قال له الرسول: لا تعطه يا خالد، هل أنتم تاركو لي أمرائي؟ فانظر إلى التوازن الذي أحدثه الرسول والحزم الذي عالج به الرسول هذه القضية عندما أساء هذا الرجل معاملة القائد خالد فأمر بنزع الحق عنه تأنيبًا له لأنه أخطأ في أصل العلاقة وهذا حزم وتربية.

ولنعلم جميعًا أن الخادم الأمين أو الخادمة الأمينة أصبحت عملة نادرة في هذا الزمن وأن أهل البيت عندما يرون أمانة الخادم أو الخادمة ومدى حرصهما على حاجة صاحب البيت فلن يتأخر أصحاب البيت عنهما بشيء.

ونختم هنا بحديث عن صور من الحب القائم بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وخدمه، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو لهم ويساعدهم على استقرار حياتهم ويشاركهم حياتهم ومن هذه الصور:

الصورة الأولى: عندما دعت أم أنس الرسول صلى الله عليه وسلم إلى طعام؛ فذهب النبي وهو صائم فإذا بأم أنس تقول للرسول: عندك لي خويصة وطلبت من الرسول صلى الله عليه وسلم أن

يدعو لأنس ابنها وخادمه؛ فيقول سيدنا أنس: فما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيرى الدنيا والآخرة إلا دعا لي بهما؛ فأصابته دعوة النبي فأصبح من الأغنياء الموسرين وكان عنده أكثر من مائة ولد وحفيد بسبب بركة دعوة الرسول.

اللهم ارزقنا من خيرى الدنيا والآخرة

صورة أخرى من خدام الرسول صلى الله عليه وسلم وهو سيدنا ربيعة بن كعب الأسلمي الذي لازم الرسول ولم يفارقه أبداً في يقظته ومنامه وكان يلزم بيت الرسول صلى الله عليه وسلم عسى أن يحتاج الرسول صلى الله عليه وسلم شيئاً ويظل يسمع تسييح الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يغالبه النوم. وفي يوم من الأيام رآه النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: ((يا ربيعة سلني أعطك)) (1). وربيعه يعرف قدر الرسول صلى الله عليه وسلم عند ربه فعلم أن مسأله مجابة ففكر في متاع الدنيا فعلم أنه زائل لا محالة وأن نعيم الآخرة هو الباقي فقال له: يا رسول الله اسأل ربك أن يجعلني رفيقك في الجنة فقال له الرسول: إذن أعني على نفسك بكثرة السجود؛ وما كان الرسول ليقول له: سلني أعطك إلا لأنه رأى من ربيعة الحب والولاء وتجلي ذلك في رغبته أن يكون رفيقاً له في الجنة.

وعندما عرض عليه أن يتزوج فرفض في المرة الأولى خوفاً من انشغاله بالزواج عن مرافقة الرسول وعرض عليه الأمر مرة أخرى فرفض، حتى عرض عليه الثالثة فوافق على أن يرافق الرسول بعد الزواج فإذا بالرسول يدبر له كل أمور الزواج فدله على العروس مرسلأ إياه إلى أهل بيت من الأنصار الذين رحبوا برسول رسول الله ودبر له أمر المهر والوليمة وتزوج سيدنا ربيعة بن كعب ببركة حب النبي الذي يعلم شتى التفاصيل في بيوت خدامه فقد ساعد خادمه في كل أمور زواجه وساعده على الاستقرار.

وخلاصة القول من خلال هذه الحكايات أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يدير العلاقة بينه وبين المحيطين به بالحب الذي استلهمه من رب العالمين.

الخلاصة

- استلهم حبك لخدمك من النبي صلى الله عليه وسلم.
- كان النبي صلى الله عليه وسلم يعامل خدمه بكل حب وحنان وكأنهم أبناء له.
- عامل الناس كما تحب أن يعاملوك.
- عالج الأخطاء التي تحدث من الخدم بحب ورفق حتى يكون ولاؤهم لك.

* * *

- (1) رواه مسلم رقم (4767).
- (2) رواه البخاري رقم (5698).
- (1) رواه مسلم رقم (156).
- (2) رواه البخاري رقم (3306).
- (3) (الحديث في صحيح الإمام مسلم).
- (1) سبق تخريجه.

23- رسائل حب

لدي إحساس بطاقة حب كبيرة تجاه كل القراء. هذه رسائل حب ترسلونها للنبي عليه الصلاة والسلام، هذه الرسائل يظن البعض منكم أنها صغيرة، وأقول إن أي تصرف يصدر عن القلب فهو عمل عظيم وكبير عند سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأيضاً عمل كبير عند الله سبحانه وتعالى ما دام صادراً من القلب، وهذه الرسائل تجعلني أعيش قصة حب مع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

أحبائي: وصلنتي رسالة تقول: ما الفرق بين بنات النبي وقوله تعالى: (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ...) [الأحزاب: 40]؟

أقول إن النفي ينصب على أبوة النسب، والرسول صلى الله عليه وسلم في بادئ الدعوة كان يتبنى ((زيد بن حارثة)) فنزل القرآن بتحريم التبني بعد ذلك في قول الله تعالى: (أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ...) [الأحزاب: 5] وكان زيد بن حارثة يسمى زيد بن محمد فالغي التبني الذي كان يحدث في صدر الإسلام، والرسول صلى الله عليه وسلم ليس أباً أحد من رجالنا نسباً، لكن هناك أبوة تربطنا به هي أبوة روحية شريفة.

وتقول واحدة في إحدى رسائلها: أصبحت أتابع كتاباتك حتى أرتوي من حب النبي صلى الله عليه وسلم وحين يسألني رسول الله: ماذا عملت لنصرتي؟ أقول له: إني جعلتك أمام عيني في كل تصرف من تصرفاتي. وعاهدت نفسي أن أحب النبي أكثر وأكثر، وعقدت النية على ذلك. وفي الفجر رأيت سيدنا محمداً في المنام يرتدي ثوباً أخضر، وأمسك بيدي وطلبت منه أن يحضني ففعلت وجلست تحت قدميه وكنت أقول: يكفيني.. يكفيني وقال: كل ما يهمني أن أراكم سعداء. والنبي محمد صلى الله عليه وسلم علمنا كيف نعيش بالحب في حياتنا وكيف نتعامل بالحب مع من حولنا.

فهمت منك أن كلاً من الرجل والمرأة لا بد أن يضبط نفسه في حياته ومعيشته، هي مثلا لا بد أن ترتدي الحجاب، والرجل يغض بصره.

كنت أتألم حينما أرى الشباب يعاكسوننا، وبدأت ألوم نفسي، فأنا محتاجة لضبط النفس على شرع الله في المظهر والمخبر. وعلى الشباب أن يلتزم أكثر وأكثر بسمات الرجولة وابتعد عن معاكسة البنات وكل ذلك في حب الله وحب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

وعن نفسي كنت أغش في الامتحان من أجل النجاح. وأنا من اليوم فصاعداً لن أقدم على الغش من أجل حب الله وحب النبي صلى الله عليه وسلم.

وكنت أتعامل مع جيراني بطريقة غير لائقة لأنهم غير متعلمين وأسلوبهم في التعامل غير لطيف. لكنني بيني وبين نفسي طمعاً في حب الله وحب رسوله قررت أن أغير طريقتي معهم في المعاملة. وقررت أن أضبط نفسي في كل أمر؛ في مشيتي في الشارع وطريقة كلامي مع الناس وأن أغض بصري لأن أبي الروحي محمد صلى الله عليه وسلم.

كما أنني صدرت أتعامل مع أهلي بكل حب واحترام، وكلما طلبوا مني شيئاً أسارع بالإجابة لأن هذا هو ديننا وهذه هي شريعتنا، وأصبحت أُمي فخورة بي وبتمسكي بديني في تعاملتي في دنياي، كما أنني بدأت أحس بالخشوع أكثر وأكثر في صلاتي وفي قراءتي للقرآن. أقول: هذا هو سلطان الحب حينما يملك من قلب الإنسان فيشيع الحب في كل ما حوله ومن حوله.

**سلطان الحب
حينما يملك من
قلب الإنسان
يشيع الحب في
كل ما حوله
ومن حوله**

أنتقل بكم إلى ظاهرة أخرى وهي ((ظاهرة التكلف)).

حينما نرى بعض الناس يتصرف على غير طبيعته و يعطي نفسه حجماً غير حجمه. مثل هذا الشخص يجعل بينك وبينه حائلاً و جداراً اسمه التكلف.

والله سبحانه وتعالى يخاطب نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم.

﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ [ص: 86] **فالله** وصف نبيه بأنه بسيط وغير متكلف في دعوته للحق.

و حينما تريد أن تحبب الناس فيما تدعو إليه كي توصلهم إلى بر الأمان ويغيروا من سلوكهم، لا بد أن يشعر هؤلاء المدعوون أنك منهم وغير متعالٍ عليهم. ورسولنا ﷺ يعلمنا حينما نريد أن نصلح في الكون ألا ننظر إلى الناس بتعالٍ أو غطرسة على أنهم تافهون وأفكارهم تافهة. فهذا شعور ليس بشعور الصالحين وإنما هو شعور الغافلين.

و حينما تحب أن توجه الناس لا بد أن يشعروا بأنك تقف بجانبهم وترتقي بهم لما هو مطلوب منهم، لا أن تقف في برج عاجي وتقول لهم: اخرجوا من الخيبة التي أنتم فيها. بذلك تكون قاسياً في تعاملك معهم ولا ينفعم نصحك بل يجعل بينك وبينهم حائلاً.

ونضرب أمثلة للبعد عن التكلف.

كان النبي صلى الله عليه وسلم جالساً مع الصحابة ودخل عليهم شخص غريب لا يعرف النبي من وسطهم لأنه كان يتعامل معهم بكل بساطة ولا يتميز أو يتعالى عليهم، وما ذلك إلا للحب الذي يربط بينه وبينهم وفي البخاري يصف سيدنا أنس بن مالك حبهم للنبي فيقول: كان أحب واحد لدينا النبي محمد صلى الله عليه وسلم وما كنا نقوم له حين يدخل علينا لأنه كان يكره ذلك منا، ومع ذلك حينما جاء سيدنا سعد بن معاذ يوم الخندق ودخل على الصحابة قال النبي صلى الله عليه وسلم ((قوموا لسيدكم)).

وفي الترمذي يحكي سيدنا سمرة بن جندب يقول: كنا نقعد مع النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة جالسون حوله يتناشدون الشعر ويذكرون أموراً من الجاهلية والرسول ساكت وبيبتسم. وكان إذا تحدث أحد من الصحابة عن الآخرة تحدث معنا وإذا تحدث أحدنا عن الدنيا تحدث معنا وإذا تحدثنا عن الطعام تحدث معنا.

فكان الرسول صلى الله عليه وسلم حينما كانوا يتحدثون عن الدنيا يتحدث معهم ويعلمهم أمور دينهم ويقول: ((إن الدنيا مزرعة الآخرة)) ولا يقول لهم دعوكم من الدنيا وما فيها.

الدنيا مزرعة الآخرة

وكان النبي ذات يوم يركب بغلة ويردف خلفه أحد الصحابة يقول الصحابي الذي كان يركب خلف النبي: التفت إلي النبي وقال لي: ((هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت (وأمية كان كافرًا) فأنشده بيتًا قال ((هيه)) (يعني كمان)، قال: ((حتى أنشدته مائة بيت))). ولا يخفى عليك الصحابي الذي اشتكى للرسول صلى الله عليه وسلم أنه لا يثبت على بعيره، يقول ذلك الصحابي: فضرب النبي بيده على صدري وقال: ((اللهم ثبته واجعله هاديًا مهديًا)) (1) قال الصحابي: فما سقطت بعدها عن بعيري.

دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وفد من بني مزينة وسلموا على النبي، وحاول واحد منهم أن يتأكد من وجود خاتم النبوة عند سيدنا المصطفى صلى الله عليه وسلم فأدخل يده في ظهر النبي تحت ثوبه ليتأكد من وجود الخاتم أمام جمع من الناس والوفد يبائع النبي على الإسلام والاتفاق على نصرته والنبي يدعو له بالهداية. وجاءت امرأة من بني شيبان من أجل أن تباع النبي على الإسلام والنصرة، **فحين رآته صلى الله عليه وسلم أصابتها رعشة فقال لها: ((يا مسكينة عليك السكينة))، تقول فذهب عني الخوف.** انظر أخي المسلم إلى عطفه وحنانه وحبه في هذه القصة:

دعاء:
اللهم ثبتنا
واجعلنا هداةً
مهديين

في إحدى الغزوات في رمضان خرج الصحابة للجهاد وبعضهم مفطر- أخذًا بالرخصة - وبعضهم صائم، والنبي في المقدمة أمام القوم على بعيره ويؤتى إليه بقدر من اللبن فيشرب أمامهم ليعرفوا أنه مفطر. وكأنه صلى الله عليه وسلم يقول لهم: سيروا بسير أضعفكم فحن في سفر. ويقوم المفطرون بالمهام الشاقة في السفر فيقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((ذهب المفطرون بالأجر)) (2). وانظر إلى موقفه مع الفضل بن العباس زمن الحج و كان رديف رسول الله على ناقته، وجاءت امرأة وضيئة تسأل النبي في الدين فوقف لها النبي وأخذ يجيبها عن سؤالها والفضل ينظر إليها معجبًا بحسنها والنبي يصرف وجه الفضل عنها مرة ومرتين. هذا هو تصرف النبي صلى الله عليه وسلم مع الفضل فلم يعنفه على فعلته هذه.

وأحياناً ونحن في الحج نرى أناساً يدخنون السجائر ونعنفهم على هذا المشهد، وهم من جانبهم يتمنون لو لم يتقابلوا معنا وبدلاً من التعنيف والتوبيخ على فعلهم هذا كان يمكن تقديم النصيحة لهم بالحسنى، وأنه لا شك أن كلاً من هؤلاء المدخنين يدخر في دخيلة نفسه حباً لله وحباً لرسوله صلى الله عليه وسلم ونقول لأحدهم: **مادمت في حب الله وحب رسوله فالأحرى بك ألا تقدم على فعل يكرهه حبيبك المصطفى صلى الله عليه وسلم.**

وتعالوا يا إخواني نتعلم مما روته السيدة عائشة – رضي الله عنها - كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي وقته في البيت.

تقول: كان يخصف نعله ويكون في خدمة أهله ويحلب شاته.

ونستطيع بحبنا لله ولرسوله الكريم أن نتأسى به صلى الله عليه وسلم في أفعاله. لا شك أن هناك فقراء ومساكين يحتاجون إلى المساعدة في حياكة الثياب التي تمزقت فتصلح من شأنها رافة بهؤلاء المساكين.

وأختم حديثي معكم بقصة إهداء ثوب من حرير من أحد الملوك.

وحين دخل هذا الثوب على النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه: ((لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير من هذه)) (1).

أما زلت يا رسول الله تذكر صاحبك سعد بن معاذ وتتعامل ببساطة مع أحبائك يا حبيب ويا من علمت أمتك كيف يعيشون بالحب وكيف يموتون بالحب؟ فصلاةً وسلاماً عليك يا حبيب الله.

الخلاصة

- تعلم من النبي محمد صلى الله عليه وسلم الأخلاق والمعاملات مع الخلق.
- النبي صلى الله عليه وسلم كان محباً عطوفاً وكريماً مع صحابته الكرام.
- لا تفعل شيئاً يكرهه النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن ما يُغضب النبي صلى الله عليه وسلم يغضب رب العالمين.
- تعلم من النبي صلى الله عليه وسلم وساعد أهلك فكان – عليه الصلاة والسلام – يساعد أهله في أعمال البيت.
- تأسّ بالنبي صلى الله عليه وسلم في كل أفعاله وأعماله.

* * *

(1) رواه البخاري رقم (3020).

(2) السنن الكبرى للبيهقي رقم (8414).

(1) رواه البخاري رقم (3802).

24- كيف قال الله - عزَّ وجلَّ - للنبي صلى الله عليه وسلم: أحبك؟

نحن في حاجة شديدة إلى حب صادق بإخلاص كي نسعد في حياتنا وهذا لن يأتي من فراغ بل يحتاج إلى بذل مزيد من الجهد والتعب، ولا بد من التضحية من أجل استمرار الحب بين الناس؛ وبهذا يسعد المجتمع ويزدهر وتنتشر فيه روح المحبة والسلام.

لقد امتلأ قلب النبي صلى الله عليه وسلم بالحب لربه ثم فاض هذا الحب على كل جوانب حياته صلى الله عليه وسلم فكل شيء كان يفعله النبي صلى الله عليه وسلم من منطلق الحب؛ حبه لأصحابه، لزوجاته، لبناته، حبه للمسلمين الطائع منهم والعاصي، فكان يحب الخير للكافرين ويدعو لهم ليل نهار بالهداية رغم أنه صلى الله عليه وسلم كان يحاربهم حتى يعلمهم الحب وهم يفتقون في طريق هذا الحب الذي يريد النبي صلى الله عليه وسلم نشره برسائل الحب. فيقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107] فكان النبي صلى الله عليه وسلم يتعامل بالحب والود والتسامح والعطاء وقد تعلم هذا من رب العالمين سبحانه وتعالى.

وموضوعنا هذا لن نتحدث فيه عن كيفية حب الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم وعن حب زوجاته له، ولا عن الكفار وكيف كانوا يحترمون النبي صلى الله عليه وسلم ويتحدثون عن عظمة أخلاقه لكننا سنتحدث عن **الله** سبحانه وتعالى وكيف قال للنبي صلى الله عليه وسلم كلمة (أحبك). فنحن لم نسمع كلمة (أحبك) في القرآن الكريم من رب العالمين للنبي صلى الله عليه وسلم، وليس دائما كلمة (أحبك) تظهر بين الأحبة في العلن أمام الناس لأنه في الغالب ((الحب أسرار)).. ومن الممكن أن يقولها سبحانه وتعالى للنبي صلى الله عليه وسلم يوم المعراج: (فَأَوْحَىٰ إِلَيَّ عَبْدِي مَا أَوْحَىٰ) [النجم: 10].

ومن الممكن أن يقولها له يوم القيامة، وما خفي كان أعظم فهذا في علم الغيب. فبرغم أننا لم نقرأ آية في القرآن الكريم نفرح بقول **الله** عزَّ وجلَّ فيها للرسول صلى الله عليه وسلم كلمة (أحبك يا محمد) وعلى الرغم أيضا من أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد اشتهر بين الناس بـ (حبيب الرحمن) فإن هناك بعض رسائل الحب التي وصلت للنبي صلى الله عليه وسلم من **الله** عزَّ وجلَّ تدل على حب **الله** عزَّ وجلَّ له صلى الله عليه وسلم فقد رفع ذكره وكبر شأنه أمام كل مخلوق في الدنيا والآخرة بل قبل خلق الدنيا وبعد فناء الدنيا.

ومن أكبر الدلائل على حب الله عزَّ وجلَّ للنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيم شأنه أنه ما من لحظة في الدنيا إلا ونسمع فيها الصلاة على الحبيب صلى الله عليه وسلم وخاصة عند سماع الأذان وكذلك عندما يقف الإنسان بين يدي الله عزَّ وجلَّ فيكثر من الصلاة على الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم.

ولنعلم جميعاً أن رضا النبي صلى الله عليه وسلم هو رضا رب العالمين، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ...﴾ [النساء: 80]. وقال أيضاً ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: 54]، وقال أيضاً ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [آل عمران: 31]... فهذه دلائل على قوة العلاقة بين النبي صلى الله عليه وسلم ورب العالمين عزَّ وجلَّ.

وأيضًا من مظاهر حب الله للنبي صلى الله عليه وسلم أن الصلاة لا تصح
بغير الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد، مع أن
التشهد يبدأ بقول (التحيات لله) أي أنا في الحضرة الإلهية بين يدي
الله ويرتبط بذلك السلام على الحبيب بكاف الخطاب وكأنه حاضر
معك وكأنه في قلبك ((السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين...)).

ثم نختم التشهد بفرص لا تختم الصلاة إلا به وهو ((اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما
صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد...)) ونتيجة لهذا
الشرف نجد الصحابة رضوان الله عليهم يتسابقون للقرب أو الزواج من نسل النبي الشريف. وتقف
متعجبًا، فهو الوحيد في الكون كله بعد وفاته بألف وأربعمائة عام يتذكره الناس ويزورون قبره
الشريف ويدعون الله عزَّ وجلَّ أن يحشروا معه وينالوا شرف مجاورته صلى الله عليه وسلم،
فالكل يدعو أن يزور قبر النبي صلى الله عليه وسلم والكل يحب الرسول صلى الله عليه وسلم لأن
الله عزَّ وجلَّ رفع ذكره في قلوبنا وصدورنا، فهو الحبيب. وقد وضع الله عزَّ وجلَّ كلمة
(الحب) في كل صدر وفي كل قلب يحب ويعظم النبي صلى الله عليه وسلم.
سيدنا عمر بن الخطاب حبيب النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن الله يقبل الدعاء الذي يبدأ
بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

ومن دلائل حب الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم نصره على
من يحاربه ورفع ذكره صلى الله عليه وسلم أمام رأس الكفر وقتها،
فهناك رجل يسمى (مسيلمة الكذاب) قد ادعى النبوة وأراد أن
يشارك النبي صلى الله عليه وسلم النبوة ويقتسم الأرض مع
النبي صلى الله عليه وسلم فجعله الله عزَّ وجلَّ أضحوكة عبر
التاريخ جزاءً لما فعله، فالحبيب واحد، والنبي واحد لا غيره خاتم
الأنبياء محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

كان مسيلمة الكذاب يريد أن يقول (أنا النبي). فهو لا يعرف مَنْ هو النبي حبيب الرحمن عند الله
عزَّ وجلَّ، فجعله الله أضحوكة تتناقلها كتب التاريخ والسير فكان يقول: الفيل ما الفيل؟ وما
أدراك ما الفيل؟ له زلوم طويل. وكان يقول أيضًا: إن أعطيناك التفاح، فصلِّ لربك وارتاح، إن
شانئك هو العجل النطاح. فهذه أمثلة لما كان يقرؤه على أصحابه - وهم يضحكون من ورائه -
على أنه قرآن.

فهناك فرق كبير ما بين حبيب الرحمن وأي أحد يريد أن يأخذ مكانته ومرتبته؛ لأن الله عزَّ وجلَّ
يقول لحبيبه (أحبك) فقد قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: 4] ومن منطلق حب الخير
للآخرين هناك نماذج بشرية سارت على هدي النبي صلى الله عليه وسلم في حبه للآخرين.
ومن مظاهر حب الله عزَّ وجلَّ أيضًا لنبيه صلى الله عليه وسلم أنه جعل النبي صلى الله عليه
وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين فيقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ

ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ [آل عمران: 81].

وكان أنبياء الرحمن يسألون من هذا؟ وما هذا الحب كله؟ وكيف أن الله يجمعنا ويأمرنا بطاعته واتباعه؟ فيدخل النبي صلى الله عليه وسلم وهم يصلون وراءه صلى الله عليه وسلم يوم الإسراء.

وأيضاً من أهم مظاهر حب الله للنبي صلى الله عليه وسلم أنه أول من يفتح باب الجنة، فقد رفع الله عز وجل ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أمام الأنبياء بجعله أول من يفتح باب الجنة وهذه خصوصية من خصوصيات يوم القيامة أعطاها الله له صلى الله عليه وسلم والمقصود بها (شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم)، فهناك من يتزعمون وينفون شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم يوم القيامة فيرد عليهم سبحانه وتعالى ويقول: ((يا محمد ارفع رأسك وسل تعطّ واشفع تشفع)) (1).

فيعطي الله سبحانه وتعالى النبي صلى الله عليه وسلم لكي يطلب منه الشفاعة والعفو عن أمته فيقول له عز وجل ((سل تعطّ)) فما من شيء يطلبه الرسول صلى الله عليه وسلم إلا واستجاب الله له، وهذا إذا دلّ فإنما يدل على رفعة مكانة النبي صلى الله عليه وسلم عند ربه، ومدى قربته من الله عز وجل، ويمكن أن نتعلم من ذلك أن العبد كلما كان قريباً من الله تعالى استجاب الله له.

الخلاصة

• كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعامل بالحب مع كل من حوله.
• (الحب أسرار) فلا يجب إظهار الحب في العلن.
■ **من مظاهر حب الله - عز وجل - للنبي صلى الله عليه وسلم:**

- رفع ذكره وشأنه أمام كل مخلوق في الدنيا قبل الآخرة.
- ربط اسم النبي صلى الله عليه وسلم باسم الله - عز وجل - في قول الشهادة.
- أن الله - عز وجل - جعل كل المخلوقات تصلي عليه.
- جعل الله - عز وجل - الصلاة لا تصح إلا بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد.
- نصر النبي صلى الله عليه وسلم على الكفار والأعداء.
- أن النبي صلى الله عليه وسلم هو أول من يفتح باب الجنة يوم القيامة، وأنه هو الشافع للناس.

* * *

(1) رواه البخاري رقم (7094).

25- ((أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل))

استكمالاً لموضوع حب النبي صلى الله عليه وسلم الذي نتحدث عنه لنتعلم وتفهم ونعطي كما أعطى الحبيب صلى الله عليه وسلم، الحب الذي يحمل العطاء والذي يحمل التسامح، الحب الذي يحمل البذل والتضحية، الحب كقيمة ومعنى وكشرف كبير، **الحب الذي يحبه الله والذي خلق الخلق به؛ لأن الله سبحانه وتعالى في أول الأمر أحب أن يُعبد، وأحب أن يُعرف، فلما أحب أراد، ولما أراد خلق، فبدأ بالحب والإرادة ثم الخلق، فنحن خلقنا لنحب رب العالمين وإذا أحببناه عبدناه، من قلبنا نحبه ونحب رسوله ونحب دينه ولا بد أن يظهر هذا في تعاملاتنا، ولا بد أن نتحدث عن رسولنا وكيف كان حبه للأخريين وكيف كان يحبه الآخرون حتى نحبه أكثر ويحبنا الناس أكثر، ونرى الدنيا بعينيه صلى الله عليه وسلم الرحيمة، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107] ولكي نحبه لا بد أن ندخل من بوابة الحب ونعرف كيف كانت علاقة النبي صلى الله عليه وسلم **بالله** سبحانه وتعالى، وعلاقته بأصحابه، وعلاقته بنا كأمة النبي التي لم يرها، علاقته بالمخلوقات من الناس والجماد والحيوان والنبات، كيف كانت علاقته بالأحجار، والحب الذي كان يحمله تجاه المخطئين والعصاة، وكيف كان الحبيب صلى الله عليه وسلم يحاول أن يكسب القلوب دائماً على عكسنا، فنحن نحاول أن نكسب المواقف لكنه صلى الله عليه وسلم كان حريصاً على هداية الناس بالحب وتأليف القلوب مهما كلفه ذلك.**

إذا نظرنا في سيرة الحبيب صلى الله عليه وسلم، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم معروفة، ولن نخترع كلاماً جديداً، **وإنما ننظر إليها من جانب الحب فستختلف نظرنا للحياة، ولكل من حولنا وستنقلب العين الناقدة إلى عين مقتنعة بأشياء كثيرة محبة للنبي صلى الله عليه وسلم ولكل من يحبه.**

وحتى يكون الحب محرراً لنا، لا بد أن يصل لمرحلة معينة تزيد فيه الطاقة بحيث تغلب أي شعور داخل القلب؛ لأن القلب لا يحتمل أكثر من حب: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ [الأحزاب: 4]، فلو أن هناك حبين متضادين في القلب لا بد أن ينتصر أحدهما على الآخر فيطرده ويسكن مكانه. فحتى ينتصر حب النبي صلى الله عليه وسلم لا بد من أن نسمع ونسمع قصص الحب التي تتحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم ونقرأ الكتب التي تتحدث في ذلك مثل كتاب سيرة الرسول للشيخ محمود المصري، أو كتاب الشفا للقاضي عياض، أو الرحيق المختوم للمباركفوري، وهناك كتب كثيرة تتحدث عن سيرته صلى الله عليه وسلم واسمع مدح المادحين للنبي صلى الله عليه وسلم، كما كان الصحابة يسمعون الأشعار من كعب بن مالك وحسان ابن ثابت وكعب بن زهير، والكل يهتز أمام جمال النبي صلى الله عليه وسلم وجلاله وروعته.

هناك أخت أرسلت إليّ تسألني عن رأيي فيما تفعله حيث إنها تحادث شباباً كثيرين وتحبهم ولا تستطيع الابتعاد عنهم.

انظروا إخوتي إلى تأثير الحب، فكلما زادت الشهوة في القلب وزادت في تكوين الإنسان شهوة الرجل للمرأة وهي من أكبر الشهوات احتاجت إلى طاقة أكبر لترمي بهذه الشهوة؛ لأن الحب مَلِكٌ

له سلطان لو تمكن من القلب فسيطرده أي ملك آخر، حب الرجل للمرأة لو لم يكن حلالاً إذا كان مثلاً 20% لا بد أن يأتي حب أقوى منه يسيطر 100%، وإذا كان حلالاً مثل حب الرجل لزوجته، وحب الرجل لزوجته هذا كما يقول ابن القيم: ((من حبي لربي؛ لأن ربي أمرني بحبها ومن حب النبي صلى الله عليه وسلم لأن النبي أمر الزوجة أن تطيع زوجها وأن تحبه)).

من حبي لربي

من أسباب حب النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً الصلاة والسلام عليه؛ لأنك إذا صليت وسلمت على النبي صلى الله عليه وسلم صلاة صلى الله عليك بها عشراً، والنبي نفسه صلى الله عليه وسلم يرد عليك الصلاة والتسليم، وبالحب تستطيع أن تترك المعاصي على قدر هذا الحب، فمثلاً إذا وصلت طاقة الحب إلى 40 تستطيع أن تفعل بعض الطاعات وتترك بعض المعاصي، وإذا وصلت إلى 80 تستطيع أن تترك أشياء تحبها أكثر وأكثر كصديقة مثلاً أو صديق يجذبك إلى معصية أو تترك المال الحرام، وحينما يتحرك سلطان الحب حب النبي صلى الله عليه وسلم سوف تفعل من الطاعات ما لم يكن يخطر لك على بال، ولن تحتاج إلى توصية من أحد. بهذا الحب سوف يرضى الله عنك، ولكن - كما يسألني البعض - كيف أعلم أن الله راضٍ عني، في حين أنني أشعر دائماً بالتقصير وكيف أعرف أنني أحب النبي صلى الله عليه وسلم؟

لو أن الحب في قلوبكم موجود فستجدون في أنفسكم الطاقة التي تجعل التكاليف سهلة ويسيرة، (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [آل عمران: 31]، ولكن أحياناً يكون هناك الكسل؛ فالكسل لا ينفي الحب، فهناك الكسل عن الحجاب، والكسل عن صلاة الفجر، والكسل عن الإقلاع عن السجائر، والكسل عن أخذ قرارات مثل عدم الغش، عدم الكذب، عدم أخذ الحرام - كل هذا يحتاج إلى طاقة الحب ولكن هناك 20 إلى 30%، لكنه يزيد مثلاً إذا دخلنا رمضان في كسل ثم زادت العزيمة بعد ذلك، فالطاقة قد تكون ضعيفة غير محرّكة ثم تزداد فتحدث الحركة والعزيمة؛ لذلك اسمع قصة حب أسبوعية، اقرأ عن النبي صلى الله عليه وسلم، اسمع مدحه، حينئذٍ سيتحرك قلبك بالحب وستتغير أشياء كثيرة في حياتك.

بالحب سينتهي الفتور عن العبادات، وبالحب ستأتي العزيمة للاجتهاد في كل شيء، وبالحب ستصح المفاهيم، وبالحب ستأتي القوة وسيأتي الصبر.

ولكن دائماً علينا بالرفق وانظر إلى أحنينا الطيب يقول لي: بعد أن كنت أصلي الفروض والنوافل وأجتهد في العبادات وأختم القرآن ثلاث ختمات الآن لا أستطيع صلاة الفرائض. هذه تخمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كان يقلل عبادات الصحابة، لكن يطلب منهم أن يستمروا في الطاعة، لا بد أن نعلم بمنتهى الجرأة والصراحة بمنتهى الوضوح، لو أطعنا بأقصى درجة عندنا لما استطعنا المواصلة والمتابعة، وهذا سيدنا عبد الله بن عمرو حينما جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له: إني أختم كل ليلة وأصوم كل يوم، أمره بصيام ثلاث أيام في الشهر وكان يقول ((أحب الأعمال إلى الله أومها وإن قل))

(1) أمره بالتقليل حتى يستمر. هذه هي سنة النبي صلى الله عليه وسلم، هناك من دخل رمضان فانهمك في العبادة، وبعد خمسة أو ستة أيام صُدم، لأنه لم يستطع المواصلة؛ **لذلك فمشايخنا قد أمرونا بالسير خطوة خطوة، فلا تأكل الإفطار والغداء والعشاء في وقت وجبة واحدة حتى لا تحدث التخمة، لكن عليك بالتدريج فلا تفعل عبادات كثيرة وأنت غير معتاد عليها حتى لا ينقطع الحب.. الحب مع ربنا، نريد أن نستمر في الحب، صلوا على سيد المحبين والمحبوبين، فالأهم الاستمرارية، وما دمنا نتحدث عن الحب فإن ((أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل)) (1) وكان النبي صلى الله عليه وسلم كما تقول السيدة عائشة: ((يجب أن يديم العمل)) وتذكر قصة سيدنا عبد الله بن عمرو حينما جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره عن عبادته، لم يقل له هكذا هو العمل أو يشجعه على الاستزادة، وإنما أمره بالرفق بنفسه حتى يستطيع الاستمرار؛ أمره بصيام ثلاثة أيام وأن يختم في 30 يوماً بدلاً من كل يوم، النبي صلى الله عليه وسلم يريد الاستمرار فقط، واستمع معي إلى ما قاله سيدنا عبد الله بن عمرو **لنرى حكمة النبي صلى الله عليه وسلم حينما كبر وضعف سيدنا عبد الله وبعد أن انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى قال: ليتني أخذت بوصية الرسول صلى الله عليه وسلم.****

يجب أن يديم العمل

***الهدف:** خطوة خطوة، ((إن الله لا يمل حتى تملوا)) (2) والرفق بالنفس، وترتيب الأعمال وتقسيم الأوقات ما بين: الاجتماعيات، العبادات - المعاملات - العمل - الدراسة...، بحيث يكون اليوم مقسماً بين العبادات بطريقة صحيحة لا تجلب الملل ولا الفتور.

من أساسيات الحب، حب التصرفات الصحيحة، وكراهية التصرفات المشينة، بمعنى أنني لو رأيت صاحب معصية لا أكرهه بشخصه ولكن أكره فعله؛ لأن المفروض أنني أحب جميع المسلمين، فالحب هو الذي يثير جوانب حياتنا التي كانت مظلمة بسبب المعاصي؛ فكل ابن آدم خطاء، هذا الحب يجب ألا يتحول إلى كراهية لأهل المعاصي. فلو أن شخصاً يبحث عن المعاصي ويجذب الناس إليها لا بد أن نحبه له الخير ونكره فعله، وحينما تجلس في مجلس ويأتي موضوع عنه فلا تذكره بسوء ولا تبحث عن عوراته وتشرها؛ لأن هذا لو حدث فسيكون بسبب كراهيتك له؛ لأننا لا نحتاج إلا إلى الحب لأن الذي يحب يشعر بمشاعر جميله - يشعر بسعادة حقيقية كما علمنا الحبيب صلى الله عليه وسلم.

لقد بُعث النبي صلى الله عليه وسلم في بيئة لا يعرف الناس فيها معنى للحب ولا التراحم ولا التعاطف ولا التسامح، ولم يكن يهم الإنسان في هذه البيئة إلا نفسه ولم يكن يهتم إلا بذاته ولا يحب إلا ذاته فقط، **فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ليعلن أنه لا إيمان بدون محبة،** محبة لكل من حولنا، محبة لله سبحانه وتعالى الخالق البارئ المصور، محبة للنبي عليه الصلاة والسلام الذي ضحى من أجل تبليغ هذا الدين وهذه الرسالة المباركة والعمل على أن تصل إلينا، محبة لأولياء الله الصالحين وأصحاب النبي الكرام وتابعيه بإحسان إلى يوم الدين، محبة لكل

نفس مؤمنة ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)) لقد توسع فقهاؤنا وعلماؤنا قديماً وحديثاً في مفهوم هذه المحبة للأخوة، هل هي أخوة النسب أم هي أخوة الدين أم هي الأخوة الأعم أخوة الإنسانية؟ وعلى هذا المعنى الأخير سار علماؤنا قديماً وحديثاً، يحب أخاه حتى يخالفه في العقيدة ويخالفه في الجنسية ويخالفه في لون البشرة ويخالفه في اللغة ويخالفه في الديانة، ويخالفه في الثقافة، يحبه، وهذا قرين الإيمان، فمن لم يحب ليس بمؤمن، من لم يحب فإيمانه ليس كاملاً، بل وضع النبي المحبة شرطاً للإيمان، والإيمان شرطاً لدخول الجنة فقال عليه الصلاة والسلام: ((لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا)) (1) إذاً لا جنة بدون محبة، محبة لكل شيء ولكل أحد محبة جعلت النبي صلى الله عليه وسلم يدعو لأعدائه الذين اعتدوا عليه، الذين أصابوه في أحد وما انصرفوا عنه إلا وهم يعتقدون أنهم قد قتلوه، محبته لهم عليه الصلاة والسلام وضحت حينما قال داعياً لهم لا عليهم: ((اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون)) (2)، وفي رواية: ((اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)) (3) ويلتمس صلى الله عليه وسلم لهم العذر، فإنهم لا يعلمون. محبة دعتهم صلى الله عليه وسلم إلى أن يقول للذين قاتلوه بعد أن أخرجوه من داره وآذوه أشد الإيذاء: ((ما تظنون أنني فاعل بكم؟)) فيقولون: ((أخ كريم وابن أخ كريم))، قد ملك رقابهم صلى الله عليه وسلم ولو قطع رقبة كل واحد منهم ما لامه أحد على ذلك، ومع ذلك يقول لهم: ((اذهبوا فأنتم الطلقاء)) (4) مع أنهم كانوا على شركهم. إنها المحبة، إنها الأخوة التي جاء بها نبينا صلى الله عليه وسلم، وصدق من وصفه بالرءوف الرحيم، وصدق من قال حاصراً رسالته في هذه الغاية وفي هذا الهدف: ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)) [الأنبياء: 107] ومعنى العالمين ليس فقط المؤمنون وليسوا المسلمین به والمحبين له، إنهم ليسوا حتى البشر بل كل البشر وكل الجن وكل الحيوانات وكل الخلائق بما تعنيها كلمة العالمين.. نعم رحمة للعالمين.

الحب يا إخواني يحيي القلوب ويذهب الاكتئاب ويأتي بالسعادة، وحب النبي صلى الله عليه وسلم يشجعنا على العمل والذاكرة، فالعمل والذاكرة والاجتهاد كلها عبادات، وأي وسيلة لتحقيق إعمار الأرض الذي هو أحد مقاصد وجود الإنسان في الدنيا - (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) [البقرة: 30] - عبادات، ولكن العبادات مرتبطة بالأوقات؛ فوقت الأذان تكون الصلاة أحب العبادات، ووقت المذاكرة تكون المذاكرة أحب العبادات، ووقت العمل فالعمل أحب العبادات، وأنا وسط أهلي وأبنائي أحب العبادات أن أعلمهم لأكون قدوة لهم، وهكذا فالإنسان حينما يقصر في وقت عبادة معينة مثل المذاكرة يكون قد قصر في أشياء كثيرة مهمة حيث إنها تؤدي إلى إعمار الأرض الذي هو مقصد من مقاصد وجود الإنسان في هذه الدنيا، وهذا التقصير يؤدي إلى الفشل الذي يؤدي بنا إلى الفشل والتعبية والإحساس بالدونية، كما نرى المسلمين في عصرنا هذا، فلا بد من الاجتهاد والحب العظيم للنبي صلى الله عليه وسلم **ولله** سبحانه وتعالى فيه يكون الأحساس بالذات، وبه يكون تحقيق الذات وبه تقوم الدنيا.

الخلاصة

- حتى تكون محباً للنبي صلى الله عليه وسلم حقاً عليك أن تقرأ سيرته وتتعلم منها
- الحب ملك له سلطان لو تمكن من القلب فسيطرده أي ملك آخر.

• إذا صليت على النبي صلى الله عليه وسلم فإن الله وملائكته تصلي عليك، والنبي صلى الله عليه وسلم يرد عليك السلام.
• بِحُبِّكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيَنْتَهِي الْفُتُورُ عَنِ الْعِبَادَاتِ، وَتَحُلُ مَكَانَهُ الْعَزِيمَةُ.
• **الله** - عَزَّ وَجَلَّ - يَحِبُّ الْعِبَادَةَ الَّتِي تَدُومُ حَتَّى وَإِنْ كَانَتْ قَلِيلَةً.
* * *

- (1) رواه البخاري رقم (6109).
- (1) رواه البخاري رقم (6109).
- (2) رواه البخاري رقم (1113).
- (1) المستدرك على الصحيحين (7378).
- (2) شعب الإيمان للبيهقي (1425).
- (3) رواه البخاري رقم (3308).
- (4) السنن الكبرى للبيهقي رقم (17000).

خاتمة

عشنا خلال الفصول السابقة مع قصة حب، وعرفنا أن **الحب مؤثر ومحرك، وأن الحب ليس مجرد شعور يشعر به الإنسان باللذة تجاه الشيء الذي يحبه، وإنما الحب سلطان للعطاء يحرك ناحية التسامح..** يحرك للبذل، وعرفنا أن حب النبي صلى الله عليه وسلم هو البوابة لحب كل شيء، وأن من يدخل حب النبي في قلبه، ويرى الدنيا بعيني النبي صلى الله عليه وسلم، سوف تُنور الدنيا في عينيه، وحب النبي صلى الله عليه وسلم عندما يملأ القلب ويسري في الجسم عندئذٍ يتشبع هذا الجسم بطاقة تحركه، ويبدأ حب النبي صلى الله عليه وسلم يطرد كل حب سواه، وعندها يتعلم ضوابط السير في طريق **الله** عز وجل، ويتقن التخلق بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في تعامله مع الناس، ويتقن عباداته لرب العالمين، ويتقن إعمار الأرض، وهذا الحب يدفعه إلى الأمام، ويبدأ يتأثر بالموعظة. وعرفنا جمال حب النبي صلى الله عليه وسلم لزوجاته، وحبه لبناته وحبه لكل من حوله، وحب النبي صلى الله عليه وسلم للملائكة، وحبه لأعدائه، وحبه لغير المسلمين ورغبته في هدايتهم، ونحن في حاجة أن نقرأ عن النبي صلى الله عليه وسلم ونسمع عنه الكثير، حتى يمتلئ قلبنا بحب النبي صلى الله عليه وسلم؛ **لأنه بوابة الحب لكل شيء، وهو الذي يجعلك ترى الدنيا حلوة، ويجعلك تحب أعمال النبي صلى الله عليه وسلم؛** لذلك كل هدفنا ملء القلب بهذا الحب، لأن القلب هو الملك الذي يعطي أوامره للجوارح، **هذا الحب الذي يطرد الصفات السيئة والمشينة، ويطرد العيوب، هذا الحب سوف يطرد الكبر والحسد والغضب، وعدم الرضا، هذا الحب الذي يجعلنا نستمر في عمل الخير؛** لأن من علامة العمل الذي يكون بدون حب أن يكون عملاً متقطعاً، ولكن لو ملأ الحب القلب فسوف يداوم الإنسان على عمل الخير، وهذا من أحب الأعمال إلى **الله** كما قال صلى الله عليه وسلم: **((أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل)).** **هذا الحب الذي يجعلك تقدم للناس النفع في المكان الذي اختارك الله فيه، يجعلك تسعى إلى قضاء حوائج الناس: ((اعملوا فكل ميسر لما خُلق له))** ابدأ عبّر عن الحب بالعمل ستجد أن **الله** سبحانه فتح لك أبواباً كثيرة للعمل، وانظر إلى الباب الذي اختارك **الله** له وادخل منه على **الله**، فسيدنا خالد بن الوليد كان بابه الجهاد، ولكنه لم يكن مثل سيدنا أبي هريرة الذي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من خمسة آلاف حديث. وحاول أن تعرف النبي صلى الله عليه وسلم لأن **الله** أعطى النبي صلى الله عليه وسلم من صفاته على قدره النبوي الشريف، والصفات عند **الله** على قدر الإله الكامل سبحانه وتعالى، فالنبي صلى الله عليه وسلم عندما تعرفه تحبه، عندما تعرف كرمه وصبره، ورحمته وكيف كان دائماً يقول: **((يا رب أمتي أمتي اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون))**، فضله صلى الله عليه وسلم علينا كبير فما من خير أنزله **الله** على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلا والنبي صلى الله عليه وسلم قسمه على الأمة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم، كما في البخاري: **((الله مُعْطٍ وأنا قاسم)).** فالخير الذي نال النبي صلى الله عليه وسلم من حب **الله** له فاض على أمته. **ومن هذا الخير وذلك العطاء**

ما جاء في الحديث النبوي: ((إن الله تجاوز لي عن أمتي ما حدثت به أنفسهم ما لم تعمل به أو تتكلم)).

يا رب أمتي
أمتي
اللهم اغفر
لقومي
فإنهم لا يعلمون

لذلك يجب أن نجعل النبي صلى الله عليه وسلم في بيوتنا؛ لأن حب النبي صلى الله عليه وسلم سوف يجعل لك منزلة كبيرة قد لا تبلغها إلا بحبه، فقد ذهب إليه صلى الله عليه وسلم رجل بقول له إنني أحبك، فقال له صلى الله عليه وسلم: ((أنت مع من أحببت)).

أحدث إصدارات

الأستاذ
مصطفى حسني

- الكنز المفقود.
- خدعوك فقالوا.
- قصة حب.
- كلمة.



سلسلة بناء العيد الرباني

قصص حبيب

مصطفى حسني

للحب قصة كبيرة ونظرية فظيرة لها قواعد لها، ولعل من أبرزها أن الحب يأخذنا من الجهلة إلى التفاصيل، فإذا أمهبت سيدنا محمد ﷺ رسالة ورسولاً فقد أمهبت كل تفاصيل الرسالة والرسول، وإذا كنت تحب سيدنا محمدًا فلا بد أن تعرف كل قصص الحب التي علأت حياته بالبهجة والسعادة والخير.

من هذا النطلق حاولت أن أتناول في هذا الكتاب قصة الحب المتبادلة بين رسولنا الكريم ﷺ وربه عز وجل، وقصص حبه لصحابته الكرام ولزوجاته وبناته رضي الله عنهم أجمعين.

إن هذه القصص تستحق التوقف عندها لتأمل ما تهمله من قيم إنسانية نبيلة نحن في أمس الحاجة إليها اليوم، ونعوها أمل تحقيقه في هذا الكتاب.

قصة حب



f /mustafahosny

@MustafaHosny

www.mustafahosny.com

